

سلسلة طباعة الكتب السلفية ١٢١

# عُدَّةُ الباحِث

## فيما تعلَّق باليوم الآخر من المباحِث

قدّم له فضيلة الشيخ الدكتور

**مُحمّد هِشام الطَّاهري**

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

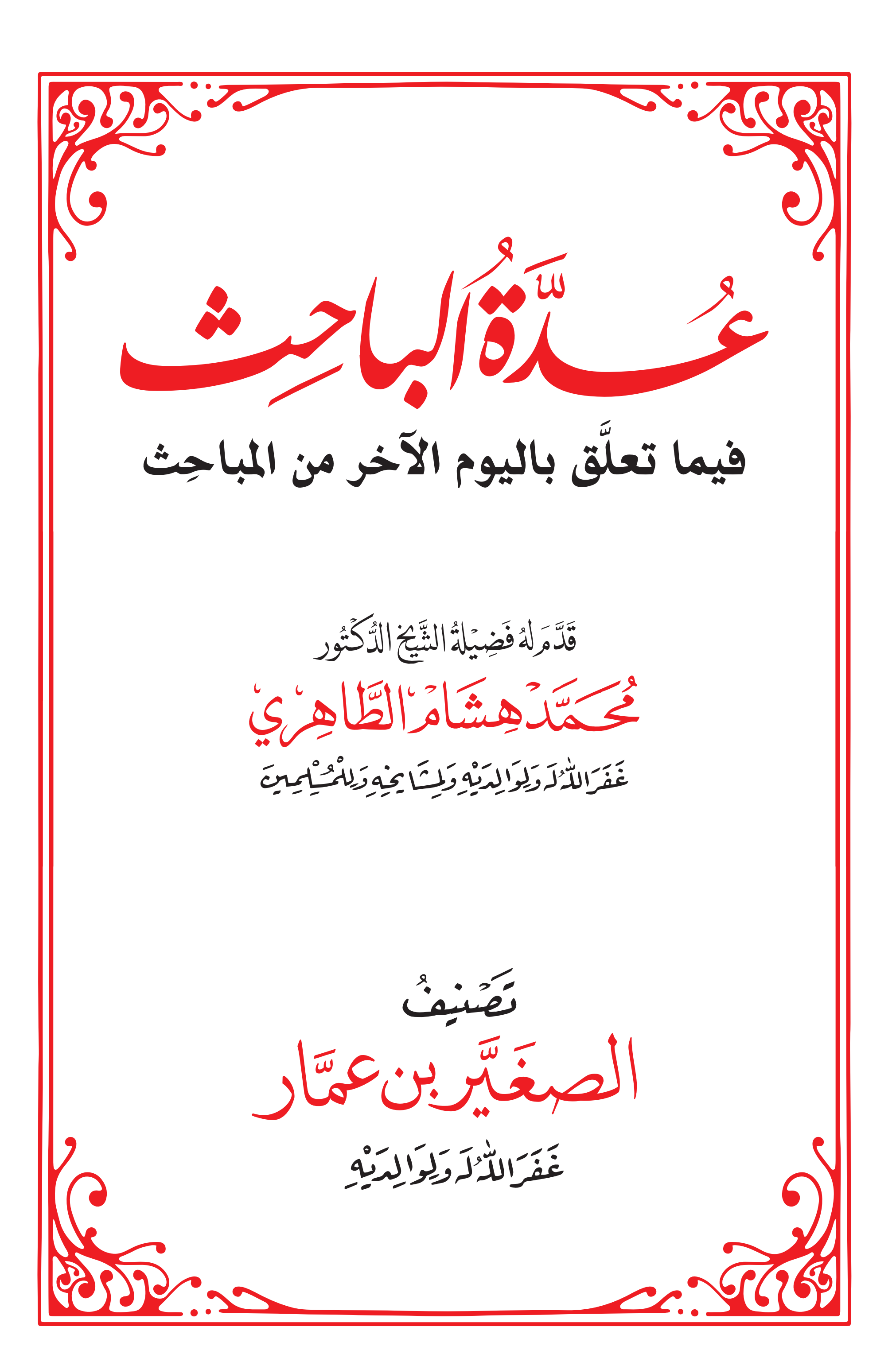
تَصْنِيفُ

**الصغيّر بن عمّار**

غفر الله له ولوالديه

طبع على نفقة أهل الخير

نسأل الله تعالى لنا ولهم العفو والعافية والتوفيق



# عُدَّةُ الباحِث

## فيما تعلَّق باليوم الآخر من المباحِث

قدَّم له فضيلة الشَّيخ الدُّكتور

**مُحَمَّد هِشام الطَّاهِري**

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

تَصْنيفُ

**الصغيِّر بن عمَّار**

غفر الله له ولوالديه

# تقريظ الشيخ محمد هشام الطاهري

الحمد لله الكريم الوارِث، أحمده سبحانه وحدَه الباعث، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له مخرِجُ الخلائقِ من الأجداث، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوث بشيرًا ونذيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم البعث، وبعدُ؛

فقد تصفَّحْتُ ما قام به أخونا الشيخ الدكتور/ **الصغيَّر بن عمَّار** -وفقه الله- مِن جمع لفيفٍ، ومختصر منيفٍ، فيما يتعلق بيوم البعث، وسماه:

**«عُدَّةُ الباحِث فيما تعلَّق باليوم الآخر من المباحِث»**

وألفَيت جمعَه مسدَّدًا، وبالأدلة مؤيَّدًا، وعن الحشو خِلْوًا مفرَدًا، ولمباحث الموضوع مرتبًا.

ومما زاد في جمال الكتاب ترتيبه الأحداث، واستدلاله وجمعه الشِّعاث، فجزاه الله خيرًا على هذا الانتجاث، وبارك في علمه وعمله اللِّهاث، وجعل ذلك في موازين حسناته وقبلُ في الأجداث، وشكر الله له ولمن نشر مؤلَّفه أو قرأه أو استفاد منه، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد خير خلقه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ د. محمد هشام الطاهري ٠٣/ ١١/ ١٤٤٢ هـ



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمدُ لله الذي قهرَ بالموتِ العِباد، وأذَلَّ به رِقابَ أهلِ التَّجَبُّر والعِناد، وجعَلَه تَذكِرَةً لأهل المعرِفة والسَّداد، وأشهد أن لا إلٰـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، المنَزَّه عن الصاحِبة والأولاد، شهادةَ عَبدٍ مذنِبٍ قد قالها مِن صَميم الفؤاد، وادَّخَرها عند مَن لا تَضيع لديه الوَدائعُ يومَ تذوبُ الأكباد.

وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، أرسله الله رحمةً للعالمين فأظهر الحقَّ وأباد الفسَاد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره الأمجاد، ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلى قيام الأشهاد[١]. أما بعد،

فهذا كتاب جمعته تذكِرةً لنفسي، وتبصِرةً للمُؤتَسي، وعملًا أرجو نفعَه في حياتي، وألقى بَركَته بعد مماتي، وسمَّيته[٢]: «**عُدَّةُ الباحِث فيما تعلَّق باليوم الآخر من المباحِث**»، وجعلتُه على شكل مباحِثَ، وكلُّ مبحَث في مسائلَ، ليَسهُلَ على المبتدِئ فهمُه وإدراكُه، وعلى المتوسِّط تثبيتُه وإبقاؤُه، وعلى المُدَرِّس تلخيصُه وإقراؤُه، وعلى المُنتهي مُراجَعتُه وانتقاؤُه.

---

١- اقتباسًا من مقدمة «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» للسفاريني (١/ ٣-٤).

٢- بإشارة من شيخنا الدكتور صالح بن عبدالله العصيمي -أدام الله نفعَه-.

وهذه المباحث هي:

- حقيقة الإيمان باليوم الآخر، وحتميَّة الموت
- وضغطة القبر، وفتنته، وعذابه أو نعيمه
- والنفخ في الصور، والبعث والنشور، وقيام الناس من القبور
- والحشر وما يقع في أرض المحشر
- والشفاعة يوم القيامة وأحكامها
- ونشر الدواوين وأخذ صحائف الأعمال بالشمال واليمين
- والعَرض والحساب، والميزان
- وصفة حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- والصراط، وهو جسر فوق جهنم
- والقنطرة التي تكون قبل الدخول للجنة
- وصفة الجنَّة، وما أعدَّ الله لأهلها من الثواب
- وصفة النار، وما أعدَّ الله لأهلها من العقاب.

وختمتُه بمسائلَ متفرِّقة، هي كالخلاصة لتلك المباحِث، والعُدَّة لكُلِّ ألمَعيٍّ باحِث، واللهَ أسألُ -لي ولوالِديَّ وأهلي وزوجتي وأبنائي والمسلمين جميعًا- العَفو والعافِيَـة والمُعافاةَ الدائمةَ في الدين والدنيا، كما أسأله سبحانه

-لي ولهم- حُسنَ الخاتِمة، والفوزَ بالجنَّة، والنَّجاةَ مِن النار، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَك على نبينا محمد وآلِه الأبرار، وصحبه الأخيار.

**وكتب: الصغيّـر بن عمَّـار**

ضحى الأحد ٢٩ شــعبـان عــام ١٤٤٢،

الموافق لـ ١١ أفريل ٢٠٢١، بــمدينة «لــيون» بـفـرنـسا

# حقيقة الإيمان باليوم الآخر

**الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان** التي جاء ذكرها في مواضِعَ من القرآن، ومن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة: ١٧٧]، وقولُه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[النساء: ١٣٦].[1]

ولمَّا سأل جبريلُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«أنْ تُؤمِنَ بالله، وملائكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخِرِ، وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه»**، فقال جبريل: صَدَقْتَ.[2]

وجاء في رواية أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ للحديث قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تعريف الإيمان: **«أنْ تُؤمِنَ بالله، وملائكَتِه، وكِتابه، ولِقائه، ورُسُلِه، وتُؤمِنَ**

---

١- انظر «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٥).

٢- رواه مسلم (٨)، مِن حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

ولي على هذا الحديث العظيم شرح متوسِّط سمَّيته: «**كأس السلسبيل الـمُتْرَعة بفوائد حديث جبريل**»، وهو أصل لهذا البحث المتعلِّق باليوم الآخر.

**بالبَعْث الآخِر».**[١]

**والكلام على حقيقة الإيمان باليوم الآخر سيكون مِن خلال عِدَّة مسائل:**

## سبب التسمية باليوم الآخر

المسألة الأولى: **سُمِّيَ اليومُ الآخِر بذلك لأنه آخر الأزمنة المحدودة، وليس بعده يوم،** إذ هو خاتِمة الأيام، وفيه البعث والجزاء للأنام، ولهذا سُمِّيَ يومُ القيامة باليوم العَقيم، لأنه لا يوم بعده.[٢]

**والإيمان باليوم الآخر في العُرف الشرعي له معنيان:** [٣]

- **الأول**: باعتبار الناس أجمعين،
- **والثاني**: باعتبار الأفراد.

أما الأول، فهو ما يكون من بعد نفخة البعث، وسيأتي تفصيله أثناء الكلام على حقيقة الإيمان باليوم الآخر في المسألة الثالثة.

وأما الثاني، فهو الذي قال فيه جماعة من السلف -كالمغيرة بن شعبة،

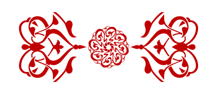
---

١- رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩). انظر «إكمال المعلم» لعياض (١/ ٢١٥).

٢- انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٤٨)، و«فتح الباري» (١/ ١١٨).

٣- انظر «الإيمان باليوم الآخر في القرآن الكريم» (ص ١٧)، و«اللآلي البهية» (٢/ ١٩٩).

وعلقمة وسعيد بن جبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ-: «**مَن مات فقد قامت قيامتُه**»[١]، ومقصودهم: أنّ الشخص لا يستبطيء الثواب والعقاب، فهو إذا مات يكون في الجنة أو في النار، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾[نوح: ٢٥]. [٢]



١- وسيأتي بيان لهذه العبارة في المسألة الثانية من مبحث «البعث والنشور».

٢- انظر «النبوات» (٢/ ٧١٠-٧١٢)، و«التذكرة» (ص ٥٤٨)، و«النهاية» لابن كثير (١/ ٣١).

## أدلة الإيمان باليوم الآخر

**المسألة الثانية: الأدلة على الإيمان بهذا الركن كثيرة في القرآن، بل هو أحد الأصول التي تدور عليها دعوة الأنبياء، وأحد مقاصد القرآن الكريم** التي يكررها، ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، وهذه المقاصد يعرفها مَن له كمال فهم، وحُسن تدبُّر، وجودة تصوُّر، وفضل تفـكُّر، وهي:

- إثبات التوحيد،
- وإثبات المعاد،
- وإثبات النبوات.

وهذه الثلاثة المقاصد، مما اتفقت عليه الشرائع جميعا، كما حكى ذلك الكتاب العزيز في غير موضع.[1]

ولما أثنى الله جلَّ وعَلا على بعض أنبيائه قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾[ص: ٤٥-٤٦]، أي: أنهم كانوا يُذَكِّرون الناسَ الدارَ الآخِرةَ، ويَدعونَهم إلى طاعة الله، والعمل للدار الآخرة.[2]

وهذا هو حال العلماء والصالحين، قال محمد بن خالد: كنت **إذا رأيت**

---

١- انظر «إرشاد الثقات» للشوكاني (مع «الفتح الرباني»، ١/ ٤٨١-٤٨٢).

٢- انظر «تفسير الطبري» (٢١/ ٢١٧).

**وجه مالك بن أنس رأيت أعلام الآخرة في وجهه،** فإذا تكلم علمت أنَّ الحقَّ يخرج من فيه.[١]

وقال علي بن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ودَّعتُ أحمدَ بنَ حنبل، فقلت له: يا أبا عبدالله توصيني بشيء؟ فقال: «**نعم، اجعل التقوى زادك، وانصب الآخرة أمامك**».[٢]

وكان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «**عليك بمجالسة من يزيد في علمك قولُه، ويدعوك لحال الآخرة فعلُه،** وإياك ومجالسةَ من يعلِّلُك قولُه، ويعيبك دينُه، ويدعوك إلى الدنيا فعله».[٣]

وقد وصَفَ اللهُ عبادَه المؤمنين في أول «سورة البقرة» بقوله: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٤]، إذْ لا يحصل الإيمانُ بالآخرة حتى يطمئِنَّ القلبُ إلى ما أخبر الله سبحانه به عنها طُمأنينتَه إلى الأمور التي لا يَشك فيها ولا يَرتاب، فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر.[٤]

وفي الحديث قولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كان يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فلا**

---

١- «ترتيب المدارك» (٢/ ٥٠).

٢- «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٢٦).

٣- «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٤). وانظر (٣/ ٢٤٠) من نفس المصدر.

٤- «الروح» (ص ٢٢١)، بتصرف.

**يُؤذِ جارَه»** [١]، وغير ذلك من الأحاديث التي اقترن فيها الإيمان بالله باليوم الآخر، لأنَّ مَن آمَن بالله حَقَّ إيمانه، خاف وعيدَه ورجا ثوابَه، ومَن آمن باليوم الآخر، استعدَّ له، واجتهدَ في فعل ما يَدفَع به أهوالَه ومكارهَه، فيأتمرُ بما أُمِر به، وينتهي عما نُهِيَ عنه. [٢]



١- رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

٢- انظر «المفهم» (١/ ٢٢٩)، و«جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٦٣).

## ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر

**المسألة الثالثة: حقيقة الإيمان باليوم الآخر** هو كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٤]، قال: «أي بالبعث، والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان».[١]

**وضبطه بعض أهل العلم بأنَّه الإيمانُ بكلِّ ما أَخبَرَ به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكونُ بعد الموت.**[٢]

وأدخل آخرون من أهل العلم[٣] الكلام على أشراط الساعة ضمن الإيمان بهذا الركن، **وعلى هذا يتضمَّن باليوم الآخر ثلاثة أمور:**

- **الإيمان بأشراط الساعة** المؤذِنَة بقرب يوم القيامة ونهاية العالم.
- **والإيمان بالبرزخ** وما يجري فيه من ضغطة وفتنة وعذاب أو نعيم، إذ هو أول منازل الآخرة.[٤]

---

١- «تفسير الطبري» (١/ ٢٥٢).

٢- «العقيدة الواسطية» ضمن «الفتاوى» (٣/ ١٤٥).

٣- انظر «موسوعة العقيدة» (٦/ ٣٢٤٥) .

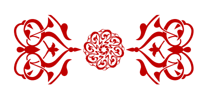
٤- **وأدخل بعضهم الاحتضار في الإيمان بهذا الركن، وعلَّلوا ذلك بأمرين:**

- أنَّ الميت في تلك اللحظات يُعاين شيئًا من الغيبيات، وحينها ينقطع عمَّن حوله.
- وأنَّه في تلك الحال لا ينطق إلا فعلهُ، ولهذا لا ينطق بشهادة التوحيد إلا المؤمن الخالص.

انظر «الإيمان باليوم الآخر في القرآن الكريم» (ص ١٧-٢٢).

- **والإيمان بما يتعلَّق بيوم القيامة** بدءً من نفخة الصور والبعث إلى غير ذلك مما يقع في ذلك اليوم العظيم من الحِساب والثَّواب والعِقاب، والشَّفاعة، والصُّحُف المأخُوذَةِ باليَمين والشِّمال، والميزان، والصِّراط، وأحوال الجنَّة والنار، وأحوالِ أهلِها، وأنواعِ ما أعَدَّ اللهُ فيها لأهلها إِجمالاً وتَفصيلاً.

**ولنبدأ الآن -بعَون الله وتوفيقه- الكلامَ على تلك المنازل بتفصيل، مستفيدا من كلام أهل العلم مع ذكر الدَّليل.**



## الموت حق لا مفرَّ منه

**المسألة الرابعة:** قبل تفصيل منازل الدار الآخرة، فلنتذكَّر جميعا أنَّ الموت حقٌّ، وأنَّ الله قد كتبه –بلا استثناء– على جميع العباد، فقال جلَّ شأنُه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، في عِدَّة مواضع من كتابه، وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦]، وقال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[الجمعة: ٨]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعُوذُ بعِزَّتِكَ، الَّذي لاَ إلـٰهَ إلَّا أنتَ الَّذي لاَ يموتُ، والجِنُّ والإنْسُ يموتون**».[1]

وأحسن سراج الدين ابن الوَردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] حين قال[3]:

كُتِبَ المـوتُ علـى الخَلـقِ فكـمْ
فَـلَّ مـن جـيشٍ وأفنـى مـن دُوَلْ

---

١- رواه البخاري (٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٧).

٢- المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

٣- في «لاميته» المشهورة.

أيـــــنَ نُمـــــرودُ وكنعــــانُ ومــــنْ

مَلَـــــكَ الأرضَ وولَّـــــى وعَـــــزَلْ

أيــــن عـــــادٌ أيــــن فرعـــونُ ومـــنْ

رفـــعَ الأهـــرامَ مـــَن يســـمعْ يَخَـــلْ

أيـــنَ مـــن ســـادوا وشـــادوا وبَنَـــوا

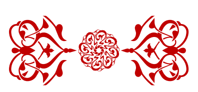
هَـــلَكَ الكـــلُّ ولـــم تُـــغنِ القُلَـــلْ

أيـــنَ أربـــابُ الحِجَـــى أهـــلُ النُّهـــى

أيـــنَ أهـــلُ العِلـــم والقـــومُ الأوَلْ

سيُعيـــــــــدُ الله كـــــــلاًّ منـــــــهمُ

وسيَـــجزي فـــاعلاً مـــا قـــد فَعَـــلْ



## حقيقة الموت

**المسألة الخامسة: الموت: مُفارَقَةُ الرُّوح للجسد**[١]، وليس هو عدمًا مَحْضًا ولا فَناءً صِرْفًا، وإنما هو انقطاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بالبَدَن ومُفارَقتُه وحَيْلُولَة بينهما، وتبدُّلُ حال وانتقال من دار إلى دار.[٢]

ولهذا، كان بلال بن سعد يقول في مواعظه: «يا أهلَ الخُلود ويا أهلَ البقاء، إنكم لم تُخْلقوا للفناء، وإنما خُلقتم للخلود والأبد، **ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار**».[٣]

**وفي هذا تخفيف لوَطأة مصيبة الموت على القلوب**، فإنَّ فِراق الأحباب بها وقتي غير دائم، لأنَّ اللِّقاءَ وإنْ انقطع في الدنيا فهو متجدِّد في دار أخرى هي أعظم وأكمل، ولا فراق بين الأحبة فيها، وقد كان ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «**لولا أنَّ القلوب توقن باجتماع ثانٍ لتفطرت المرائر لفراق**

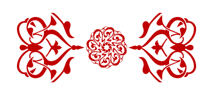
---

١- «جامع العلوم والحكم» (٣/ ١٠٩٩).

٢- انظر «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ١٢٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٧٧) (١٨/ ٢٠٦).

٣- رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٩)، ونحوه عن عمر بن عبد العزيز (٥/ ٢٨٧) والحسن (٧/ ٢٨٦). انظر «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» للسيوطي (ص ١٩)، و«البحور الزاخرة» للسفاريني (١/ ٢١).

**المحبوبين»**[١]، وفي الحديث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثنَتانِ يَكرَهُهُمَا ابنُ آدمَ: الموْتُ، والموتُ خَيرٌ للمُؤمِن مِن الفِتنة، ويَكرَه قِلَّةَ المال، وقِلَّةُ المال أَقَلُّ للحِساب**».[٢]



١- «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٣٦٢).

٢- رواه أحمد في «المسند» (٢٣٦٢٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨١٣). انظر «فيض القدير» للمناوي (١/ ١٥١).

# ضغطة القبر

إذا وُضع العبدُ في قبره ضُمَّ ضمَّة، وضُغِط ضغطةً، **سيكون الكلام عليها في مسائل:**

## حقيقة ضغطة القبر وأدلتها

**المسألة الأولى:** ضَغْطَةُ القَبر هي الضِّيقُ والعَصرُ الَّذي يَنالُ الميِّت عند التقاء جانِبَي القَبر على جسده، وهي من باب: ضَغَطَهُ: أي زَحَمه إلى حائطٍ وعَصَرَه وضَيَّقَ عليه وقَهَرَه، وأمَّا الضُّغْطَةُ بالضَّمِّ فهي الشِّدَّةُ والـمَشَقَّةُ. [1]

قال شهاب الدين النفراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ومن عذاب القبر ضَغطتُه، **وهي التقاء حافتيه على الميت**، لا ينجو منها صالح ولا طالح، ولو نجا منها غير الأنبياء لنجا سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ». انتهى.

**المسألة الثانية:** دلَّ على هذه الضغطة ما روت عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ لِلقَبْرِ ضَغْطَةً، فَلَوْ نَجَا أو سَلِمَ مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا**

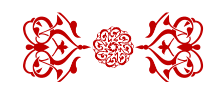
---

١- «المصباح المُنير» (٢/ ٣٦٢)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/ ٩٠).

٢- «الفواكه الدواني» (١/ ٩٦). وانظر «مشاهد الناس عند الموت» للشيخ عبد الرحمن خليف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٣٢٦-٣٢٨).

**سَعْدُ بْنُ مُعَاذ»**[١]، وفي رواية: **«لو نَجا أَحَدٌ مِن ضَمَّةِ القَبرِ لنَجا سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، ولقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم رُوخِيَ عنه»**.[٢]

قال ابنُ أبي مُلَيكة: **«ما أُجِيرَ مِن ضَغْطَةِ القبرِ أَحَدٌ ولا سَعْدُ بنُ مُعاذٍ، الَّذي مِنْدِيلٌ مِن مَنادِيلِه في الجنَّة خَيْرٌ مِن الدنيا وما فيها»**.[٣]



١- رواه أحمد في «المسند» (٢٤٢٨٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٩٥).

٢- «صحيح الجامع» (٥٣٠٦).

٣- انظر: «نوادر الأصول في أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» للحكيم الترمذي (٢/ ١٠٠-١٠٦)، و«التذكرة» (ص ٣٢٣)، و«الروح» (ص ٥٦)، و«أهوال القبور» لابن رجب (ص ٦٠).

## اختلاف أحوال القبر باختلاف أحوال الناس

**المسألة الثالثة:** هذه الضَّغطَةُ -وإن كانت عامَّةً من حيثُ تَعلُّقُها بالمؤمِن والكافر - إلاَّ أنَّها لا تنالُ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قال الحكيم الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأما الأنبياءُ فلا نعلم أن لهم في القبور ضمَّةً**». انتهى.[١]

**المسألة الرابعة:** **تَختَلفُ هذه الضَّغطَةُ بين الناس كمًّا وكَيفًا:**

- فهي **ضمَّة عذابٍ للكافر**، لا انقطاعَ لها حتى البعث.

قال القرطبي[٢]: «وأمَّا الكافرُ فلا يَزالُ قَبرُهُ عليه ضَيِّقًا».

- وهي **ضمَّة شَوقٍ وحُبٍّ للمُؤمن**، كَضمَّة الحبيب لحبيبه، تكونُ في أول نزوله إلى قبره ثم يعود الانفِسَاحُ له فيه.[٣]

قال أبو الحسن العدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وأما الضمة المتعلقة بالطائع فلا خوفَ معها كما هو ظاهر، لأنَّ معها الشَّفقةَ والرَّأفة». انتهى.

---

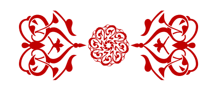
١- نقلا عن «البحور الزاخرة» (١/ ٢٢٠)، ومرَّ نحوُه من «الفواكه الدواني» (١/ ٩٦). وقارنه بلفظ الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٠٣).

٢- «التذكرة» (ص ٣٨٧).

٣- «لوامع الأنوار» (٢/ ١٦).

٤- «حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني» (١/ ١٠٩).

**المسألة الخامسة: ضغطَةُ القبر من جملة الأمور التي يتألَّم بها المؤمنُ،** كفقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك، فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد، وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، **ولكنَّ العبدَ التقيَّ يَرفُق الله به في بعض ذلك أو كلِّه، ولا راحةَ للمؤمن دون لقاء ربه.** [١]



١- انظر «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٢٩٠).

## السرُّ في ضمَّة القبر

المسألة السادسة: **أشار أهلُ العلم إلى السرَّ في تلك الضمَّة**، وهو أنَّ المؤمنَ مَن أشرَق نورُ الإيمان في صَدره فباشَرَ اللَّذات والشهوات وهي مِن الأرض، والأرض مُطيعة، وخُلِق الآدَميُّ منها، وقد أُخِذَ عليه العَهدُ والميثاقُ في العُبوديَّة، فمتى نقَض من وَفاء العُبوديَّة صارت واجِدَةً عليه، **فإذا وجَدته في بَطنها ضَمَّته ضَمَّة، ثم تُدرِكه الرَّحمة**، فتَرْحُب عليه، **وعلى قَدر مَجيء الرَّحمة يتَخلَّص من الضَّمَّة**، فإن كان مُحسِنًا فإنَّ رحمةَ الله قَريبٌ من المَحسِنين، **ولم يكُن للضَّمَّة لَبْثٌ، وكانت في حقِّه ضَمَّةَ شفَقةٍ لا ضَمَّةَ سُخْط**، لأنه كان على ظهرِها مُحسِنا وكانت مشتاقةً إليه، فلما وجدَته في بطنِها ضَمَّته كغائبٍ وَجَد غائبَه بعد الشَّوق إليه.

**والظالِـمُ الـمُخَلِّطُ يكون لضَمَّته لَبْثٌ حتى تُدرِكَه الرَّحمة.**

**وأما الكافرُ فلا خَلاقَ له من الرحمة فتدومُ صمَّتُه ويُملأُ عليه قبرُه نارًا.**[1]

المسألة السابعة: ضِيقُ القَبرِ واتِّساعُه بعد الموت، تابعٌ لانشراحِ القلب بطاعة الله قبل الموت، **فإنما يكون العبدُ في قبره بحسب ما في قلبه، وكلَّما كان الإيمانُ في قلبه أعظم كان في قبره أسرَّ وأنعمَ**، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا

---

١- انظر: «نوادر الأصول» (٢/ ١٠٠)، و«أهوال القبور» (ص ٥٩)، و«بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» للسيوطي (ص ٣٤)، و«فيض القدير» للمناوي (٢/ ٥٠١).

﴿بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[العاديات: ٩ - ١٠]، فجمعَ سبحانه بين ما في القبور وما في الصدور.[1]

وهذا ما عبَّر عنه ابنُ القيم بقوله[2]: «**وحالُ العبد في القبر كحال القلب في الصدر نعيما وعذابا، وسِجنا وانطلاقا**». انتهى.

وأحسن تلميذه ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله[3]: «أنعَمُ الناس: أجساد في التراب، أَمِنت العذاب، وانتظرت الثواب». انتهى.

ولقد نصَح الحافظ عبد الحق الأشبيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله[4]: «ولعلَّك قد كنتَ في الدنيا ممَّن يَشكو تَبديل المنازِل وإن كانت حِسانا، ويُكثِر فيه تلَوُّنا وافتنانا، ولا ترى لِرَبك عَزَّوَجَلَّ فيها تفضُّلا ولا امتنانا، فانظُر الآن كم بين المنزِلتين، وكم قدرُ ما بين الوَحشتَين، **إلَّا أن يُدرِكك فيضُ الرَّحمة، وتغشاك رَوائحُ المِنَّة، فتَتَّسِعَ من القبر أقطارُه، وتمتدَّ أنوارُه، ويكثُر مُؤنِسوهُ وزُوَّارُه**».

---

١- «جامع المسائل» (٤/ ٢٢٠).

٢- «زاد المَعاد» (٢/ ٢٥). وانظر «آثار المعلمي» (٢٢/ ١١١)، فله نحو رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

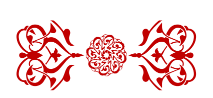
٣- «مجموع الرسائل» (١/ ١٧٢).

٤- «العاقبة في ذكر الموت» (ص ١٨٧).

ثم ساق قول الشاعر:

آنِـــس هُنالـــك يـــا رَحمـــن وحشَـــتَنا
والطُـــف بنـــا وترَفَّـــق عنـــد ذاك بنـــا

نحـــن العُصـــاةُ وأنـــت اللهُ مَلجؤُنـــا
وأنـــت مقصَـــدُنا الأَسْـــنَى ومَطلَبُنـــا



# فتنة القبر: سؤال الملكين

وبعد ضغطة القبر تكون ثَمَّة الفتنة، وهي سؤال الملكين للعبد عن ربه، ودينه، ونبيِّه.

**والكلام على هذه المنزلة سيكون في مسائل:**

## سؤال القبر حق ثابت

**المسألة الأولى:** فتنة القبر **ثابتة في كتاب الله، وتواترت بها سنة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأجمع عليها المسلمون.**

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[إبراهيم: ٢٧]، وعن البَراء بنِ عازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إذا أُقْعِدَ المؤمِنُ فِي قَبرِهِ أَتاهُ آتٍ، ثُمَّ يَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَذَلِكَ قَولُهُ:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾.[1]

**وتواترت بذلك السنة**، كما صرح به جماعة من أهل العلم.[2]

---

١- رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٢٠١).

٢- انظر «شرح الصدور» (ص ٢١)، و«نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص ١٢٣).

قال جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أرجوزة التثبيت في ليلة التبييت»[1]:

اعلَـــــــمْ هَـــــــدَاكَ اللهُ للرَّشَـــــــادِ
مُوَفَّقَـــــا لطُـــــــرُقِ السَّـــــــدَادِ

أنَّ الَّـــــذِي عَلَيـــــهِ أَهْـــــلُ السُّـــــنَّةِ
بحُجَـــــجٍ أَمْضَـــــى مِـــــن الأَسِـــــنَّةِ

أَنَّ سُـــــؤَالَ المَلَكَـــــيْنِ مَـــــنْ قُبِـــــرْ
حَـــــقٌّ والايمَـــــانُ بِـــــهِ فَـــــرْضٌ شُـــــهِرْ

أَتَـــــى بِـــــهِ القُـــــرْآنُ بالإِشَـــــارَهْ

---

١- وعليها شرح للأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ سماه «**جمع التشتيت في شرح أبيات التثبيت**»، كما في «أبجد العلوم» (ص ٦٧٨)، و«فهرس الفهارس» للكتاني (١/ ٥١٤).

وطُبع هذا الكتاب سنة ١٣٨١ هـ بعناية الشيخ حسن محمد المشاط المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي كان مدرِّسا بالمسجد الحرام.

https://ia800503.us.archive.org/35/items/Jam3chatit/jam3chatit.pdf

وللعلامة صديق حسن خان القنوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك شرح عليها بعنوان: «**ثمار التنكيت شرح أبيات التثبيت**»، ذكره هو نفسه في ترجمته في «أبجد العلوم» (ص ٧٢٨)، وانظر «مُعجم الموضوعات المَطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها» للحبشي (ص ٢٣٨).

وشرحها كذلك شهاب الدين السبكي (٩٣٩-١٠٣٢ هـ) بشرح مطبوع في مجلد بعنوان: «**فتح الغفور بشرح منظومة القبور**».

وواْفَقَـــــــتْ آياتُـــــــهُ الإثـــــــارَهْ

تـــــواترَتْ بــــهِ الأحَادِيـــــثُ الَّتِـــــي

قــــد بَلَغَـــتْ سِـــتِّينَ عنـــدَ العِـــدَّةِ

الآيــــــةُ السُّـــــؤَالُ فيهَــــا كــــامِنُ

﴿يُثَبِّـــــــتُ اللهُ الَّـــــــذِينَ آمَنُـــــوا﴾

وإنَّمـــــــا المُنْكِـــــــرُ للسُّـــــــؤالِ

قال أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مقدمة الرسالة»[1]: «**وأنَّ المؤمنين يفتنون في قبورهم ويُسألون**».[2]

وقال أبو عبدالله ابن أبي زَمَنِين المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **وأهل السنة يؤمنون بأنَّ هذه الأمة تفتن في قبورها، وتسأل عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كيف شاء الله، ويصدقون بذلك بلا كيف**».[3]

وقال القحطاني في «نونيته»[4]:

١- ولي عليها شرح صوتي منشور على الشبكة:

https://www.youtube.com/watch?v=bTolkLfobLQ&list=PLVdR9UrQ6JydSdmQPF_ocM_Uv9HKO1z6z

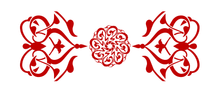
٢- انظر «الفواكه الدواني» (١/ ٩٧).

٣- «أصول السنة» (ص ١٥٠).

٤- (ص ٢٣).

وحَيَاتُنـــا في القَـــبرِ بَعـــدَ مَماتِنَـــا
حَقًّـــا ويَسألُنَـــا بـــه المَلَـــكانِ

ونقل **الإجماع على الإيمان بفتنة القبر** وسؤال الملَكين أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] وأبو عمر ابن عبد البر[٢]، فقال: «وأما قوله [صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]: «**إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُم**»[٣]، فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ **فالآثار بذلك متواترة، وأهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك**، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئا، **ولا ينكره إلا أهل البدع**». انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



---

١- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٦٤).

٢- «الاستذكار» (٢/ ٤٢٣). ونحوه في «التمهيد» (٢٢/ ٢٤٧) له من غير تصريح بالإجماع. وكذلك القاضي عياض في «الشفا» (مع «شرح مُلَّا القاري» ٢/ ٥٤٣) عدَّ منكَرا ونكيرا من **الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما**.

٣- رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٥٨٤).

## منكَر ونكير: مَلَكان أسودان أزرقان

**المسألة الثانية:** الملكان اللذان يتوليان سؤال الناس في قبورهم، يقال لأحدهما: **منكر**، وللآخر: **نكير**.

**وسبب هذه التسمية** أنهما يأتيان على صورة منكَرة لم يعهدها الإنسان، وليس فيها أُنْس للناظرين.

قال عبد الرؤوف المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وخَلقُها لا يشبه خَلق الآدميين ولا الملائكة ولا الطير ولا البهائم ولا الهوام**، بل خَلق بديع، **وليس في خلقهما أُنس للنَّاظِرين**، جعلهما الله مَكْرُمَةً للمؤمن لتثبيته ونصرته، وهتكا لستر الكافر والمنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب». انتهى.

ولهذا جاء في وصفهما في السنة بأنهما أسودان أزرقان، فعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا قُبِرَ الميِّتُ، أو قال: أحَدُكم، أتاهُ مَلَـكان أسْوَدان أزْرَقان، يُقالُ لأحَدِهما: المُنْكَرُ، وللآخَر: النَّكِيرُ، فيقولان: ما كُنْتَ تقولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيقُولُ: ما كان يقولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ ورَسُولُه، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه، فيقُولان: قَدْ كُنَّا نَعلَمُ أنَّكَ تقُولُ هذا، ثُمَّ يُفْسَحُ له في قَبْرِه سَبْعُونَ ذِراعًا في سَبعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فيه، ثُمَّ يُقالُ له، نَمْ، فيقُولُ: أَرْجِعُ إلى أهْلِي فأُخْبِرُهُم، فيقُولاَن: نَمْ**

---

١- «فيض القدير» (٥/ ١٥١)، بتصرف يسير.

**كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذي لا يُوقِظُهُ إلاَّ أحَبُّ أهْلِهِ إليه، حتَّى يَبْعَثَه الله مِن مَضْجَعِهِ ذلك، وإنْ كان مُنافِقًا قال: سَمِعْتُ النَّاسَ يقُولُون، فقُلْتُ مِثْلَه، لا أدْرِي، فيقُولان: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أنَّك تقُولُ ذلك، فيُقَالُ للأرْض: التَئِمِي عليه، فتَلْتَئِمُ عليه، فتَخْتَلِفُ فيها أضْلاَعُه، فلا يَزالُ فيها مُعَذَّبًا حتَّى يَبْعَثَه الله مِن مَضْجَعِه ذلك»**[١].

ولما استقرَّت هذه الغيبيات في قلوب السلف الصالح رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، كانوا يدعون ربَّهم أن يرحم وحشَتهم ويؤنس وحدتهم، ومن ذلك قول عطاء السلمي في دعائه: **«رب ارحَم في الدنيا غُربَتي، وفي القبر وِحدَتي، وطول مقامي غدا بين يديك»**.[٢]



١- رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩١).

وانظر للفائدة كلام الحافظ ابن حجر على هذا الحديث في «فتح الباري» (٣/ ٢٣٧).

٢- رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٢٤). وانظر «جامع العلوم والحكم» (٣/ ١١٢٧).

## فتنة القبر: سؤال العبد عن ربه ودينه ونبيه

**المسألة الثالثة: سؤال المَلَكين يسمَّى فتنةً، والمَلَكان اللَّذان يتولَّيان السؤال يُسمَّيان: الفَتَّانَين**، لأنهما يَفتِنان (أي: يسألان ويَمتحنان ويختبران) الميت في قبره.

**المسألة الرابعة:** سؤال المَلَكين للعبد يكون عن ربِّه، ودينِه، ونبيِّه، فيُجيب المؤمنُ، ويَهلَك الفاجر والكافر.

يقول حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سُلَّم الوُصُول»[1]:

وَأَنَّ كُــــــلًّا مُقْعَــــــــدٌ مَسْــــــــؤُولُ
مَــا الــرَّبُّ مَــا الــدِّينُ وَمَــا الرَّسُــولُ؟

## سؤال القبر عام، ويُخصُّ منه بعض الناس فلا يُسألون

**المسألة الخامسة: فتنة القبر تَعمُّ كلَّ ميِّتٍ**: قُبِرَ أو لم يُقبَر، ونُسِبَت للقَبر تغليبا، لأنَّ أغلَبَ الناس يُقبَرون.

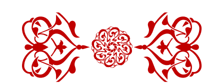
**المسألة السادسة: فتنة القبر لا تختصُّ بهذه الأمة على الصحيح**، بل تَعمُّ جميعَ الأُمَم، فتُسأل كلُّ أُمَّةٍ عَن نَبيِّها، وأما بَعد بِعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيُسألُ الجميعُ عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنَّ اللهَ أرسَله لجَميع الناس بلا استثناء.

---

١- «معارج القبول» (٢/ ٧١٣).

**المسألة السابعة: الأصل في سؤال القبر أنَّه يَعُمُّ كلَّ مُكَلَّف**: المؤمن والكافر والمنافق، والكبير والصغير، والمَرأة والرجل.[١]

**المسألة الثامنة: يُستثنى من السُّؤال غيرُ المُكلَّف -على الصحيح-**، كالصبيِّ والمَجنون، ومن صحَّت الأخبار باستثنائه: كالنبي، لأنه يُسأل عنه، ولا يُسأل لأنَّ السؤال يَختصُّ بمن شأنه أن يَفتَتن، وممن لا يُسأل الشهيد الذي امتُحن وثبتَ بجهاده في الدنيا، والصدِّيقُ الذي هو أعلى رُتبة من الشهيد، والمُرابِطُ، ومن داوَم على قراءة سورة المُلك، ومن مات يوم الجُمعة.[٢]



---

١- انظر «إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين» للبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٣٣، وما بعدها).

٢- **انظر أدلة هذه الأقوال، ومذاهب العلماء فيها في عدة كتب، منها**: «التذكرة» (١/ ١٢٥-١٣٠)، و«فهارس الفتاوى» (٣٦/ ٥٤٣)، و«الروح» (ص ١٠٦-١١٢)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٠٠)، و«فتح الباري» (٣/ ٢٣٩)، و«أرجوزة التثبيت»، للسيوطي، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٠)، و«البحور الزاخرة» (١/ ٢٠٦).

# عذاب القبر ونعيمه

**من المسائل العظيمة التي يؤمن بها المسلم أنَّ الناس في قبورهم: إما في نعيم مُقيم، وإما في عذاب وجحيم،** كلٌّ بحسب ما قدَّم من عمل في دار العمل.

**والكلام على عذاب القبر أو نعيمه سيكون في مسائل:**

## عذاب القبر ونعيمه حق ثابت

**المسألة الأولى: عذاب القبر ونعيمه حقٌّ لا مِرية فيه،** ولا يُجادل فيه إلا مُبطِل، فقد جاءت به الآيات القرآنية، وتواترت به النصوص النبوية، ورويت فيه الآثار السلفية، وأجمع عليه أهل الحق.

ومن أوضح الأدلة في القرآن على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر: ٤٥ - ٤٦].

واستدلَّ بهذه الآية وغيرِها البخاري في «صحيحه» في: «**باب ما جاء في عذاب القَبر...**». [١]

---

١- «فتح الباري» (٣/ ٢٠٣).

قال ابن جزي الغرناطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «واستدل أهلُ السنة بهذه الآية على صحة ما ورد من عذاب القبر». انتهى.

ولعِظَم إيمان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ واستيقانهم بهذه الغيبيات كان أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يأتي أصحابَه بعد صلاة العصر، فيقول: «**عَرَجَت مَلائكَةٌ، وهَبَطَت مَلائِكَةٌ، وعُرِضَ آلُ فِرعَوْنَ على النَّار، فلا يَسمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا يَتَعَوَّذُ بالله مِن النَّار**».[٢]

**وبلغت الأحاديث في هذا حدَّ التواتُر.** [٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «وأنتَ إذا تأمَّلتَ أحاديثَ عذابِ القَبْر ونعيمِه وجدتها تفصيلًا وتفسيرا لما دلَّ عليه القرآن». انتهى.

ومنها ما جاء من أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو في تشهده في الصلاة فيقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بك مِن عذاب القَبر، ومِن عذابِ النَّارِ، ومِن فِتنَة المَحْيا والمَمات، ومِن فِتنَةِ المَسِيح الدَّجَّال**»[٥]، وكان يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

١- «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٢٣٢). وانظر «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٤٦).

٢- انظر «شعب الإيمان» (٣٩٦)، و«أهوال القبور» (ص ٤٣).

٣- انظر «التمهيد» (٢/ ٣٠٩)، و«إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ٤٦٠)، و«شرح الصدور» (ص ١٢١)، و«نظم المتناثر» (ص ١٢٥).

٤- «الرُّوح» (ص ١٠٢).

٥- رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

**«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بك مِن فِتنَة النَّار وعذابِ النَّار، وفِتنَة القَبر وعذابِ القَبر»**[١]، إلى غير ذلك من الأحاديث الشاهدة بهذه الحقيقة المتعلقة بعالم الغيب الذي من واجبنا الإيمان والاستيقان به والتسليم له والثبات عليه.

قال أبو الحجاج السَّرَقُسْطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [٢]

وفي الصـــــحيح المســــتفاضِ الـــذِّكرِ
عَـــوْذُ النبـــيِّ مـــن عـــذاب القـــبرِ

---

١- رواه البخاري (٦٣٧٧)، ومسلم (٥٨٩).

٢- «التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد» (ص ٢٠٩). وهي منظومة في الاعتقاد –على طريقة الأشاعرة– تقع في ١٣٧٤ بيتا، وهي لأبي الحجاج يوسف بن موسى السرقسطي الضرير المتكلِّم المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاهدا عالما بالنحو والأدب والتوحيد والاعتقادات.

قال عنه ابن بشكوال في «الصلة» (ص ٦٤٤): «له تصانيف حِسان، وأراجيزُ مشهورة»، وقال عنه القاضي عياض في «الغنية» (١/ ٢٢٦): «قرأت عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقادات وحدثني بالكبرى، وأجازني بها». انتهى.

وانظر «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» (٣/ ١٦١) لشهاب الدين المقري التلمساني.

**انظر ترجمته** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الغنية» للقاضي عياض (١/ ٢٢٦)، و«الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» لابن بشكوال (ص ٦٤٤)، و«بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» للضبي (ص ٤٩٢)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٢/ ٣٦٢)، و«الأعلام» للزركلي (٨/ ٢٥٤)، ومقدمة المحققين للنشرة التي طبعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب (ص ١٣-٢٦):

https://ia800509.us.archive.org/11/items/Tanbeeh_Imam_Addareer/Tanbeeh.pdf

وهــــذه النُّـــكتةُ مـــن أقـــوى العُمَـــدْ
لأنهـــــا قاطِعـــــــةٌ في الـــــــمعتقِدْ

وفي «الصحيحين»[١] قولُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المشركين يومَ الخندق: **«مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُم وبُيُوتَهم نارًا، كما شَغَلُونَا عن صَلاَةِ الوُسْطَى حتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»**.

وعن ابن عباس أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بقبرين، فقال: **«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبان ومَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فكان لا يَسْتَبْرِئُ مِن بَوْلِهِ، وأَمَّا الآخَرُ: فكان يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ»**.[٢]

## السرُّ في تخصيص البَول والنَّميمة بعذاب القبر

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «وقد ذَكر بعضُهم السِّرَّ في تَخصيص البَول والنَّميمة والغِيبة بعذاب القبر، وهو أنَّ القبر أوَّلُ منازِل الآخرة، وفيه أُنْموذَجُ ما يَقع في يوم القيامة مِن العِقاب والثَّواب.

---

١- رواه البخاري (٦٣٩٦)، واللفظ له، ومسلم (٦٢٧).

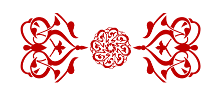
٢- رواه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

٣- «أهوال القبور» (ص ٥٠).

**والمعاصي التي يُعاقَب عليها يومَ القيامة نوعان:** حَقُّ الله، وحَقٌّ لعِباده، وأوَّلُ ما يُقضَى فيه يومَ القيامة مِن حُقوق الله: الصلاةُ، ومِن حُقوق العِباد: الدِّماء.

وأما البَرْزَخُ فيُقضَى فيه في مُقدِّمات هذَين الحَقَّين ووسائلها، فمُقدِّمة الصلاة: الطهارة مِن الحَدَث والخَبَث، ومُقدِّمة الدِّماء: النَّمِيمة والوَقِيعَةُ في الأعراض، وهما أيسَرُ أنواع الأذَى، **فيُبدأُ في البَرْزَخ بالمُحاسَبة والعِقاب عليهما**». انتهى.

**وأما الإجماع على الإيمان بعذاب القبر،** فقد قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وأجمعوا على أنَّ عذاب القبر حق**». انتهى.



---

١- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٥٩).

## أهل البدع ينكرون عذاب القبر

**المسألة الثانية: أنكرت طوائف من أهل البدع ما يقع في القبر من نعيم أو عذاب**[١]، ومن أشهرهم المعتزلة والخوارج والروافض ومن نحا نحوَهم ممَّن يُسَمَّون –زورا– بالقرآنيين، وهم زنادقة جهال بالقرآن، أميُّون في السنة، مولَعونَ بالتكذيب بما لم يحيطوا به علما، قال الله تعالى في أمثالهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[يونس: ٣٩ – ٤٠].

ومن المعلوم أنَّ الشَّرع يأتي بما تَعجز عقولُ الناس عن معرفته، لا بما يُعرف في عقولهم أنه باطل، **فهو يأتي بمُحارات العقول، ولا يأتي بمُحالات العقول.** [٢]

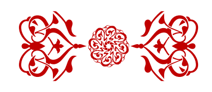
---

١- وانظر الرد عليهم بحجج نقلية وعقلية قوية في «العقائد السلفية» للعلامة ابن حجر آل بو طامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٤٨٢-٤٨٧).

٢- وهذه عبارة يُكثر من استعمالها شيخُ الإسلام ابن تيمية في مؤلفاته. انظر على سبيل المثال «الجواب الصحيح» (٤/ ٣٠٩)، و«درء التعارض» (٥/ ٢٩٧).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في مَعرض رده على أصحاب الرأي المذموم، والكلام المسموم: «فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته برأيهم وقياسهم». انتهى.

وقال الكشميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «عذاب القبر ثبَت متواتِراً، وقال به أهل السنة والجماعة قاطبة، **ومنكر التواتر هذا لا ريب في تبديعه**». انتهى.



---

١- «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠٥٢)، مختصرا.

٢- «العرف الشذي شرح سنن الترمذي» (٢/ ٣٤٩)، باختصار.

## أحوال البرزخ

**المسألة الثالثة: ما يقع في القبر هو أول الجزاء وبداية قطف الثَّمر، فمن** وُفِّقَ في الجواب فهو في روضة من رياض الجنة، ومن خُذِلَ فإلى الأخرى ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩].

وروي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولُه: «**إنَّما القَبرُ رَوضَةٌ مِن رِياضِ الجنَّة، أو حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّار**».[١]

وعن عَبدِالله بنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إنَّ أحَدَكُم إذا مات عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَداة و العَشِيِّ، إنْ كان مِن أهل الجنَّة فمِن أهل الجنَّة، وإنْ كان مِن أهل النَّار فمِن أهل النَّار، فيُقال: هذا مَقْعَدُكَ حتَّى يَبْعَثَكَ الله يومَ القيامة**».[٢]

**وفي هذا:** تنعيم للمؤمن وتعذيب للكافر بمعاينة ما أعد الله لكل واحدٍ منهما، وانتظار ذلك إلى اليوم الموعود، فإذا أعيدت الأرواح إلى الأجساد استكمل كل فريق منهم ما أعدَّ الله له.[٣]

---

١- رواه الترمذي (٢٤٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٦١٣)، وضعفه جدا الألباني. انظر «الضعيفة» (٤٩٩٠)، و«ضعيف الجامع» (١٢٣١)، و«تخريج شرح الطحاوية» (ص ٢٩٦).

٢- رواه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

٣- انظر «إكمال المعلم» (٨/ ٤٠٢)، و«المفهم» (٣/ ٧١٦).

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**المؤمن غير الشهيد هو الذي يُعرض عليه مقعده من الجنة وهو في موضعه من القبر** أو حيث شاء الله تعالى **غير سارح في الجنة، ولا داخل فيها**، وإنما يدرك منزلته فيها **بخلاف الشهيد، فإنه يباشر ذلك ويشاهده وهو فيها**، وكذلك أرواح الكفار تشاهد ما أعد الله لها من العذاب عند عرض ذلك عليها». انتهى.

فالمؤمن يناله من هذا النعيم العظيم ومع هذا يقول: «**رَبِّ أَقِمْ السَّاعةَ حتَّى أَرْجِعَ إلى أهْلِي ومالِي**»، وأما الكافر -وفي رواية الفاجر-، فيقول: «**رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ**»[٢]، لأنه يعلم أنه إذا كان معذَّبًا في القبر، فإنَّ عذابَ الآخرة أشدُّ وأبقى.

قال ابن القيم[٣]: «يُنَعَّم المؤمن في البرزخ على حسَب أعماله، ويُعذب الفاجِر فيه على حسب أعماله، **ويختص كل عضو بعذاب يليق بجِناية ذلك**

---

١- «المفهم» للقرطبي (٣/ ٧١٦)، باختصار.

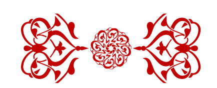
٢- من حديث البَراء بن عازِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الطويل الذي رواه أحمد (١٨٥٣٤، ١٨٦١٤)، وأبو داود (٣٢١٢) وغيرهما، **وفيه تفصيل ما يقع عند الاحتضار إلى ما يكون في البَرزَخ، وهو حديث جليل القدر**، قال عنه ابن تيمية -كما في «الفتاوى» (٤/ ٢٩٠)-: «هو حديث حسن ثابت».

**وقد جمع طُرُقه في موضع واحد -على عادته- العلامة المحدث الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «أحكام الجنائز» (ص ١٥٦-١٥٩)، فراجعه فإنه مفيد.**

٣- «تحفة المودود» (ص ٣٠٥).

**العُضو**»، ثم فصَّلها بأتمِّ بيان -كعادته- رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعة.

فمن كان مستوحشا مع الله بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد، ومن قرَّت عينُه بالله في هذه الحياة قرَّت عينُه به عند الموت وفي البرزخ ويوم القيامة، **فإنَّ العبدَ يموت على ما عاش عليه، ويُبعث على ما مات عليه، ويعود عليه عملُه بعينه فيَنعمُ به ظاهرا وباطنا،** ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[الإسراء: ٧٢]. [١]

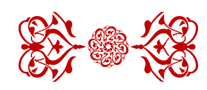


١- انظر «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ٨٣).

## عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن

**المسألة الرابعة:** اتَّفقَ أهلُ السنة والجماعة أنَّ العذاب والنَّعيم في القبر يكون على الروح منفردةً، وعليها وعلى البدن حين اتصالهِا به، **وإنما وقع الخلاف بينهم في حُصُولِ العذابِ والنَّعيمِ للبدن بدون الروح.**

**والحقُّ الَّذي تنصُرُه الأدِلَّةُ هو أنَّ العذابَ والنَّعيمَ على الروحِ والجَسَدِ مَعًا، وهذا هو الَّذي اختارَه جماعة من المحقِّقين من أهل العلم.** [1]



١- انظر: «الفتاوى» (٤/ ٢٨٢)، و«مختصر الفتاوى المصرية» (ص ٢٦٩)، و«الروح» (ص ٧٠)، و«شرح الطحاوية» (ص ٢٩٩)، و«الآيات البَيِّنات في عَدَم سَماع الأموات» للآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١١٣).

## عذاب القبر: منقطع ومستمر

**المسألة الخامسة: عذاب القبر منه ما هو مستمر، ومنه ما هو منقطع.** [١]

**أما المستمر منه،** فهو الذي يكون للكفار خاصة ولبعض عصاة الموحدين الذين لم يَطهُروا من خطاياهم بعدُ أو هم يُعذبون على ذنوبٍ معينة استوجبت استمرار العذاب عليهم إلى قيام الساعة.

**وقد يكون العذاب منقطعا،** وهذا لعصاة الموحدين خاصة، لأنه عذاب ينقطع قبل يوم القيامة، ويزول بزوال سببه.

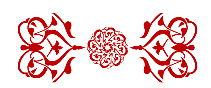
فإنَّ المؤمنَ يُعذَّبُ بقَدْر ما فيه من نجاسة المعصية أو البدعة أو الشرك الأصغر، وبحسب عِظَم جُرْمِه تكونُ شدَّةُ عذابه كَـمًّـا وكيفا، حتى إذا طَهُرَ ومُحِّصَ توقَّفَ عنه العذاب، وأدخله الله الجنَّة يوم الحِساب، فإنَّ الجنةَ دار طيبة لا يَدخلُها إلا طَيِّبٌ خالِص، كما أنَّ النار دارُ الخُبث في الأقوال والأعمال ولا يَلِيقُ بها إلَّا خبيثٌ خالِصٌ في الخُبث، فإنَّ نَجاسة الشِّرك لا تُطهِّرُها النار، فإذا دخلها المشركُ شركًا أكبرَ لم يخرُج منها أبدا، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ

---

١- انظر لهذه المسألة: «الروح» (ص ١٢١)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٠٠)، و«موسوعة العقيدة» (٤/ ٢٠٢٤).

﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأعراف: ٤٠ - ٤١]، بخلاف المؤمن، فإنَّ عذابَه فيها أمديٌّ، ولا بد له من المصير إلى دار النعيم إذا أذهبَت النار منه خَبَث الذنوب ودَرَن المعاصي.

**اللهم اجعلنا ممن يَنْعم في الدنيا بالإيمان، وفي البرزخ، ويوم القيامة بالأَمان، يا كريم يا منَّان.**



## وجه التعبير بعذاب القبر دون النعيم عند الكلام على البرزخ

**المسألة السادسة: غالبًا يُعَبِّرُ أهلُ العلم بـ«عذاب القبر»** [1]، مع العلم أن هناك نعيماً في القبر أيضا، ولعلَّ السبب في ذلك –والله أعلم- **راجع إلى عدة أوجه بعضُها أقوى من بعض:**

① **الوجه الأول**: أنَّ أكثرَ الخَلق يُعَذَّبون –والعياذ بالله-، كما أن أكثر الخلق في النار، ففي «الصحيحين»[2]: **قال النَّبيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقولُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **يومَ القيامة: يا آدَمُ، يقولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْك، فيُنادَى بصوت: إنَّ اللهَ يأمُرُك أنْ تُخرِجَ مِن ذُرِّيَّتِك بَعْثًا إلى النَّار، قال: يا رَبِّ وما بَعْثُ النَّار؟ قال: مِن كُلِّ ألْفٍ تِسْعَ مائَةٍ وتِسعَةً وتِسعِينَ**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما عدَّد أسباب العذاب في القبر[3]: «ولما كان أكثر الناس كذلك، **كان أكثر أصحاب القبور معذبين، والفائز منهم قليل،** فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب». انتهى.

---

١- وبعضهم يذكر النعيم أيضا، كما فعل ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»، حيث قال: «فيُؤْمِنُون بفِتْنة القبر، وبِعذاب القبر ونَعيمِه».

٢- رواه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢).

٣- «الروح» (ص ١٠٥).

② **الوجه الثاني**: أنَّ أهل البدع أنكروا العذاب، ولو كان الكلام على النعيم فقط لما أنكره منهم أحد، ولكنهم استعظموا وجود العذاب، فجرهم ذلك إلى إنكار كل ما يتعلق بالبرزخ من نعيم أو عذاب، بخلاف أهل الإيمان فإنهم يثبتون العذاب والنعيم، وهم أهلٌ للنعيم -إن شاء الله-.

③ **الوجه الثالث**: أنَّ النصوص وردت في الاستعاذة بالله من عذاب القبر، ولم ترد بسؤال الله النعيم فيه، ومِن ذلك ما مرَّ معنا: «**اللهُمَّ فإنِّي أعُوذُ بك مِن فِتنَةِ النَّارِ وعذابِ النَّار، وفِتنَةِ القبرِ وعذابِ القبرِ**».

④ **الوجه الرابع**: أنَّ للقبر ضغطةً لا ينجو منها أحد إلا الأنبياء –كما مرَّ بيانه–، وعليه، فإنَّ القبر فيه نوع ألَمٍ حاصلٍ لكل أحد من هذه الجهة.

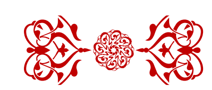
⑤ **الوجه الخامس**: أنَّ أسباب تفريج الهموم وتنفيس الشدائد يوم القيامة أكثر منها في القبر، مع الإيمان بوجود نعيم عظيم ينتظر المؤمنين في البرزخ.

⑥ **الوجه السادس**: أنَّ القبر أوَّلُ منازل الآخرة، وجاء عن السلف أنه فظيع المنظر، ولهذا كان عثمان بنُ عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف على قبر بكى حتى يَبُلَّ لحيتَه فيُقال له: تذكر الجَنة والنَّار فلا تبكي وتبكي مِن هذا؟ فيقول: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ القبرَ أوَّلُ مَنازِلِ الآخرة، فإنْ**

**نَجا منه، فما بعدَهُ أيْسَرُ منه، وإنْ لم ينْجُ منه، فما بعدَهُ أشَدُّ منه**»، وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ما رأيتُ مَنْظَرًا قَطُّ إلَّا والقبرُ أفْظَعُ منه**».[1]

قال الطيبي رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «لعله سمَّى أحوالَ العبد في القبر بعذاب القبر **على تغليب فتنة الكافر على فتنة المؤمن ترهيباً وتخويفاً، لأنَّ القبرَ مَقام الهَوْل والوَحشة، ولأنَّ ملاقاة الملكين مما يهيب المؤمن**». انتهى.

⑦ **الوجه السابع**: أنَّ الذي اشتهر في القرآن من الأدلة جاء حول عذاب آل فرعون كما في آية «غافر»، ومن السنة في قصة الرجلين اللَّذين يُعذَّبان على النميمة وعدم التنزه من البول، وغيرها من الأدلة، كما سبق تفصيله.



---

١- رواه الترمذي (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٣٩١).

٢- «شرح المشكاة» (٢/ ٥٨٧).

## نسبة العذاب للقبر نسبة أغلَبِيَّة

**المسألة السابعة: التعبير بعَذاب القَبر نسبةً للقبر من باب التغليب،** وإلا فمن ذُرّيَّ في الهواء، أو أكله الحوت في الماء، أو بقي معلَّقاً في السماء، فإنه إن كان كافراً ستَختَلفُ أضلاعُه ويشتعلُ عليه قبرُه نارًا، وسيسأله الملكان، ولو فُعِل به ما فُعِل بعد الموت، فبعض الفراعنة مُحَنَّطٌ إلى الآن، وهو إن مات على الكفر فهو يعذب عذابًا أليما، وكذلك بعضُ المؤمنين ما بقي منه شيء لما مات، فربما خسف به أو نسف من فوقه أو حُرِّقَ بالنار، ولكنه الآن يُنَعَّم، لأنَّ الغَيب محجوبٌ عنا، والمؤمن يؤمن به على حقيقته، وإن جَهِلَ الكيفية، وهذا عام في كل السمعيات والغيبيات.

قال ابن القيم[1]: «حتى لو عُلِّق الـمَيِّتُ على رُؤُوس الْأَشجار في مَهابِّ الرياح، لأصابَ جَسَدَهُ من عذابِ البَرزخ حَظُّهُ ونَصِيبُه، ولو دُفِن الرَّجلُ الصالحُ في أَتُونٍ[2] من النار لأصاب جسدَه من نَعيم البَرزخ ورَوْحِه نصيبُه وحَظُّه، **فَيجْعَلُ اللهُ النَّارَ على هذا بَردًا وسلَامًا، والهواءَ على ذلك نارًا وسَمُومًا**». انتهى.

---

١- «الرُّوح» (ص ٩٨).

٢- هو المَوقِدُ الكبير. انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٧).

## من أسباب عذاب القبر

**المسألة الثامنة: أسباب عذاب القبر كثيرة، منها:** [١]

- الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض الناس.
- والكذب، سيما الكذب الذي يبلغ الآفاق. [٢]
- وعدم التنظف من البول.
- وعدم العمل بالعلم.
- والغُلول: وهو الخِيانةُ في المَغْنَم والسَّرقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة. [٣]
- وتعذيب الحيوان. [٤]
- والكبر والخُيَلاء.
- وأكل الربا.
- والزنا.
- والنوم عن الصلاة.

---

١- انظر «الروح» (ص ٧٧-٧٩)، و«موسوعة العقيدة» (٤/ ٢٠٣٠-٢٠٣١).

٢- وما أكثر وأسهل ذلك في عالم التقنيات ووسائل التواصل الاجتماعي!! والله المستعان.

٣- «النهاية» (٣/ ٣٨٠).

٤- انظر محاضرة نفيسة للعلامة محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسائل الإصلاح» (١/ ١٣٩-١٤٧) بعنوان «الرفق بالحيوان».

- والتَّأَلِّـي على الله، وهو القول والحُكم عليه بغير علم.[١]

وغير ذلك من الأسباب التي أوجبت لأهلها العذاب في قبورهم، والعياذ بالله من حالهم ومآلِهم.



١- انظر «النهاية» (١/ ٦٢).

## من الأسباب المُنجية من عذاب القبر

**المسألة التاسعة: الأسباب المُنجية من عذاب القبر كثيرة**، جِماعها: تحقيق التوحيد، واتباع سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والاستقامة على شرعه ظاهرا وباطنا، والإكثار من محاسبة النفس، والإسراع بالتوبة، ولكن جاء التنصيص على أسباب معينة تُنجي من عذاب القبر، **ومن ذلك**: [1]

- الرباط والشهادة في سبيل الله.
- المداومة على قراءة «سورة الملك» كل ليلة.
- والموت بمرض البطن، وغير ذلك.

---

١- انظر «التذكرة» (ص ٤١٥-٤٢٦)، و«الروح» (ص ٧٩-٨٣)، و«موسوعة العقيدة» (٤/ ٢٠٣٢).

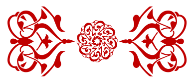
## أحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا

**المسألة العاشرة: أحوال الروح أحوال عجيبة لا نعلمُ كُنهَها، ولا نُحيطُ** بتفاصيلها، بل هي مما استأثر اللهُ بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا لما سأل اليهودُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الروح نزل قولُ الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥]. [١]

**فإن عالم الروح عالم عجيب، وعجائبُه أعظمُ مما نتصور، فيجبُ أن نتكلم** عنه بقدر ما جاءنا في النصوص الثابتة، لا نجاوز ذلك طرفة عين، **فإنَّ مَن تكلَّف علوماً لم يُؤمَر بها ولم يأتِ الدليلُ بكَشفها فإنه واقف على شَفِير هَلَكة، ويوشِك أن يَقع على أُمِّ رأسه في خَندق الـمُتَنطِّعين وهُوَّة الـمُتَكلِّفين.**

يقول ابن رسلان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الزُّبَد»: [٢]

والـــروحُ مَـــا أخـــبر عنهـــا الـــمُجْتَبَى
فنُمسِـــــكُ الـــــمَقالَ عنهـــا أدَبَـــا



---

١- رواه البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (٢٧٩٤).

٢- انظر «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان» للرملي (ص ١٨).

## الحكمة في حَجب أحوال القبر على الناس

**المسألة الحادية عشرة: عذاب القبر من الأمور الغيبية** التي شاء الله بحكمته وعلمه عدمَ إطلاعِ الثَّقلين عليها، **وذلك لِحكم منها**:[١]

- ابتلاء الخَلق بالإيمان بالغيب، ولو كان شهادَةً لآمَن الخَلقُ كلُّهم جميعا.
- ضعف الإنسان وعدم تحمُّله، فإنه لو اطَّلع على عذاب القبر لغلبَه الخوف والرُّعب عند سماعه.
- إنَّ السامعَ يُصعَق ويَهلك بنفس سماعه، وذلك لضعف هذه القوى في هذه الدار. ألا ترى أنه إذا سمع الناسُ صَعقةَ الرعد القاصِف أو رجَّة الزلزال الهائل هلك كثير منهم؟ وأين صَعقة الرعد من صيحة الذي تَضرِبُه الملائكة بمطرَقة من حديد، فيسمعُها كل من يليه إلا الثَّقلين؟ ولما ذكر النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فتنة القبر قال: «**وأمَّا الكافِرُ -أو المنافقُ- فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُ النَّاسُ، فيُقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ، ثم يُضرَب بمِطرقة مِن حَديد ضَربةً بين أُذنيه، فيَصِيحُ صَيحةً يَسمَعُها**

---

١- انظر «المفهم» (٧/ ١٤٦)، و«الروح» (ص ٦٦)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٠٠)، و«التوضيحات الجلية» (٣/ ١٠٣٦).

**مَن يَليه إلا الثَّقَلين»**.[١]

- امتناع الحي من التدافن بل ومن الاقتراب من القبور من هَول ما يسمع، وإليه أشار النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقوله: «**لولا أن لا تَدافَنوا لدَعَوْتُ اللهَ أن يُسْمِعَكُم مِن عذاب القَبر**».[٢]

**ولما كانت هذه الحكمة مَنفِيَّةً في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته**، فعن زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: بينما النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، **إذ حادت به فكادت تلقيه**، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَن يَعْرِفُ أصحابَ هذه الأقبُرِ؟**» فقال رجل: أنا، قال: «**فمتى ماتَ هؤلاء؟**»، قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إنَّ هذه الأُمَّةَ تُبتلَى في قُبورِها، فلولا أن لا تَدافَنُوا، لدعَوْتُ اللهَ أن يُسْمعكم مِن عذاب القبر الذي أسمَعُ منه**»، ثم أقبَلَ علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «**تعَوَّذوا بالله مِن عذاب النار**»، قالوا: نعوذ بالله مِن عذاب النار، فقال: «**تعَوَّذوا بالله مِن عذاب القبر**»، قالوا: نعوذ بالله مِن عذاب القبر.[٣]

---

١- رواه البخاري (١٣٣٨).

٢- رواه مسلم (٢٨٦٨).

٣- رواه مسلم (٢٨٦٧).

**المسألة الثانية عشرة: القبر هو برزخ، والبرزخ هو مكان ما بين الدنيا والآخرة**، ولكنه مكان وقتي، ليس فيه خُلود، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٠]، **والبرزَخُ لغةً**: الحد والحاجز بين شيئين، وهو هنا: مابين الموت والبعث، فمن مات فقد دخل في عالم البرزخ.[١]

قال مجاهد : «**البرزخ**: الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا».

وقال الحسن : «**البرزخ**: هي هذه القبور التي بينكم وبين الآخرة».

وقال عطاء الخراساني : «**البرزخ**: مدة ما بين الدنيا والآخرة».

وقال رجل بحضرة الشعبي: «رحم الله فلانا فقد صار من أهل الآخرة!»، فقال: «**لم يصر من أهل الآخرة، ولكنه صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة**».[٢]

قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «**إعادة الروح إلى الجسد في البرزخ إعادة برزخية، لا تزيل عن الميت اسم الموت**». انتهى.

---

١- انظر «التذكرة» (ص ٤٧٦)، و«الكليات للكفوي» (ص ٢٢٦، ٢٤٩)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» (ص ٧٥)، و«موسوعة العقيدة» (١/ ٥١٥-٥٢٠).

٢- انظر هذه الآثار في «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٥٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١١٥)، ومقدمة «أهوال القبور» لابن رجب (ص ٥).

٣- «الصارم المنكي في الرد على السُّبكي» لابن عبد الهادي (ص ٢٢٣).

## حكم قول: «انتقل إلى مثواه الأخير»

**المسألة الثالثة عشرة:** غلَّط العلماء من يقول عن الميت: «**انتقل الى مثواه الأخير**» أو «**شُيِّع الى مثواه الأخير**»، فإن هذا غلَط فاحِش، أصلُه من الملاحِدة الذين لا يؤمنون ببعث ولا نُشور ولا جنة ولا نار.[١]

وأما المسلم، فلا يليق به أن يقول مثل العبارات، لأنَّه يعلم يقينا أنَّ القبر مرحلةٌ وقتيَّة، يَعقُبها يوم القيامة وما فيه أهوال عِظام، وأنَّ المثوى الأخير إمَّا في جنة ونعيم، أو في عذاب وجحيم، أمَّا مراحِلُ الدار الآخرة الأخرى فإنها وقتيه وإن طالَت مُدَّتها.

ولهذا لما سمع أعرابيٌّ رجلا يقرأ قوله تعالى:﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[التكاثر: ١ - ٢]، قال: «**ورب الكعبة إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره**»[٢]، لأن الذي يزور لا بد أن ينصرف يوما، بخلاف المثوى الأخير فإن العبد لا يملِكُ عنه حِوَلا.[٣]

---

١- انظر «معجم المناهي اللفظية» للعلامة بكر أبو زيد (ص ٤٧٦)، وفيه: «فلو أطلقها إنسان معتقداً ما ترمي إليه من المعنى الإلحادي الكفري المذكور؛ لكان كافراً مرتداً، فيجب إنكارُ إطلاقها، وعدم استعمالها». انتهى.

٢- «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٧٤).

٣- انظر «المناهي اللفظية» للعلامة ابن عثيمين (ص ١٠٧).

## تفاوت أحوال الناس في البرزخ

**المسألة الرابعة عشرة: الدور ثلاث:** دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن وروح، **وجعل أحكام الدنيا على الأبدان،** والأرواح تبع لها، **وجعل أحكام البرزخ على الأرواح،** والأبدان تبع لها، **فإذا جاء يوم حشر الأجساد** وقيام الناس من قبورهم **صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا.** [1]

**المسألة الخامسة عشرة: أرواح الناس متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت:** [2]

- **فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى،** وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الإسراء.
- **ومنها: أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت،** وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تُحبَس روحُه

---

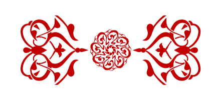
١- «الصارم المنكي في الرد على السُّبكي» لابن عبد الهادي (ص ٢٢٣)، و«الروح» لابن القيم (ص ٦٣)، وعنه شارح «الطحاوية» (ص ٢٩٩).

٢- انظر «الروح» (ص ١١٥-١١٦)، وعنه السيوطي في «اللُّمعة في الأجوبة السبعة» (ص ١٢-١٨) و«شرح الصدور» (ص ٢٣٧)، والسفاريني في «البحور» (١/ ١٠٢-١٠٤).

عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره.

- **ومنها: ما يكون على باب الجنة.**
- **ومنها: ما يكون محبوسا في قبره.**
- **ومنها: ما يكون محبوسا في الأرض.**
- **ومنها: ما يكون في تنور** كالزناة.
- **ومنها: ما يكون في نهر الدم** تسبح فيه وتلقم الحجارة كأهل الربا.

**فليس للأرواح سعيدِها وشقيِّها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وأخرى محبوسة في الأسفلين.**



## حياة الأنبياء والشهداء في قبورهم لا تعني جواز الاستغاثة بهم

**المسألة السادسة عشرة:** الأنبياء والشهداء أحياء في قبورهم حياةً برزخية نؤمن بها ونستيقن بحقيقتها، **وللأنبياء من الحياة في البرزخ أكمل مما للشهداء**، ولهذا لا تبلى أجسادُهم، والذي للشهداء أكمل مما لغيرهم من المؤمنين الذين ليسوا بشهداء

ومع هذا، فنحن نؤمن بأنَّ هذه الحياة الخاصة ليست من جنس حياتهم في الدنيا، بل هي حياة أخرى في دار أخرى لها أحكام أخرى، لا يعلم كُنهَها إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

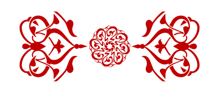
قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وقد غلِط من زعم أنها نظيرة للحياة المعهودة، فإنَّ هذا مخالف للمنقول والمعقول**، ويلزم منه مفارقة الروح للرفيق الأعلى وحصولها تحت التراب قرناً بعد قرن، والبدن حي مدرِك سميع بصير تحت أطبقا التراب والحجارة، ولوازم هذا القول الباطلة مما لا يخفى على العقلاء». انتهى.

وعليه، **فإن هذه الحياة البرزَخية لا تعني علمهم بالغيب، ولا اطلاعهم على أحوال أهل الدنيا، فضلًا عن الخَلق والتكوين واستحقاق العبادة والذبح**

---

١- «الصارم المنكي» (ص ٢٢٥)، بتصرف يسير اقتضاه السياق.

**والنذر والدعاء**[١]، فإنَّ هذا من جنس كفر المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾[فاطر: ١٣ - ١٤].



١- انظر «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص ٣٢٠)، و«الفتاوى» (٢٧/ ٧١).

# النفخ في الصور

بعد الكلام على ضَغطة القبر وفتنته وعذابه أو نعيمه، نتكلَّم الآن على البَعث والنُّشور وقيام الناس من القبور، **ولكن سنذكُر قبلَها ما يتعلَّقُ بالنفخ في الصور**، لأنه سبب لخروج أهل القبور وغيرهم، إذْ بعده يعيد اللهُ الرُّفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرَّق منها في البحار وبطون السباع وغيرها، حتى تصير كهيئاتها الأولى، ثم يجعل فيها الأرواح فيقومُ الناسُ كلُّهم أحياءً لربِّ العالمين.[1]

**والكلام على هذا سيكون في مسائل:**

## حقيقة النفخ في الصور وأدلته

**المسألة الأولى:** النَّفخُ معناه في اللغة واضح، **والصُّور هو القَرنُ الَّذي يُنفَخُ فيه، وهو كهيئة البُوق**، كما جاء في عِدة آثار عن السلف.[2]

بوَّبَ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه»[3]: «**بابُ نَفْخ الصُّور**. قال مُجاهِد: «الصُّورُ كهَيئة البُوق» ﴿زَجۡرَةٞ﴾ [الصافات: ١٩]: «صَيْحَةٌ»، وقال ابنُ

---

١- انظر «التذكرة» (ص ٤٧٩).

٢- انظر «تفسير الطبري» (١١/ ٤٦٣)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٣٩).

٣- «فتح الباري» (١١/ ٣٦٧).

عَبَّاس: ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]: «الصُّور»، ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]: «النَّفْخَةُ الأُولَى»، وَ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧]: «النَّفْخة الثانية»».

**المسألة الثانية:** جاء ذكر الصُّور والنفخِ فيه في عدد من النصوص، منها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[المؤمنون: ١٠١]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[النبأ: ١٨]، ولما سأل أعرابيٌّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الصُّور قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه»[١]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كيْفَ أَنْعَمُ وقَد التَقَم صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وحَنَى جَبْهَتَهُ وأَصْغَى سَمْعَهُ يَنتَظِرُ أنْ يُؤْمَرَ أنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ**»، فكَيْفَ نَقُولُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا على الله رَبِّنا**».[٢]

**المسألة الثالثة:** الذي يتولَّى النَّفْخَ في الصُّور مَلَك من سادات ملائكة الرحمن، وهو إسرافيل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ باتفاق العلماء.[٣]

---

١- رواه أحمد (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠).

٢- رواه أحمد (١١٠٣٩)، والترمذي (٣٢٤٣)، واللفظ له، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٩).

٣- انظر «التذكرة» (٤٨٨).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «اشتهر أنَّ صاحبَ الصُّور إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونقل فيه الحليميُّ الإجماع». انتهى.

## عدد النفخات في الصور

**المسألة الرابعة:** قيامُ الناسِ من قُبورهم يكون بعد نَفخة البَعث، **وقد اختلف أهلُ العلم في عدد النَّفخَات:**[٢]

**① القول الأول:** ما ذهبَ إليه بعضُ أهل العلم كابن العَربي المالكي وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وصاحبه ابن كثير والسفاريني وغيرِهم، **إلى أن النَّفَخَاتِ ثَلاثٌ**[٣]، **وهي:**

١- «فتح الباري» (١١/ ٣٦٨). وانظر «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (١/ ٤٣١).

٢- انظر «التذكرة» (ص ٤٩٠)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٦٩)، و«موسوعة العقيدة» (٦/ ٢٩٨٢).

٣- انظر «عارضة الأحوذي» (١/ ٣٣٤)، و«سراج المريدين في سبيل الدِّين» لابن العربي (طُبع من قريب عن دار الحديث الكتانية بتحقيق د. عبدالله التوراتي، ولكنني لم أطلع عليه بعد)، وعنه ينقل هذا القول القرطبي في «التذكرة» (ص ٤٩٠). وانظر «الفتاوى» (٤/ ٢٦٠) (١٦/ ٣٥)، و«تُحفَةُ المَودُود» (ص ٣٠٦)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٦)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٦١)، و«التنبيهات السنية» للرشيد (ص ٢٢٦). قلت: وربما فُهِم هذا الاختيار أيضا من كلام الحليمي في «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٤٣٤).

**الأولى**: **نَفخةُ الفَزَع**: وقد ذكَرها الله تعالى في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[النمل: ٨٧]، وفي قوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[يس: ٤٩].

**والثانية**: **نَفخةُ الصَّعْق**: وهي المَذكورةُ في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨].

**والثالثة**: **نَفخةُ القِيام أو البَعْث**: وهي المَذكورةُ في نفس الآية بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[يس: ٥١].

وجاء التصريح بالنفخات الثلاث في «حديث الصور» المشهور المرويِّ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث قد ضعَّفه جماعة من أهل العلم وحكموا عليه بالاضطراب كالحافظ ابن حجر وغيره.[1]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساقه في «التفسير»[2]: «هذا حديث مشهور وهو غريب جدا، **ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة**». انتهى.

---

١- انظر «فتح الباري» (١١/ ٣٦٨)، و«ضعيف الترغيب والترهيب» للألباني (٢٢٢٤).

٢-(٣/ ٢٨٧).

② **والقول الثاني**: ما اختاره جماعة من أهل العلم كالقرطبي والماوَردي والحافظ ابن حجر وغيرِهم، بل عدَّ علامةُ القيروان الشيخ عبد الرحمن خليف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القولَ هو الأشهر عند أهل العلم[١]، وحاصله أنَّ **النَّفَخاتِ اثنتان**[٢]، وهي:

**الأولى**: **نَفْخَةُ تَبدأُ بالْفَزَعِ وتنتهي بالصَّعْق.**

**والثانية**: **نَفْخَةُ القِيام أو البَعْث.**

واستدلوا لهذا القول بحديث عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في «صحيح مسلم»[٣]، وفيه قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلَّا أَصْغَى لِيتًا ورَفَعَ لِيتًا، قال: وأَوَّلُ مَن يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إبله، قال: فَيَصْعَقُ، ويَصْعَقُ النَّاسُ** [هذه نفخة الفزع والصَّعق]، **ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أَوْ قال**

١-في كتابه الماتع «مشاهد الناس بعد الموت» (ص ٢٢)

٢- انظر «أحكام القرآن» (١٣/ ٢٤٠)، و«التذكرة» (ص ٤٩١)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٤٦) (١١/ ٣٦٩-٣٧٠)

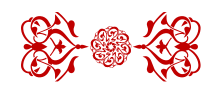
٣- (٢٩٤٠). واستدلَّ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٦/ ٢١٦) بنفس هذا الحديث على أنَّ النفخات ثلاث! ووجه الاستدلال أنَّ قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّور، فلَا يَسْمَعُهُ أحَدٌ إلَّا أَصْغَى لِيتًا ورَفَعَ لِيتًا [**هذه نفخة الفزع**]، (...) فيَصْعَقُ، ويَصْعَقُ النَّاسُ [**وهذه نفخة الصَّعق**]، (...) ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى [**وهذه نفخة البعث**]، فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُون».

**يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كأَنَّهُ الطَّلُّ أَو الظِّلُّ** -شكَّ الراوي- **فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى** [وهذه نفخة البعث]، **فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الصحيحُ في النَّفْخ في الصُّور أنهما نَفْختان لا ثلاث، **وأنَّ نفخة الفزَع إنما تكونُ راجِعةً إلى نفخة الصَّعْق**». انتهى

**وعليه، فالنفخة الأولى هي نفخة الصَّعْق، سُمِّيَت تارةً بنفخة الفزع باعتبار مبدئها، وسُمِّيَت تارة أخرى بنفخة الصَّعق باعتبار منتهاها، وتكون الثانيةُ بعد ذلك نفخةً للبعث والقيام.**

وهذا هو الذي يُصَدِّقُهُ علمُ الطب الآن، فإنَّ الإنسان إذا فَجِئَهُ مُخَوِّف ربما هلك، فيفزع أولا ويهْلَكُ آخرا.[٢]



١- «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٤٠).

٢- انظر تعليق شيخنا صالح العصيمي على «أعلام السنة المنشورة»، فهو متين بحق.

## المدة بين نفختي الصور

**المسألة الخامسة:** جاء التصريح بالمُدَّةُ التي تكون بين النَّفختين أي نفخة الصَّعق والبَعث بها في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بين النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قالوا: يا أبا هريرة أرْبَعُونَ يومًا، قال: أَبَيْتُ، قال: أرْبَعُونَ سَنَةً، قال: أَبيْتُ، قال: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قال: **أَبَيْتُ، ويَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِن الإنسان، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فيه يُرَكَّبُ الخَلْقُ**».[1]

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «قوله: «**أَبيتُ**» أي: امْتَنعتُ عن القول بتعيين ذلك، لأنَّه ليس عندي في ذلك تَوقِيف». انتهى.

وقال أبو عبدالله الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «فإذا مات الأحياءُ كلُّهم تُرِكوا أربعين سنة، ثم نُفِخ في الصُّور نفخةَ الإِحياء، **واتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين، وقال العلماء: هي أربعون سنة**». انتهى.

وقد ردَّ هذا ابنُ حجر في «الفتح»[4]، فقال: «**وزعم بعض الشراح أنه وقع عند** «**مسلم**» **أربعين سنة، ولا وجود لذلك**. نعم، أخرج بن مردويه من

---

١- البخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥)

٢- «الفتح» (٨/ ٥٥٢). ونحوه في «شرح النووي» (١٨/ ٩١).وانظر للفائدة «المفهم» (٧/ ٣٠٦)

٣- «المنهاج» (١/ ٤٣٤)، ونقله عنه القرطبي في «التذكرة» (ص ٤٩١). وانظر «الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة» لأبي حامد الغزالي (ص ٣٩)، حيث نَسب القول بأنها ٤٠ سنة إلى الجمهور.

٤- (٨/ ٥٥٢).

طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد: «أربعون سنة»، وهو شاذ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس». انتهى.

ونظمَ الإمامُ ابن القيم ما يقع بين النفختين في أبيات جميلة عَذبة يَحسُن حِفظُها، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[1]

وإذا أَرادَ اللهُ إِخـــــــــراجَ الـــــــــوَرى

بعـــدَ الممـــاتِ إلـــى الـــمَعاد الثَّــاني

أَلقـــى علـــى الأرض التـــي هُـــمْ تحتهـــا

والله مقْـــــــــــتَدِرٌ وذُو سُــــــــــلطانِ

مَطـــــرًا غَليظًـــــا أبيَضًـــــا مُتتابِعًـــــا

عَشْـــــرًا وعَشْـــــرًا بعـــدها عَشْـــرانِ

فتَظَـــلُّ تَنبُـــتُ منـــه أجســـامُ الـــوَرى

ولُحـــــومُهمْ كمَنابِــــت الرَّيْحـــــانِ

حتـــــى إذا مـــــا الأُمُّ حـــانَ وِلادُهـــــا

وتَمَخَّضَـــــــتْ فنِفَاسُـــــــها مُتَـــــدانِ

أوحـــى لهـــا رَبُّ السَّـــمَا فتَشـــقَّقتْ

١- انظر: «النونية» (ص ١٣)، وفي «معارج القبول» (٢/ ٧٩٧-٧٩٩) شرح لهذه الأبيات.

فبَـــدا الـــــجَنينُ كأكْمـــــلِ الشُّـــــبَّانِ

وتَخَلَّـــــتِ الأُمُّ الوَلُــــودُ وأَخرجَـــــتْ

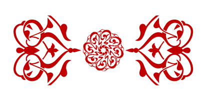
أثقالَهـــــا أُنثـــــى ومِـــــن ذُكـــــرانِ

واللهُ يُنْشِـــــــئُ خَلقَـــــهُ في نَشـــــأةٍ

أُخـــرى كمـــا قـــد قـــال في القـــرآنِ

هـــذا الـــذي جـــاء الكتـــابُ وسُـــنةُ الـــ

ـــهادي بـــه فـــاحرِص علـــى الإيمـــانِ



## ما يترتَّب على النفخ في الصور

**المسألة السادسة:** يترتب على النفخة الأولى -أي نفخة الفزع التي تنتهي بالصعق- عدة أمور، منها: [١]

- **أنَّ هذه النفخة هي بداية الساعة**، وهي التي قال الله فيها: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[يس: ٤٩ - ٥٠].
- **أنَّ هذه النفخة يتبَعُها تغييرٌ عام في الكون علويه وسفليه** كما جاء وصفُه في القرآن وأحال عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**مَن سَرَّهُ أَنْ يَنظُرَ إلى يوم القِيامَة كأنَّه رأْيُ عَينٍ فليَقرأ: إذا الشَّمْسُ كُوِّرَت، وإذا السَّماءُ انفَطَرَت، وإذا السَّماءُ انشَقَّت**»، وأحْسَبُهُ قال: «**وسُورةَ هُودٍ**». [٢]

**المسألة السابعة:** يترتب على النفخة الثانية -أي نفخة البعث والقيام- عدة أمور، منها: [٣]

- **قيام الناس من القبور**، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[طه: ١٠٢]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ

---

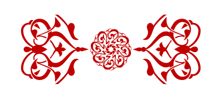
١- انظر «موسوعة العقيدة» (٦/ ٢٩٨٣-٢٩٨٥).

٢- رواه أحمد (٤٩٣٤)، والترمذي (٣٣٣٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٢).

٣- انظر «موسوعة العقيدة» (٦/ ٢٩٨٥).

ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾[القمر: ٦ – ٨].

- **أنَّ أحوال القيامة تتتابع بعد هذه النفخة**، كما سيأتي بيانه –إن شاء الله–.



## البعث والنشور وقيام الناس من القبور

بعد النفخة الثانية، يقوم الناس من القبور، ولهذا سنتكلَّم عما يتعلَّقُ بالبَعث من النشور، **وذلك من خلال عدة مسائل**:

**المسألة الأولى**: البَعث والنُّشور مترادِفان في المعنى، يُقال: نُشِرَ الميتُ يُنْشَرُ نُشُورًا إذا عاشَ بعد الموت، وأنشَرَهُ اللهُ أي أحياه، ومنه قولُهم: يوم البَعث والنُّشور.[١]

### من مات قامت قيامته

**المسألة الثانية**: البَعث وما يليه من حوادِثَ عِظام وأهوال جِسام هو «**القيامة الكبرى**»، وهي التي تعُم الناسَ وتأخذُهم أخْذةً واحدةً[٢]، مقابَلةً «**للقيامة الصغرى**» التي هي الموت وما يليه من حياة بَرزَخية، وقد جمع اللهُ بين القيامتين في قوله جلَّ وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[آل عمران: ١٨٥].[٣]

---

١- انظر «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٥٤)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٧٢)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ١٥٨)

٢- انظر «التذكرة» (ص ٥٤٨)

٣- انظر «الفتاوى» (٤/ ٢٦٢-٢٧٠)، و«الرُّوح» (ص ٧٤)

واعلم أنَّ كُلَّ ميِّت مات فقَدَ قامت قيامتُه الصُّغرى، وهي ما يقوم على كُلِّ إنسانٍ في خاصَّته مِن خروج روحه وفِراق أهله وانقطاع سَعْيه وحُصوله على عمله، إنْ كان خيراً فخير، وإنْ كان شراً فشر.[١]

ودليل ذلك ما روى مسلم في «صحيحه»[٢] أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سئل عن الساعة، وعِنْدَهُ غُلَامٌ مِن الأنصار، يُقالُ له مُحَمَّدٌ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن يَعِشْ هذا الغُلامُ، فعَسى أنْ لا يُدْرِكَه الهَرَمُ حتَّى تَقُومَ السَّاعة**»، وفي اللفظ الآخر: «**قامَتْ عليكم ساعَتُكُم**».[٣]

والمراد بـ«ساعتكم»: موتكم، كما قال القاضي عياض.[٤]

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «والمراد انخِرامُ قَرْنِهم ودخولُهم في عالم الآخرة، **فإنَّ كُلَّ مَن مات فقد دخل في حُكم الآخرة**». انتهى.

---

١- انظر «التذكرة» (ص ٥٤٨).

٢- (٢٩٥٣).

٣- (٢٩٥٢)

٤- انظر «إكمال المعلم» (٨/ ٥٠٨)، و«المفهم» (٧/ ٣٠٤).

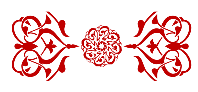
٥- «النهاية» (١/ ٣١).

وفي هذا يقول الشاعر: [١]

خَرجْــتُ مِــن الــدنيا وقامَــت قيــامتي
غَــــداةَ أقَــــلَّ الحــــامِلون جنــــازتي

وعَجَّــل أهلــي حَفْــرَ قــبري وصــيَّروا
خُروجــــي وتعجيلــــي إليــــه كَرامتــــي

كــــأَنَّهُمُ لــــم يعرِفــــوا قَــــطُّ ســــيرَتي
غَــداةَ أتــى يــومي علــيَّ وســاعتي



---

١- انظر «العاقبة في ذكر الموت» (ص ١٢٢)، و«التذكرة» (ص ٥٤٨).

## حقيقة الإيمان بالبعث وتنوع أدلته العقلية والنقلية

**المسألة الثالثة:** الإيمان بالبَعث هو الإيمان بأنَّ اللهَ يُحيي الأموات ويُخرِجُهم من قبورهم إذا أُعِيدَت الأرواحُ إلى الأبدان بعدَ نَفخةِ الصُّور الثانية ليُحاسبَهم ويُجازيَهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أعمالهم.

**المسألة الرابعة:** تظافرَت الأدلَّة العقلية والنقلية والفِطرية على إثبات البَعث بصُنوف من البراهين وألوان من الحُجَج، **وهو من المَعلوم من الدين بالضرورة الذي اتفَّق عليه المُسلمون، بل وسائر أهلِ المِلَل.** [١]

**أما القرآن فمن فاتحته إلى خاتِمتِه مملوءٌ بذكر أحوال اليوم الآخِر وتفاصيل ما فيه.** [٢]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الواقعة: ٤٧ - ٥٠]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

---

١- انظر «الفتاوى» (٤/ ٢٦٢)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٠٣)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٩٣)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٧٢)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ١٥٧)، و«لوائح الأنوار» (٢/ ٢١٩).

٢- انظر «معارج القبول» (٢/ ٧٦٢، وما بعدها).

يُظۡلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٢٥]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[الانشقاق: ٦]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ﴾[لقمان: ٢٨].

وأخبَرَ سبحانه عن أهل النَّار أنهم إذا قال لهم خَزَنَتُها: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[الزمر: ٧١]، وهذا اعتِرافٌ من أصْناف الكفَّار الدَّاخِلين جهنمَ أنَّ الرسلَ أنذرَتهم لقاءَ يومهم هذا.[1]

وفي الحديث قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**وأنَّ البَعثَ حَقٌّ**»[2]، وفي بعض روايات حديث جبريل المشهور، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لما سُئل عن الإيمان: «**والبَعثِ بعد الـموت**».[3]

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**بَخٍ بَخٍ**[1] **لِخَمْسٍ مَن لَقِيَ اللهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخل الجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِالله واليَوم الآخِرِ، وبِالجنَّة، والنَّار، والبَعثِ بعد الموت، والحِساب**».[2]

---

١- نظر «شرح الطحاوية» (ص ٣٠٤).

٢- «صحيح الجامع» (٦٣٢٠).

٣- رواه أحمد (١٧٠٢٧)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

**ومن كذَّبَ بالبَعث فهو كافر مُخَلَّدٌ في النار**، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[الرعد: ٥].

وهو مُكَذِّبٌ لله تعالى، والدليل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله: كَذَّبَني ابنُ آدمَ ولم يَكُنْ له ذلك، وشَتَمَني ولم يَكُنْ له ذلك، فأمَّا تَكذِيبُه إيَّايَ فقولُهُ: لَنْ يُعيدَنِي، كما بَدَأنِي، وليس أوَّلُ الخَلقِ بأهْوَنَ عليَّ مِن إعادَته، وأمَّا شَتْمُهُ إيَّايَ فقولُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلدًا وأنا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لم أَلِدْ ولم أُولَدْ، ولم يَكُنْ لي كُفْئًا أَحَدٌ**»[٣].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «أجمع المسلمون على أنَّ مَن أنكر البَعث فلا إيمانَ له ولا شهادة». انتهى.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «**والحاصِل أنَّ إثبات المَعاد أَمرٌ اتَّفقت عليه الشَّرائِع، ونطقت به كتب الله** عَزَّ وَجَلَّ **سابقُها ولاحقُها، وتطابقت عليه الرسل**

=

١- قال الخليل: «يقال ذلك للشيء إذا رضيته، وقيل: لتعظيم الأمر». انظر «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» لعياض (١/ ٧٩)، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٠١).

٢- رواه أحمد (١٥٦٦٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٠٤).

٣- رواه البخاري (٤٩٧٤)

٤- «التمهيد» (٩/ ١١٦). وانظر «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص ١٧٥).

أوَّلُهم وآخرُهم، ولم يُخَالف فيه أحد منهم، وهكذا اتَّفق على ذلك أتباع جَمِيع الأنبياء من أهل المِلَل، ولم يُسمع عن أحدٍ منهم أنَّه أنكر ذلك قطُّ». انتهى.

**المسألة الخامسة:** من طالع الكتاب والسنة وجد فيهما ما يَكفي، وقَرَّت عينُه بما يَشفي، ووقف على تقرير البعث بأنواع من الأدلة يَصعُبُ حصرُها، ومن ذلك: [٢]

- إقسامُ الله جَلَّجَلَالُهُ بوقوع البعث.
- أمرُ الله ﷻ نبيَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يُقسم على المَعاد، وأنه حقٌّ واقع لا مَحَالة.
- إخبار الله عن اقتراب الساعة.
- ذَمُّ المُكَذبين بالمَعاد.
- الاستدلال بالبَدء على الإعادة، وبالنَّشأة الأولى على النَّشأة الأخرى.

=

١- «**إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**» («الفتح الرباني» ١/ ٤٩٦). وله رَحِمَهُٱللَّهُ رسالة أخرى بعنوان: «**المقالة الفاخرة في بيان اتفاق الشَّرائع على إثبات الدار الآخرة**»، طُبعت ضمن «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (٢/ ٥٨٥-٥٦٣).

٢- انظر هذه الأوجه مع أدلتها في «التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية» (٣/ ١٠٥٤) للخميّس.

- الاستدلال بخَلقِ ما هو أكبرُ من الإنسان على إعادةِ الإنسان.
- الاستدلال بأنَّ حِكمَةَ الله تَأبى أَشدَّ الإباءِ أن يُترَكَ الإنسانُ مُهْمَلًا مِن الأوامر والنواهي، ومُعفًى مِن الثوابِ والعِقاب...إلخ.

قال ابن القيم[١]: «**ومن تأمل أدلَّة المعاد في القرآن وجدها كذلك مُغنِيةً -بحمد الله ومِنَّتِه على عبادِه- عن غيرها**، كافية شافية مُوصِلةً إلى المطلوب بسرعة، متضمِّنة للجواب عن الشُّبَه العارضة لكثير من الناس». انتهى.



---

١- «الرسالة التبوكية» (ص ٢١٦).

## المعاد: جسماني وروحاني، وكفر القائلين بالتناسخ

**المسألة السادسة: المَعاد يوم القيامة جِسمانيٌّ ورُوحانيٌّ معًا**، أما أنه جِسماني، فذلك بإعادة الله لهذا الجِسم بعد أن يتفَتَّتَ ويَبلى وتتفَرَّقَ أجزاؤُه، وأمَّا أنه روحاني، فبإعادةِ الروح إلى البَدَن بعد أن فارَقته.[١]

**المسألة السابعة: أنكر المَعاد الجِسمانيَّ والرُّوحانيَّ عدَّةُ طوائف:** كالطبائعيِّين والدَّهرية والملاحدة والتناسُخِية من الباطنية الزنادقة وغلاة الشيعة.

وهؤلاء هم الذين قال فيهم أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «والفرقة الثانية من الروافض: هم أهل الغلو الذين ينكرون القيامة والآخرة، ويقولون: **ليس قيامة ولا آخرة وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور**، فمن كان محسناً جوزي بأن يُنقل روحُه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مسيئاً جوزي بأن يُنقل روحُه إلى أجساد يَلحق الروحَ في كونه فيها الضررُ والألمُ، **وليس شيءٌ غيرَ ذلك، وأن الدنيا لا تزال أبداً هكذا**». انتهى.

---

١- انظر: «التوضيحات الجلية» (٣/ ١٠٥٨).

٢- «مقالات الإسلاميين» (١/ ٥٤)، بتصرف يسير. وانظر «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٧٣) (٣/ ١٠٠).

وهذا كله كفر وردَّةٌ بإجماع المسلمين، قال خليل في «مختصره»[١] عند بيان حقيقة الردة وأنواعها: «**كقولٍ بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك أو بتناسخ الأرواح**». انتهى.

**المسألة الثامنة:** أنكر مَعادَ الأبدان مشركو العرب الذين بُعث فيهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان بعضُهم يؤمنُ بقدرة الله وعلمه الكامل وجمعه للناس يوم القيامة، كما قال زُهَير بن أبي سُلمى:[٢]

فــــلا تَــــكْتُمُنَّ اللهَ مــــا في نفوسِــــكُمْ
لِيَخْفــــى ومَهمــــا يُكــــتمِ اللهُ يَعْلَــــمِ

يُــــؤَخَّرْ فيُوضَــــعْ في كتــــابٍ **فَيُــــدَّخَرْ**
**ليــــومِ الحِســــابِ** أو يُعَجَّــــلْ فَيُــــنقَمِ

وكان حاتم الطائي يقول:[٣]

أمــــا والــــذي لا يعلــــمُ الســــرَّ غيــــرُهُ
ويُحيــــي العظــــامَ البــــيضَ وهْــــيَ رَمــــيمُ

---

١- انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير» (٤/ ٣٠٢-٣٠٣).

٢- انظر «شرح المُعلقات السبع» للزَّوْزَنِي (ص ١٢٨، ١٤٢)، و«تيسير العزيز الحميد» لسليمان بن عبدالله (ص ١٨).

٣- انظر «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» للآلوسي رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٧٧).

**وممَّن كان يُقِرُّ بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبدُ المطلب بنُ هاشم**، وكان إذا رأى ظالما لم تصِبه عقوبةٌ قال: «تالله إنَّ وراء هذه الدار لدارًا يُجزَى فيها المحسِن والمسيء». [١]

**وأنكر المعاد الجسماني أيضا طائفة من الفلاسفة** المنتسبين للإسلام كابن سيناء والفارابي ومن نحا نحوَهم ممن يقول بمَعاد الأرواح دون الأجساد. [٢]

وهم الذين قال فيهم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر بعض مقالاتهم وبيَّن أنهم تركوا وحي الرحمن ورَكنوا إلى كفر فلاسفة اليونان: [٣]

والفيلســـــوفُ وذا الرســـــولُ لـــــديهِمُ
متفاوِتـــــان ومـــــا همـــــا عَـــــدْلانِ
أمـــــا الرســـــولُ ففيلســـــوفُ عـــــوامِّهمْ
والفيلســـــوفُ نبـــــيُّ ذي البُرهـــــانِ
والحـــــقُّ عنـــــدهمُ ففيمـــــا قالـــــهُ

---

١- «تلبيس إبليس» (ص ٥٩).

٢- انظر «المنقذ من الضلال» للغزالي (ص ١٤٤)، و«تلبيس إبليس» (ص ٤٥)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٣٨٤)، و«المواقف في علم الكلام» للإيجي (ص ٣٧٢)، و«موسوعة العقيدة» (١/ ٥٣٢).

٣- «النونية» (ص ٥٤). وانظر (ص ٢٢٤). وقد ألَّف في الرد عليهم أبو حامد الغزالي كتابه «تهافت الفلاسفة»، وردَّ عليه ابنُ رشد في كتابه «تهافت التهافت».

أتبـــاعُ صــــاحِب مَنطِـــق اليُونـــانِ

ومضـــى علـــى هـــذي المقالـــةِ أمَّـــةٌ

خَلــف ابـــنِ ســـينا فاغتـــذَوْا بلَبـــانِ

مـــنهم نَصـــيرُ الكفـــر في أصـــحابِهِ

الناصــــــرينَ لمِلَّـــــة الشــــيطانِ

فاســـأَلْ بهـــم ذا خِـــبرةٍ تَلقـــاهُمُ

أعـــداءَ كـــلِّ مُوَحِّـــدٍ ربَّـــاني

واســـأل بهـــم ذا خِـــبرةٍ تَلقـــاهُمُ

أعـــداءَ رُسْـــل الله والقـــرآنِ

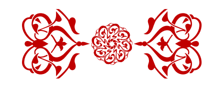
**المسألة التاسعة**: إنَّ الَّتي تُعادُ بعد نفخة البَعث هي هذه الأجساد بعينها، وهي الأجساد التي أطاعت أو عصت في الدنيا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وعند أهلِ السُّنة أنَّ تِلك الأجسادَ الدنيوية تُعادُ بأَعيانِها وأَعراضِها بلا خِلاف بينهم**». انتهى.

---

١- «التذكرة» (ص ٤٨٧).

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**والقولُ الَّذي عليه السَّلف وجمهور العُقلاء: أنَّ الأجسامَ تَنقلِبُ مِن حال إلى حال، فتَستحِيلُ ترابا، ثم يُنْشئُها اللهُ نَشأةً أخرى**، كما استحال في النشأة الأولى: فإنه كان نطفةً، ثم صار علَقةً، ثم صار مُضغةً، ثم صار عظاما ولحما، ثم أنشأه خلقا سويا، **كذلك الإعادة: يُعيده اللهُ بعد أن يَبلى كلُّه إلا عَجْبَ الذَّنَب**». انتهى.



---

١- «شرح الطحاوية» (ص ٣٠٨). وانظر: «الفتاوى» (١٧/ ٢٤٨-٢٤٩).

## يفنى جسد الإنسان إلَّا عَجْبَ الذَّنَب

**المسألة العاشرة:** يفنى كلُّ شيء من ابن آدمَ إلا عَجْبَ الذَّنَب، كما مرَّ من حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ولَيس مِن الإنسانِ شَيءٌ إلاَّ يَبلَى إلاَّ عَظمًا واحِدًا وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الـخَلْقُ يومَ القيامة**»[١]، وفي «موطأ الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ»[٢] عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ ابنِ آدمَ تَأكُلُهُ الأرضُ، إلَّا عَجْبَ الذَّنَب منه خُلِقَ، وفيه يُرَكَّبُ**».

يقال: عَجْبُ وعَجْمُ، بالميم والباء، لغتان، وهو عظم صغير عند العَجُز، في الأسفل بين الأليتين، هابط في أصل الصُّلب، يقال لطرفه العُصْعُص، على قدر الحُمصَة.[٣]

وقوله: «**منه خُلِقَ، وفيه يُرَكَّبُ**» أي: أنَّ أوَّلَ ما خُلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يُبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى.[١]

---

١- سبق تخريجه، وهو في «الصحيحين»، وهذا لفظ مسلم (٢٩٥٥).

٢- (٤٨).

٣- انظر «الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة» لأبي حامد الغزالي (ص ٣٦)، «التمهيد» (١٨/ ١٧٣)، و«المعلم» للمازري (٣/ ٣٨٠)، و«القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» لابن العربي (١/ ٤٣٥)، و«النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٨٤)، و«التذكرة» (ص ٤٤٦) و«الفتاوى» (١٧/ ٢٤٨-٢٤٩).

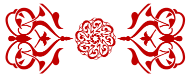
قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وقال العلماء: هذا عام يخص منه الأنبياء، لأن الأرض لا تأكل أجسادَهم، وألحق ابنُ عبد البر بهم الشهداء، والقرطبي المؤذن المحتسِب». انتهى.

**وأما الشهداء، فقد شوهد منهم من بقي كما هو لم يتغيَّر بعد مدَّة من دفنه،** وهذا يحتمل أمرين:

- إما أن يكون بقاؤه هكذا في تربته إلى يوم محشره.
- وإما أنَّه يبلى مع طول المدة، وعليه فإنَّه **كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول**، والعلم عند الله تعالى. [٣]

وإلى هذه المعاني أشار ابن رسلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[٤]:

والجســـمُ يَبْلــى غيــرَ عَجْــبِ الــذَّنَبِ
ومـــا شـــهيدٌ باليًـــا ولا نبِـــي



=

١- «المفهم» (٧/ ٣٠٧).

٢- «الفتح» (٨/ ٥٥٣). وانظر «التمهيد» (١٨/ ١٧٣)، و«المفهم» (٧/ ٣٠٧)، و«التذكرة» (ص ٤٤٧).

٣- انظر «شرح الطحاوية» (ص ٣٠٣).

٤- انظر «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان» للرملي (ص ١٨).

## مسائل متفرقة متعلقة بالبعث

**المسألة الحادية عشرة: البعثُ عام لمن يُحاسَب ومن لا يُحاسَب، فيَشمَل الجنَّ والإنس والحيوان والشجر والحَجر**[١]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾[الصافات: ١٥٨]، وفي الحديث قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في المؤذِّن: «**لا يَسمَعُ صوتَه شَجَرٌ ولا مَدَرٌ ولا حَجَرٌ ولا جِنٌّ ولا إنسٌ إلا شَهِد له**»[٢]، وفي «صحيح مسلم»[٣] أنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**لتُؤَدُّنَّ الحُقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَادَ للشَّاة الجَلْحاء**[٤]**، مِن الشَّاة القَرْناء**» فدلَّ هذا على أنَّ البهائمَ تُحشَر يومَ القيامة، وفي التنزيل: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾[التكوير: ٥].

---

١- انظر «التوهم في وصف أحوال الآخرة» للمحاسبي (ص ١٠)، و«التذكرة» (ص ٦٥١)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٧٣)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٨١٨)، و«القيامة الكبرى» (ص ٤٨-٤٩)، و«موسوعة العقيدة» (١/ ٥٢٩).

٢- انظر «صحيح الترغيب» (٢٣٢).

٣- (٢٥٨٢).

٤- «الـجَلْحاء»: هي الجمَّـاء التي لا قرن لها، و«يُـقاد»: من القَوْد، أي: القصاص. انظر «إكمال المعلم» (٨/ ٥١)، و«المفهم» (٦/ ٥٦٤).

لا يلزم من عموم البعث لسائر الموجودات أو الحيوانات دخولُهم الجنة أو النار، لأنَّ دخولهما من خواص مَن شأنُه التكليف، بل بعد تمام القصاص يصير الحيوانُ ترابا.

**المسألة الثانية عشرة:** أوَّلُ من يُبعث يوم القيامة هو النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أنا سيِّدُ وَلد آدمَ يومَ القيامة، وأوَّلُ مَن يَنشَقُّ عنه القبر، وأوَّلُ شَافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ**».[1]

**المسألة الثالثة عشرة:** يُبعث المرء يوم القيامة على مات عليه من نيَّة وعمل وحال[2]، لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يُبعَثُ كُلُّ عَبدٍ على ما مات عليه**»[3].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢][4]: «أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، **فإنَّ الكريمَ قد أجرى**

---

١- رواه مسلم (٢٢٧٨).

٢- انظر «التذكرة» (ص ٤٩٣)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٧٤٧).

٣- رواه مسلم (٢٨٧٨).

٤- «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٧).

وقد تكلمت على الخاتمة وأسباب سوئها في كتابي: «نصح المؤمنين وتبيان منازل السائرين» (ص ٩٩-١٠٤)، وهو منشور على الشبكة: https://bit.ly/٣٨٩٦sfU

**عادتَه بكرمه أنه مَن عاش على شيء مات عليه، ومَن مات على شيء بُعِث عليه**، فعياذًا بالله من خلاف ذلك». انتهى.



## الحشر وما يقع في أرض المحشر

إذا قام الناسُ من قبورهم بعد نفخة البعث، اجتمعوا في أرض المحشر.

**والكلام على الحشر وما يتعلَّق به من مباحث في مسائل:**

### حقيقة الحشر وأدلته ومكانه

**المسألة الأولى:** الحشر لُغةً: الجمع مع سَوق، وفي الحديث: «**ونَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ**» أي: تَجْمَعُهم وتَسوقُهم.[1]

**والمُراد به في هذا المقام:** جَمعُ الخَلائق وسَوقُهم يومَ القيامة لفَصل القَضاء بينهم.[2]

**المسألة الثانية:** الأدلة على إثبات الحشر يوم القيامة كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٧]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾[مريم: ٦٨]، والنصوص كثيرة في هذا.

**المسألة الثالثة:** أرض المحشر هي **الأرض المُبَدَّلة** التي قال الله فيها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[إبراهيم: ٤٨]، وجاء

---

١- انظر «مقاييس اللغة» (٢/ ٦٦)، و«مشارق الأنوار» (١/ ٢١٣)، و«المصباح المُنير» (١/ ١٣٦).

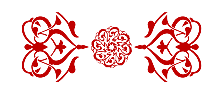
٢- انظر «فتح الباري» (١١/ ٣٧٩)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٧٤١)، «التعليق على لُمعة الاعتقاد» لابن عثيمين (ص ٥٤)، و«مشاهد الناس بعد الموت» لعبدالرحمن خليف (ص ٢٦).

وصفُها في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القيامة على أَرضٍ بَيضاءَ عَفْراءَ، كَقُرصَة النَّقِيِّ، ليس فيها عَلَمٌ لأَحَد**».[1]

ومعنى: «**عَفْراء**»: بيضاء إلى حُمرة، والعَفَرُ والعُفْرَةُ: بَياضٌ ليس بخالِصٍ يَضرِبُ إلى الحُمرة قليلا.

ومعنى: «**كَقُرْصَةِ النَّقيِّ**»: كرَغِيف مَصنوع من دَقِيق خالصٍ من الغِش والنُّخَالَة، وكأن النار غَيرت بياضَ وجه الأرض إلى الحُمرة.

ومعنى: «**ليس فيها عَلَمٌ لأَحَدٍ**»: أي: ليس بها علامةُ سُكنى أو بناء ولا أثر.[2]



١- رواه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠)، واللَّفظ له.

٢- انظر «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٥)، و«المفهم» (٧/ ٣٥١)، و«شرح النووي» (١٧/ ١٣٤)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٧٥-٣٧٧)، و«المصباح المُنير» (٢/ ٤١٧).

## يُحشر الناس حُفاة عُراة

**المسألة الرابعة:** يُحشر الناس يوم القيامة على هيئة وصفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، وقرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأَوَّلُ مَن يُكْسى يومَ القيامة إبراهيمُ**».[١]

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْشُر الله العِبادَ يومَ القيامَةِ** -أو قال: **الناسَ**- **عُراةً غُرلاً بُهْماً**»، فقال الصحابة: وما «بُهْماً»؟ قال: «**ليسَ معَهُمْ شَيْءٌ**».[٢]

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَاةً**»: أي: لا نِعالَ عليهم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُرَاةً**»: أي: لا كِسوةَ عليهم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غُرْلًا**»: أي: غيرَ مَخْتُونين.

قال أبو الحجاج السَّرَقُسْطي في «عقيدته»:[٣]

إنَّ الإلـــــهَ يحـــــشُر الخَليقـــــهْ
بحـــــال الابتِـــــداء في الحقيقـــــهْ

---

١- رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

٢- رواه أحمد (١٦٠٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦٠٨).

٣- «التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد» (ص ٢٢٠).

قــــد تَركــــوا مـــا خَّولـــوا مـــن قبـــلُ

وهُــــــمْ عُـــــراةٌ وحُفــــــاةٌ غُــــرْلُ

بحيـــــــــــث لا فيءٌ ولا ظِـــــــــلالُ

فيــــــه ولا أَمـــــــتٌ[1] ولا جِبـــــالُ

قــــد بَــــرَزوا للواحـــــد القهَّـــــارِ

واستَشـــعَروا هَـــوْلَ عـــذاب النـــارِ

وعَنَــــــتِ الوجـــــــوه للقيُّـــــــومِ

وخَشـــــعَت للملِـــــك العظـــــيمِ

**فكم كاس في الدنيا طال يومئذ عُرْيه،** وكم طاعِم في الدنيا عَظُم يومئذ جوعُه، وكم رَيَّان في الدنيا اشتد يومئذ عطشُه، وكم ناعِم في الدنيا حَقَّ به يومئذ بؤسُه.[2]

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأَوَّلُ مَن يُكْسى يومَ القيامة إبراهيمُ**» يدل على أن الناسَ كلَّهم -الأنبياء وغيرهم- يحشرون عراة.[3]

---

١- المكان المرتفع.

٢- «معارج القبول» (٢/ ٨١٣)، بتصرف.

٣- انظر «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٤٤٥)، و«المفهم» (٧/ ١٥٢) ، و«التذكرة» (ص ٥٣١)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٨٤).

## سبب تقديم إبراهيم الخليل في الكسوة يوم القيامة

**المسألة الخامسة: اختلف العلماء في سبب تقديم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكِسوة يوم القيامة، وذلك على عدة أقوال:** [١]

**منها:** أنَّ إبراهيمَ الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جُرِّدَ من ثيابِه حينَ أُلقِيَ في النار، فجزاهُ الله على صبره بالسَّتر والكِسوة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.[٢]

**ومنها:** أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أوَّلُ من سَنَّ التَّسَتُّرَ بالسراويل، لشدة حيائه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

**ومنها:** أنه لم يكن في الأرض أخوفَ لله منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فعُجِّلَت له الكسوة أمانا له ليطمئن قلبُه.

**ومنها:** أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتعرَّ أصلاً وأنه يَخرُجُ من قبره في ثيابه التي مات فيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون المراد بالناس: مَن عداه من الناس، فلا

---

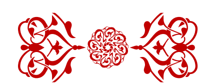
١- انظرها في «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٤٤٦)، و«المفهم» (٧/ ١٥٣)، و«التذكرة» (ص ٥٣٣)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٨٤).

٢- واستحسنه القرطبي في «التذكرة» (ص ٥٣٣).

يدخل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت خطاب نفسِه، وعليه فتكون أولية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكِسوة بالنسبة لبقية الخَلق.[1]

**ومنها:** أنَّ النبيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكسَى بعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن حُلَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلى وأكمل، فتَجبُرُ نفاسَتُها ما فاتَ من الأوَّلية... والله أعلم.

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «**ولا يلزم من هذا أن يكون إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **أفضلَ من النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مطلقا، بل هو أفضل من وافى القيامة، وسيد ولد آدم، كما تقدَّم**». انتهى.



---

١- ذكره صاحب «المفهم» (٧/ ١٥٣)، وتعقبه تلميذه في«التذكرة» (ص ٥٣٣).

٢- «المفهم» (٧/ ١٥٣)، بتصرف.

## دُنوُّ الشمس يوم القيامة

**المسألة السادسة:** من الأمور العِظام التي تحدُث في المحشر دُنوُّ الشمس فوق رؤوس العِباد، مما يجعلهم يَعرَقون على قدر أعمالهم.

فعن المِقداد بنِ الأسْوَد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمِعت رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يومَ القِيامة مِن الخَلْقِ، حتى تكونَ منهم كمِقدارِ مِيلٍ**»، -قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ [أحد رواة الحديث]: فوَالله ما أَدري ما يَعنِي بالمِيل؟ أمَسافةَ الأرض، أم المِيلَ الَّذي تُكتَحَلُ به العَينُ-، قال: «**فيكونُ النَّاسُ على قَدْرِ أعمالِهِم في العَرَق، فمِنهم مَن يكونُ إلى كَعْبَيه، ومِنهم مَن يكونُ إلى رُكْبَتيهِ، ومِنهم مَن يكونُ إلى حَقْوَيه[١]، ومِنهم مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجامًا**».[٢]

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «وقدرة الله صالحة لأن تُـمسِك عَرقَ كُلِّ إنسان عليه بحسب عمله، فلا يتصل بغيره، وإن كان بإزائه، كما قد أمسك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ البحرَ لبني إسرائيل حين اتَّبعهم فرعون، والله تعالى أعلم بالواقع من هذه الأوجه.

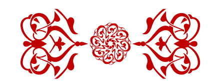
١- ويقال: حِقْوَيه بكسر الحاء أيضا، أي: معقد الإزار، وهو ما يُحاذي ذلك الموضع من جنبيه. انظر «شرح النووي» (١٧/ ١٨١).

٢- رواه مسلم (٢٨٦٤).

٣- «المفهم» (٧/ ١٥٧)، بتصرف.

والحاصل أن هذا المقام مقام هائل لا تفي بهوله العبارات، ولا تحيط به الأوهام، ولا الإشارات، وأبلغُ ما نطق به في ذلك الناطقون قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[ص: ٦٧ - ٦٨]». انتهى.

**المسألة السابعة: مُدة الوُقوف في أرض المحشر هي ٥٠٠٠٠ سنة،** كما جاء في حديث مانع الزكاة أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**ما مِن صاحِبِ كَنزٍ لا يُؤَدِّي زَكاتَه، إلَّا أُحْمِيَ عليه في نار جَهَنَّمَ، فَيُجعَلُ صَفائِحَ فيُكوَى بها جَنْبَاهُ، وجَبِينُهُ حتى يَحكُمَ اللهُ بين عِباده، في يوم كان مِقدارُهُ خَمسينَ ألفَ سنة، ثُمَّ يَرى سَبيلَه، إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار**».[1]



١- رواه مسلم (٩٨٧). وانظر «التذكرة» (ص ٦٩٩).

## تفاوت أحوال الناس يوم القيامة

**المسألة الثامنة: تتميَّز أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أرض المحشر، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يومَ القيامَة، فأكونُ أنا وأُمَّتي على تَلٍّ، ويَكْسوني رَبِّي تَبارَك وتعالى حُلَّةً خَضراءَ، ثم يُؤذَنُ لي، فأقولُ ما شاء اللهُ أن أقولَ فذاك المَقامُ المَحمود».**[1]

ولقد أحسَن القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ في المَقال، وأجاد حين قال:[2]

وممـــــا زادَني شَــــــرفًا وتِيهًــــا
وكِـــدتُ بأَخْمُصـــــي أَطـــأُ الثُّرَيَّــــا

دُخـــولي تحـــت قولِـــك يـــا عِبـــادي
وأنْ صـــيَّرتَ أحمـــدَ لـــي نَبيَّـــا

**المسألة التاسعة: يحشر الناس يوم القيامة على صُوَرٍ وأحوالٍ شتَّى**[1]، يتفاوَت الناس فيها تفاوُتا عظيما، وسأذكر هنا بعض المشاهد التي جاءت في

---

١- رواه أحمد (١٥٧٨٣)، وغيرُه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧٠).

٢- انظر «مرقاة المفاتيح» (١/ ٩)، و«غذاب الألباب» (٢/ ٤٧٥)، ولم أجده في كتب القاضي عياض الموجودة في «المكتبة الشاملة». ونسبه الطاهر بن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٣/ ١١١) إلى الشافعي رَحِمَهُ اللهُ.

وأيًّا كان قائلُها فالأبيات صحيحة مليحة.

الكتاب والسنة، **وستكون لثلاث طوائف:** الكفار، وعصاة الموحدين، والأتقياء الصالحين.

**أما الكفار**، فقد وصف اللهُ من ذلتهم وهَوانهم وحسرتهم ويأسهم يوم القيامة ما يَشيبُ من الراس، وتَفرُق منه قلوب الناس، ومن ذلك –من باب الإشارة– قوله جلَّ وعلا: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ١٠٣ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾[طه: ١٠٢ - ١٠٤]، وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[القمر: ٦ - ٨]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[الإسراء: ٩٧ - ٩٨].

=

١- انظر «القيامة الكبرى» لعمر الأشقر (ص ١١٩-١٧٢)، فلقد أحسن وأجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«موسوعة العقيدة» (٢/ ٩٧٩) لمجموعة من الباحثين.

وفي «الصحيحين»[١] أنَّ رَجلاً قال: يا رَسُولَ الله، كيفَ يُحشَرُ الكافِرُ على وَجهه يومَ القيامة؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أليسَ الَّذي أمشاهُ على رِجلَيه في الدُّنيا قادِرًا على أَن يُمْشِيَه على وَجهِه يومَ القيامة»**. قال قَتادة: «بَلَى وعِزَّةِ رَبِّنا».

وهذا الحديث قاعدة عظيمة صالحة لكل الغيبيات، وقاطعة لجميع التكلفات، فإنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَم مادَّة التأويل بردِّ هذا الأمر -الذي قد يستغربه الناس- إلى قدرة الله التي لا حدَّ لها، فإنَّ الباري لا يُعجِزُه شيء في الأرض ولا في السماء، جَلَّ جَلَالُهُ وتقدَّس سُلطانُه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ[٢]: «الظاهر أنَّ المُرادَ بالمشي هنا حقيقته، فلذلك استغربوه حتى سألوا عن كيفيته». انتهى.

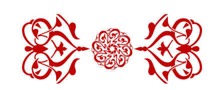
**والسبب في استعظام بعض الناس لهذه الغيبيات، هو أنَّ في طبع الآدمي إنكارًا لما لم يأنس به ولم يشاهده**، ولهذا لو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي

١- البخاري (٤٧٦٠) ومسلم (٦٥٢٣).

٢- «الفتح» (١١/ ٣٨٢)، بتصرف يسير.

على بطنها لأنكر المشي من غير رجل، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك.[١]

**وقد نبَّه أهلُ العلم إلى أنَّ الحكمةَ في حشر الكافر على وجهه،** أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يُسْحَبَ على وجهه في القيامة إظهارا لهوانه، بحيث صار وجهُه مكانَ يده ورجله في التوَقِّي من المؤذيات.[٢]



١- انظر «الإحياء» (٤/ ٥١٤)، وعنه القرطبي في «التذكرة» (ص ٥٢٢)، بتصرف. وسيأتي -إن شاء الله- مزيد تقرير هذا الأصل، وإن كان قد مرَّ بعضُه عند الكلام على عالم البرزخ.

٢- انظر «الفتح» (١١/ ٣٨٢).

## حال أهل الكِبر والغدر يوم القيامة

**وأما عُصاة الموحدين**، فإنَّ بعضَ المؤمنين ربما يكون قد قارف في الدنيا ذنوباً تُوقِعه في أهوال ومشقات وصعاب.

**ومن هؤلاء -على سبيل التمثيل- المتكبرون**، فإنَّ اللهَ يحشُرهم في صورة مَهينة ذليلة. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يُحشَرُ المُتكَبِّرونَ يومَ القيامة أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجال يَغْشاهم الذُّلُّ مِن كُلِّ مكان، فيُساقُونَ إلى سِجن في جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعلوهم نارُ الأَنْيار يُسقَون مِن عُصارَة أهلِ النَّار طِينةَ الخَبال**».[1]

قال القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «وفي هذا الحديث ما يدلُّ على أن العقوبات في الآخرة قد تكون مقابلة للذنوب المكتسبة في الدنيا». انتهى.

فإنَّ المقصود بالذرَّ هنا صغار النمل، وصغار النمل لا يعبأ به الناس، فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون، فإنَّ من تواضع لله رفعَه، ومن تكبر على

---

١- رواه أحمد في «المسند» (٦٦٧٧)، والترمذي (٢٤٩٢)، وهذا لفظه، وحسنه الألباني في «صحيح المشكاة» (٥١١٢).

٢- انظر «المفهم» (٤/ ٣٠).

عباده قَصَمَه، تبْكيتًا لسَعيه، ومعاقَبَةً له بنقيض قَصْدِه، فإنَّه لما أرادَ العلوَّ على الخَلق، جعله الله في الأسفلين، جزاءً وِفاقا.[١]

ولبعضهم:[٢]

ولا تمــــشِ فـــوق الأرضِ إلَّا تواضُـــعًا
فكـــم تحتهــا قـــومٌ هُـــمُ منــك أرفــعُ

فـــإن كنـــتَ في عِـــزٍّ وخيـــرٍ ومَنْعـــةٍ
فكــم مــات مِــن قــومٍ هُــمُ منــك أوضــعُ

**ومن هؤلاء العصاة: المتلَوِّنون،** الَّذين يأتون هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، فقد جاء عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَن كان له وَجْهان في الدنيا كان له يومَ القيامة لِسانانِ مِن نار».**[٣]

١- وقد تكلمت على حقيقة الكبر وأنواعه في كتابي «التعليقات والنكت على فتح المجيد»، يسَّر الله نشره.

٢- «روضة العقلاء» لابن حبان (ص ٦١). وانظر «البحور الزاخرة» (٢/ ٧٨٢-٧٨٤).

٣- رواه أبو داود (٤٨٧٣)، واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٠)، وغيرُهما، وصححه بمجموع طرقه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٢). انظر «الفتح» (١٠/ ٤٧٥).

**ومن هؤلاء: أهل الغَدر والخِيانة،** الَّذين قال فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخِرِين يومَ القيامة، يُرْفَعُ لكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ، فقيل: هذه غَدْرَةُ فُلانِ بن فُلانٍ»**.[1]

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ[2]: «والغدر أن يؤَمِّن الحربيُّ ثم يُقتل، وهذا لا يحل بإجماع». انتهى.

قلت: والغدر في الحديث أعم، إذ يدخل فيه كلُّ نَقْضٍ للعَهد وتَركٍ للوَفاء به[3]، والله تعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٤].

قال عياض[4]: «أصل رفع اللواء للشُّهرة والعلامة، **ولما كان الغدر مكتوماً ومستتراً به شهر به صاحبه، وكشف ستره لتتم فضيحته**». انتهى.

---

١- رواه البخاري (٦١٧٧)، ومسلم (١٧٣٥)، واللفظ له.

٢- «التمهيد» (٢٤/ ٢٣٤). وانظر كلاما حسنا في الوفاء بالعهد للعلامة محمد الخضر حسين رَحِمَهُ اللهُ في مقال له بعنوان «**سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين**»، مطبوع ضمن «موسوعة الأعمال الكاملة» (١٩/ ٢٢-٢٧).

٣- انظر «مقاييس اللغة» (٤/ ٤١٣).

٤- «إكمال المعلم» (٦/ ٣٩)، باختصار. وانظر كلام القرطبي على الحديث في «المفهم» (٣/ ٥٢٠)، وفيه: «فمقتضى هذا الحديث: أن الغادر يُفعل به مثل ذلك، ليشهر بالخيانة والغدر، فيذمه أهل =

## حال المتقين يوم القيامة

**وأما حال المتقين**، فإنَّهم لا يفزعون يوم القيامة إذا فزع الناس، ويؤَمِّنهم اللهُ إذا خاف الناس، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣]، والفزع الأكبر، هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبور.

وأما قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾[مريم: ٨٥]، أي: **رُكبانا، فالمقصود به رُكوبهم من المحشر إلى الجنة، وأما من القبر فالظاهر أنهم يُحشرون مشاةً**، كما تقدم من أنهم يُحشرون حفاة عُراة غُرلا، وقد جزم بهذا القرطبي[1]، والعلم عند الله تعالى.

---

=

الموقف، ولا يبعد أن يكون الوفي بالعهد يُرفع له لواء يُعرف به وفاؤه وبره، فيمدحه أهل الموقف، كما يرفع لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لواء الحمد فيحمده كل من في الموقف». انتهى.

١- كما في «تفسيره» (١١/ ١٥٢)، و«التذكرة» (ص ٥٢٠)، حيث ذكر هذه الآية من «سورة مريم» في النوع الرابع من أنواع الحشر، وهو: «الحشر إلى الجنة والنار». وانظر «البعث والنشور» للبيهقي (ص ٢٢٦)، و«أضواء البيان» (٣/ ٥١٤).

**ومن هؤلاء الأتقياء: أقوامٌ يظلهم الله في ظله،** فبينما يكون الناس في الموقف العظيم تحت وهَج الشمس القاسي، ويذوقون من البلاء شيئاً تَنُوء بحمله الجبال الراسيات، يكون فريق من الأخيار هانئين في ظل عرش الرحمن، لا يعانون الكُرُبات التي يقاسيها الآخرون.

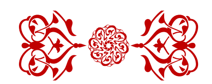
فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَبعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّه، يومَ لاَ ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: الإمامُ العادِل، وشابٌّ نَشأ في عِبادَة رَبِّه، ورَجُلٌ قَلبُه مُعَلَّقٌ في المَساجِد، ورَجُلانِ تَحابَّا في الله اجتَمَعا عليه وتَفرَّقا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَته امرَأةٌ ذاتُ مَنصِب وجَمالٍ، فقال: إنِّي أخافُ الله، ورَجُلٌ تَصَدَّق، أخْفى حتى لا تَعْلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمِينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِيًا ففاضَت عَينَاه**».[1]

١- رواه البخاري (٦٦٠)، وهذا لفظه، ومسلم (١٠٣١). **وقد اعتنى العلماء بجمع الخِصال التي دلَّت النصوص بأن أصحابها يُظلُّهم اللهُ يوم القيامة، وهم أكثر من هؤلاء السبعة المذكورين في هذا الحديث.**

ومن هؤلاء العلماء: الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «**معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال**»، وجاء بعده العلامة السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ فاستفاد منه وزاد عليه في كتابه «**تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش**»، ثم بدا له أن يختصره في رسالة سماها «**بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال**»، وكتب فيه آخرون أيضا، والقصد الإشارة ليس الاستقصاء.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكل من كان في ظل الله يوم القيامة لم يَنله هَوْلُ الموقف». انتهى.

**المسألة العاشرة:** من تمام عدل الله وحكمته عموم الحشر حتى للحيوانات -كما سبق بيانه في مسائل البعث-، ومن أدلة ذلك قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[الأنعام: ٣٨].



---

١- «التمهيد» (٢/ ٢٨٢).

# الشفاعة وأحكامها

إذا اشتد البلاء بالناس في الموقف يوم القيامة، بحثوا عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

**والكلام على الشفاعة وما يتعلَّق بها من مباحث في مسائل:**

## أهمية مبحث الشفاعة في كتب الاعتقاد

**المسألة الأولى:** موضوع الشفاعة من المواضيع المهمة التي اعتنى بها أهلُ السنة تقريرا وتصنيفا، فأَوْدَعوها المختصرات، وفصَّلوها في المطولات، وأفردوا لها العديد من المصنفات.[1]

**ومَظانُّ بحث موضوع الشفاعة في كتب العقيدة هي:**

① **كُتب العقيدة العامة**، وبالتحديد عند الكلام عن اليوم الآخر – كالذي نحن بصدده الآن–، وفي هذا الباب يُركِّزون على أنواع الشفاعة، وخاصة شفاعته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أهل الكبائر، والرد على الخوارج والمعتزلة الذين انحرفوا في باب الشفاعة، فأنكروها لَّما خالفت أهواءَهم.

١- وقد ذكرت مجموعة كبيرة من المراجع المهمة لطالب العلم في مسائل العقيدة في كتابي «نهج الاقتصاد»، وأفردت لها فهرسا مرتبا بحسب موضوعاتها: https://bit.ly/٣e٨xB٦m

② **والكُتب التي تُعنَى بتوحيد العبادة**، وفي هذا الباب يُركِّزون على شروط الشفاعة وحُرمة طلبها من الأموات، وما يتعلق بذلك من مباحث.[١]

## تعريف الشفاعة وشروطها

**المسألة الثانية: الشفاعة لغة**: من «الشَّفع»، وهو الزَّوج في مقابلة الوتر، شَفَعْتُ الشَّيءَ شَفْعًا، ضَمَمْتُه إلَى الفَرْد[٢]، **واصطلاحا هي**: التوسُّطُ عند الله للغير، لجلب خير أو دفع ضير.[٣]

قال السفاريني[٤]: «فشفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السمعيات التي وردت بها الأخبار، وصحت بها الآثار، حتى بلغت مبلغ التواتر، **وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة**». انتهى.

قال الشيخ التَّاوْدي بن سُودَة المُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ:[١]

---

١- وقد تكلَّمتُ -بعون الله وفضله- عن موضوع الشفاعة وتفاصيله في عدة مواضع من كتبي منها: «شرح القواعد الأربع»، «والتعليق على نظم المهمات من كشف الشبهات»، و«التعليقات والنكت على فتح المجيد»، وبحث بعنوان: «الشفاعة: أنواعُها وشُروطُها»، و«شذا العبير بشرح قصيدة (أنا الفقير)»، و«نهج الاقتصاد شرح حائية الاعتقاد».

٢- انظر «المصباح المنير» (١/ ٣١٧).

٣- انظر «القول المفيد» (١/ ٣٣٠).

٤- «لوائح الأنوار» (٢/ ٢٤٧).

مِمَّـــا تَواتَـــرَ حَـــديثُ مَـــن كَـــذَبْ
ومَـــن بَنــــَى للهِ بَيتًـــا واحْتَــــسَبْ
ورُؤْيَـــــةٌ شَـــــفاعَةٌ والحَــــوْضُ
ومَسْـــحُ خُفَّـــينِ وهَـــذِي بَعْـــضُ

**المسألة الثالثة: الشفاعة لها شروط دلَّت عليها النصوص، وهي:**

① **الرضا عن الشافع**، فإنَّ تمكينَ الشافع من الشفاعة تكريم له وتشريف، والله لا يُكرم إلا من رضي قولَه وعملَه.

② **والرضا عن المشفوع له**، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، وأعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة هو تجريد التوحيد، ففي «الصحيح»[٢] أنَّ النبيَّ

=

١- في حواشيه على «صحيح البخاري»، كما ذكره محمد بن جعفر الكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص ١٨).

٢- رواه البخاري (٩٩).

صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يومَ القيامة، مَن قال «لاَ إِلهَ إِلَّا اللهُ»، خَالِصًا مِن قَلْبِه**».[1]

③ **والإذن بالشفاعة**، لقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبأ: ٢٣]، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

جمع هذه الشروط الثلاثة ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ بقوله:[2]

ولــه الشــفاعةُ كلُّهــا وهــو الــذي
في ذاك يــأذَنُ للشَّــفيع الــدَّاني

لمــن ارتضــى ممَّــن يوَحِّــدُهُ ولــمْ
يُشــرِكْ بــه شــيئا كمــا قــد جــاء في القــرآنِ

**فهذه ثلاثة أصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها، لا** شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول

---

١- انظر كلاما حسنا في الشفاعة للعلامة مبارك الميلي رَحِمَهُٱللَّهُ في «رسالة الشرك ومظاهره» (ص ٣٣١).

٢- «النونية» (ص ٢٩٩).

والعمل إلا توحيده، واتباع رسوله، فالله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]. [١]

١- انظر «مدارج السالكين» (١/ ٢٥٦)، و«الصواعق المرسلة» (٢/ ٤٦١).

## تقسيمات الشفاعة

**المسألة الثالثة: الشفاعة تُقسَّم إلى عدَّة أنواع باعتبارات مختلفة، سأذكر لك –إن شاء الله تعالى– ما تضبطه بها.**

① **فقد تُقَسَّمُ الشفاعة باعتبار دارها ومحلِّها**، وعليه فتكون:

- **شفاعة في الدنيا**[١]، وهي التي قال الله فيها: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٌ مِّنۡهَا﴾[النساء: ٨٥]، قال مجاهد والحسن وغيرهما: «هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كفل [أي: نصيب من الإثم]».[٢]
- **وشفاعة في الآخرة**، وهي التي سيأتي تفصيلها في هذا الكتاب.

② **وقد تُقَسَّمُ باعتبار تحقق أو تخلُّف شروطها**، وعليه فتكون:[٣]

- **شفاعة مُثبَتة**، تحققت شروطها، كالتي أثبتها الله تعالى لعباده الصالحين.

---

١- وانظر أنواعها في «الدين الخالص» لصديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ١١-١٣).

٢- انظر «المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٨٦).

٣- انظر «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٣٢)، ومواضع أخرى كثيرة من كتبه، بسط فيها ابن تيمية القولَ في أحكام الشفاعة فجاء بالهدى والحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **وشفاعة مَنفِيَّة**، لم تتحقق شروطُها، كالتي أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلالها، وهي من الشرك.

③ **وقد تُقَسَّمُ باعتبار الشافع** ، وعليه فتكون:

- **شفاعة للرسل والأنبياء.**
- **وشفاعة للملائكة.**
- **وشفاعة للصديقين والشهداء والصالحين.**

وفي الحديث القدسي: «**يقولُ الله ﷻ: شَفَعَت الملائكةُ، وشَفَعَ النَّبيُّونَ، وشَفَعَ المُؤمنون، ولم يَبقَ إلَّا أرحَمُ الرَّاحِمين**».[1]

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ما من نبي إلا له شفاعة، وكذلك الصدِّيقون والشهداء والصالحون، ولله بعد ذلك تفضُّلٌ كثير فيمن يشاء». انتهى.

④ **وقد تُقَسَّمُ باعتبار اختصاص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها**، وعليه فتكون:

- **شفاعة عامة، له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيره من الأنبياء والصالحين**، كالشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

---

١- رواه مسلم (١٨٣).

٢- «شرح السنة» (ص ٤٦).

- **وشفاعة خاصة به** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما سيأتي بيانه –إن شاء الله تعالى–.

⑤ **وقد تُقَسَّمُ باعتبار المشفوع له** ، وعليه فتكون:

- **شفاعة للمؤمنين، وهذا هو الأصل العام.**
- **وشفاعة للكفار، وهذه ممتنعة شرعا وقدرا**، إلا في حق أبي طالب، كما سيأتي بيانه –إن شاء الله تعالى–.

⑥ **وقد تُقَسَّمُ باعتبار الأمة المشفوع لها**، وعليه فتكون:

- **شفاعة عامة لكل الخَلق وجميع الأمم**، وهي الشفاعة العُظمى لتعجيل الحساب في أرض المحشر، وسيأتي ذكرها –إن شاء الله تعالى–.
- **وشفاعة خاصة**، وهي شفاعة كل نبي في أمته.

⑦ **وقد تُقَسَّمُ باعتبار موضعها يوم القيامة، وعليه فتكون:**

- **شفاعة قبل الصراط**، وهذه تكون لجميع الخلق، ولا يلزم منها دخولُ الجنة.
- **وشفاعة بعد الصراط**، وهذه تكون للمؤمنين خاصة، ويترتَّب عليها دخولُ الجنة.

وربما كان هناك اعتبارات أخرى تُقسَّمُ بها الشفاعة، ولكن فيما ذكرت لك كفاية إن شاء الله تعالى.

## شفاعات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

**المسألة الرابعة: جعل الله لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة عِدَّة تشريفات لا يَشْرَكُه فيها أحد، وكرَّمه بمقامات لا يُدانيه فيها أحد:** فهو أول من تنشق عنه الأرض، ويبعث راكبا إلى المحشر، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه، وله شفاعات خاصة به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[1]

**وهذه الشفاعات الخاصة به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبتت بها النصوص:**

① **كشفاعته في عمه أبي طالب في أن يُخفف الله عنه العذاب،** إذ لا يشفع أحدٌ فيمن مات على الكفر يوم القيامة إلا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الرجل لما له من فضل على المسلمين وحماية لسيد المرسلين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنَّ الله شفَّع فيه نبيَّه فخُفف من عذابُه حتى صار في ضحضاح من نار[2]، ومع هذا فهو خالد مخلَّد في النار –والعياذ بالله من حال أهل الكفر والبَوار–.

---

١- انظر «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٠٤).

٢- رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩). والضَّحْضاح هو الشيء القليل من النار مما يبلغ الكعبين، وأصله من ضَحْضاح الماء وهو ما يبقى منه على وجه الأرض. انظر «مشارف الأنوار» (٢/ ٥٥)، و«النهاية» (٣/ ٧٥).

وأما إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه لا يُشفَّع في أبيه آزَر، ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«يَلْقَى إبراهيمُ أباهُ آزَرَ يومَ القيامة، وعلى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ، فيقول له إبراهيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لك لا تَعْصني، فيقول أبوه: فاليومَ لا أَعْصِيكَ، فيقول إبراهيمُ: يا رَبِّ إنَّك وَعَدتَني أَن لا تُخْزِيَني يومَ يُبعَثون، فأَيُّ خِزْيٍ أَخْزى مِن أبي الأَبعَدِ؟، فيقول اللهُ تعالى: «إنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّة على الكافرين»، ثم يُقالُ: يا إبراهيمُ، ما تحت رِجلَيك؟ فيَنظُر، فإذا هو بذِيخٍ مُلْتَطِخٍ[٢]، فيُؤخَذُ بقوائمه فيُلْقَى في النار»**.

يقول العلامة تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحيحة ناطقان مصرِّحان بأنَّ القرابة وحدها -ولو كانت للأنبياء والمرسلين- لا تنفع ولا تشفع، بل **أقارب الأنبياء إذا عصَوهم وخالفوا طريقهم هم أشدُّ الناس عذابا وخِزيا**». انتهى.

---

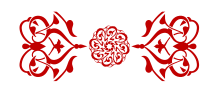
١- (٣٣٥٠).

٢- الذِّيخ: بكسر الذال، وهو ذَكَر الضِّباع، ومعنى «مُلْتَطِخٍ» أي: متَّسخ بالطين أو برَجِيعه أي: برَوْثه. انظر: «مشارف الأنوار» (١/ ٢٧٢)، و«النهاية» (٢/ ١٧٤).

٣- «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٢/ ٢٧٩). وانظر منه أيضا (٢/ ١٢٠).

② وكشفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المؤمنين حتى يدخلوا الجنة، والدليل قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أنا أكثرُ الأنبياء تَـبَعا يومَ القيامة، وأنا أوَّلُ مَن يَقْرَع باب الجنة»** [١]، وفي رواية: **«أنا أوَّلُ شَفِيعٍ في الجنة»**، وفي لفظ آخر قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«آتِي باب الجنة يومَ القيامة فأسْتفْتِحُ، فيقول الخازِنُ: مَن أنت؟ فأقول: مُحَمَّدٌ، فيقول: بك أُمِرْتُ لا أفتَحُ لأحد قَبلَك»**. [٢]

③ وكشفاعته العظمى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



---

١- رواه مسلم (١٩٦).

٢- رواه مسلم (١٩٧). وانظر «معارج القبول» (٢/ ٨٩٤-٨٩٦).

## الشفاعة العظمى يوم القيامة

**المسألة الخامسة:** الشفاعة العُظمى منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كائنة لجميع الخلق يوم القيامة ليُرِيحهم ربُّهم من عظيم ما هُم فيه من شِدَّة ذلك اليوم، وهي خاصة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين سائر الأنبياء والمرسلين وكافة العالمين، وهي لواء الحمد والمقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، و«عسى» من الله تعالى واجبة، فإنَّ هذا المقام الشريف واقع لا محالة يوم القيامة، **وهو مقام الشفاعة عند جمهور أهل العلم.** [١]

وفي «الصحيحين»[٢] عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنا سَيِّدُ النَّاس يومَ القيامة، وهل تَدرونَ بِمَ ذاك؟ يَجمَعُ اللهُ يوْمَ القيامة الأَوَّلِينَ والآخِرينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسمِعُهم الدَّاعي، ويَنفُذُهم البَصَرُ، وتَدنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِن الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطِيقون، وما لا يَحتَمِلونَ،**

---

١- انظر «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٢٦)، و«شرح أصول الاعتقاد» للآلكائي (٦/ ١١٨٤- ١١٨٦)، و«الشفا» (١/ ٤١٨-٤٣٤)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٠٩-٣١٢)، و«التذكرة» (ص ٦٠٤- ٦٠٦)، و«الفروق» للقرافي (٤/ ٢٨٠)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٧٧٠).

٢- البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، واللفظ له. ورواية مسلم للحديث تامة كما قال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٤٦٢).

فيَقولُ بعضُ النَّاس لبَعْضٍ: ألا تَرَوْنَ ما أَنتم فيه؟ ألا تَرَوْنَ ما قد بَلَغكم؟ ألا تَنْظُرون مَن يَشْفَعُ لكم إلى رَبِّكُمْ؟ فيقول بَعْضُ النَّاس لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فيأْتُونَ آدَمَ، فيقولونَ: يا آدَمُ، أنت أبو البَشَر، خَلَقَكَ اللهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فيك مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلائكةَ فسَجَدوا لك، اشفَعْ لنا إلى رَبِّك، ألا تَرى إلى ما نَحْنُ فيه؟ ألا تَرى إلى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبْلَه مِثلَه، ولَن يَغْضَبَ بَعدَهُ مِثلَه، وإنه نَهاني عن الشَّجَرَة فعَصَيتُه، نَفْسي نَفْسي[1]، اذهَبوا إلى غَيري، اذهَبوا إلى نُوحٍ، فيَأتونَ نُوحًا، فيقولون: يا نُوحُ، أنت أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى الأَرض، وسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى مَا نَحْنُ فيه؟ ألا تَرى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم: إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإِنَّهُ قد كانت لِي دَعْوَةٌ

---

١- وفي روايات كثيرة أن كل نبي يعتذر بقوله: «لَسْتُ هُنَاكُمْ» كنايةً عن أن منزلتَه دون المنزلة المطلوبة، أي: أنا دون مقام الشفاعة. انظر: «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٥٣٨).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إكمال المعلم» (١/ ٥٧٧): «**وقد يكون إشارةً من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له، بل لغيره**، ودلَّ كل واحد منهم على الآخر حتى انتهى الأمرُ إلى صاحبه بدليل قوله: «أنا لها»، ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَيَّناً، ويكون إحالة كل واحدٍ منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**وفيه تقديم ذوي الأسنان والآباء على الأبناء في الأمور التي لها بالٌ**، وعلى هذا جاء تدريج سؤال الأنبياء في هذا الحديث ومبادَرةِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك وإجابته لرغبتهم لما حققه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن هذه الكرامةِ والمقاولة خاصة كما وعَدهُ بها ربُّه». انتهى.

دَعَوْتُ بها على قَوْمي، نَفْسي نَفْسي، اذهَبُوا إلى إبراهيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيَأتونَ إبراهيمَ، فيقولون: أنتَ نَبِيُّ الله وخَليلُه مِن أهلِ الأرضِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا ترى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ ألا ترى إلى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم إبراهيمُ: إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبلَهُ مِثْلَهُ، ولا يَغْضَبُ بَعْدَه مِثلَه، وذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسي نَفْسي، اذْهَبوا إلى غَيري، اذْهبوا إلى موسى، فيَأتون موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون: يا موسى، أنتَ رسول الله فَضَّلَكَ اللهُ برِسالَاته، وبتَكليمه على النَّاسِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّك، ألا تَرى إلى ما نحن فيه؟ ألا تَرى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم موسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبلَهُ مِثلَه، ولن يَغْضَبَ بَعدَه مِثلَه، وإِنِّي قَتَلتُ نَفسًا لم أومَر بقَتْلِها، نَفْسي نَفْسي، اذْهبوا إلى عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيَأتونَ عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رَسُولُ الله، وكَلَّمتَ النَّاسَ في المَهْد، وكَلِمَةٌ منه ألقاها إلى مريمَ، ورُوحٌ منه، فاشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فيقو لهم عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبلَه مِثلَه، ولن يَغْضَبَ بَعدَه مِثلَه، ولم يذكر له ذَنْبا[١]، نَفْسي نَفْسي، اذْهبوا إلى غَيري، اذْهبوا إلَ مُحَمَّدٍ، فيأتونِّي فيقولون: يا مُحَمَّدُ، أنت رسولُ الله، وخاتَمُ

---

١- وفي بعض الروايات في «سنن الترمذي» (٣١٤٨): «فيَأتونَ عيسى، فيقول: إنِّي عُبِدتُ مِن دُون الله، ولكن ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

الأنبياء، وغفَرَ اللهُ لك ما تَقدَّمَ مِن ذَنْبك، وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نحن فيه؟ ألا تَرى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ ويُلْهِمُني مِن مَحَامِدِه، وحُسْنِ الثَّناءِ عليه شيئا لم يَفْتَحْه لأَحَدٍ قَبلي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأسَك، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رَأسِي، فأقول: يا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال: يا مُحَمَّدُ، أَدْخِل الجنَّة مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه مِنَ الباب الأيْمَن مِن أبواب الجنَّة، وهم شُرَكاءُ النَّاسِ فيما سِوى ذلك مِن الأبواب، والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه، إنَّ ما بين المِصْرَاعَيْنِ مِن مَصاريعِ الجنَّة لَكَما بين مَكَّةَ وهَجَر، أو كَما بين مَكَّةَ وبُصْرى».

وفي بعض الروايات في «الصحيح»: «ثُمَّ أشفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فأُخْرِجَهم مِن النَّار وأُدْخِلُهم الجنة»، قال: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة، قال: «فأقولُ: يا رَبِّ، ما بَقيَ في النَّار إلاَّ مَن حَبَسَه القرآن»، وكان قتادة يقول عند هذا: «أي وَجَب عليه الخُلود».

ساق معنى هذا الحديث أبو الحجاج السَّرَقُسْطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنا حقيقة الشفاعة العُظمى في «عقيدته»:[1]

١- «التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد» (ص ٢٢٣). ولهذه المنظومة شرح لأبي عبدالله محمد بن خليل السَّكُوني الإشبيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المتوفى سنة ٧١٧ هـ)، مقرئ من فقهاء المالكية، نزل بتونس. انظر ترجمته في «الأعلام» (٥/ ٦٣)، و«تراجم المؤلفين التونسيين» لمحفوظ (٣/ ٤٧).

=

وهـــــــي في التَّعجيــــــل للحِســــــابِ
عنـــــد امتِـــــداد الكَـــــربِ والعَـــــذابِ

يَضـــــيقُ بالنـــــاس مَقـــــامُ العَـــــرضِ
ثـــــم يَمـــــوجُ بعضُـــــهم في بعـــــضِ

وقيـــــل: نستشـــــفِعُ عنـــــد ربِّنـــــا
لعلَّـــــه يُريحُنـــــا مِـــــن كَربنـــــا

فـــــذهبوا يَلتَمســـــون الرُّسْـــــلا
فخـــــاطَبوهم أوَّلا فـــــأوَّلا

---

=
وهذا الشرح يحقق من سنوات في مركز أبي الحسن الأشعري بالمغرب، ولا أدري هل نُشِر هذا العمل أم لا يزال قيد التحقيق.

## إشكال وجوابه في روايات حديث الشفاعة العظمى

**المسألة السادسة:** المتأمِّل في سياق هذا الحديث الطويل يجد أوَّلَه في الشفاعة العظمى في الإراحة من كَرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار وإدخال من لا حساب عليه إلى الجنة، وذلك إنما يكون بعد التحوُّل من الموقف والمرور على الصراط، **وهذا إشكال قوي وقد أجاب عنه أهل العلم بعدة أجوبة، حاصِلُها:** [1]

① أن الرواة قد يختصرون الحديث لمناسبة ما، وهذا تصرف مشهور عندهم. يوضِّحه:

② أنهم إنما اقتصروا على ما يتعلق بالشفاعة في عصاة الموحِّدين وإخراجهم من النار، ردًّا على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة فيما ذهبوا إليه من بدعة تخليد العصاة في النار. يزيده إيضاحا:

③ أن هذه الشفاعة في إخراج الموحِّدين من النار هي التي طلبت من بعض الصحابة أن يحدِّث بها في ذلك الوقت، فاقتصر عليها.

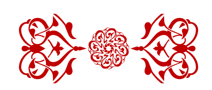
---

١- انظر لهذا: «إكمال المعلم» (١/ ٥٧٨)، و«المفهم» (١/ ٤٣٧)، و«النهاية» لابن كثير (١/ ٣٧١-٣٧٢)، وعنه تلميذه ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص ١٤٨)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٣٧-٤٣٩)، و«عمدة القاري» للعيني (٢٣/ ١٢٧-١٢٨)، و«القيامة الكبرى» (ص ١٨٤-١٨٨).

④ أنَّ قولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأقول: يا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال: يا مُحَمَّدُ، أَدْخِل الجنَّة مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه**»، يدل على أنه شُفِّع فيما طلبه من تعجيل حساب أهل الموقفِ، فإنه لما أُمِر بإدخال من لا حساب عليه من أمته، فقد شُرِع في حساب من عليه حِساب من أمته وغيرهم.

⑤ أنَّ بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، ففي بعض الروايات يتصل أول الحديث بآخره. يوضِّحه:

⑥ أنَّه جاء في بعض روايات الحديث: «**فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له، وتُرسل الأمانةُ والرحم، فيقومان جَنْبَتى الصراط يميناً وشمالاً، فيمُرُّ أَوَّلُهم كالبَرق**»، وساق الحديث إلى آخره، وهذا يدل على أن الراوي أسقط من اللفظ ما عدا شفاعة الإخراج، وبهذا يتصل الحديث، لأن هذه هى الشفاعة التى لجأ الناس إليه فيها، وهي الإراحةُ من الموقف، والفصل بين العباد، ثم بعد ذلك حلت الشفاعة فى أمته وفي المذنبين، وبهذا تجتمع متون الأحاديث، وتترتب معانيها، ولا تتنافر ولا تختلف إن شاء الله تعالى.



## الشفاعة تشريف للشافع ورحمة بالمشفوع فيه

**المسألة السابعة: زيادة على الشفاعات الخاصة به، فإنَّ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعاتٍ أخرى هي له ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين**، ومن ذلك شفاعته في قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها -كما تقدم-، وهذه مُجمع عليها.

**قال أبو الحسن الأشعري** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «**وأجمعوا على أن شفاعة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأهل الكبائر من أمته**، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعد ما صاروا حِمَماً». انتهى.

ومنها شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوم استحقُّوا النار ألاَّ يدخلوها، وشفاعته في أقوام من أهل الجنة في رفع درجاتهم فيها.

**وشفاعاته** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كثيرة يوم القيامة**، أوصلها بعض أهل العلم إلى خمس[2] وآخرون إلى ثمان[3]، وبلغت عند بعضهم عشرا[1]، **وإن كان بعضها يفتقر إلى دليل صحيح صريح**.[2]

---

١- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٦٤).

٢- «التذكرة» (١/ ٢١٥).

٣- انظر «النهاية» (٢/ ٢٠٤)، و«شرح الطحاوية» (ص ١٤٩)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٢٨)، و«فتح المجيد» (ص٢٢٣).

قال أبو الحجاج السَّرَقُسْطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [٣]

وقــــد أتـــى عـــن النبـــيِّ الأكـــرَمِ
شَـــفيعِنا لـــدى المَقـــامِ الأعظَـــمِ

بأنَّـــــه يَشـــــفَعُ يـــــومَ الفَصـــــلِ
مـــع المُشَـــفَّعينَ أهـــلِ الفَضـــلِ

كالعلمـــــاء والـــــذين اجتهَـــــدوا
في الصـــالحات والـــذين استُشـــهِدوا

وكُـــــلُّ مَـــــن آخـــــى أخًـــــا في اللهِ
فهُـــم غـــدًا أهـــلُ العُـــلا والجـــاهِ

يَشـــــفَعُ في زيـــــادة الثَّـــــوابِ
أو في الســـــلامة مـــــن العـــــذابِ

=

١- «البحور الزاخرة» (٢/ ٧٦٩).

٢- انظر كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته على «تهذيب سنن أبي داود » المطبوع مع «عون المعبود» (١٣/ ٥٥-٥٦).

٣- «التنبيه والإرشاد» (ص ٢٢٥-٢٢٦).

**المسألة الثامنة: إذنُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالشفاعة للشافع يوم القيامة فيه:**

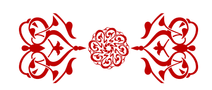
- **رحمةٌ بالمشفوع له**، إذ بالشفاعة تُغفر السيئات، وتُرفعُ الدرجات.
- **ورحمةٌ بالشفيع**، الذي أكرمه الله بالشفاعة إظهارًا لفضله، وإعلاءً لمنزلته بين العالمين.

وإليه أشار ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ بقوله: [1]

فلِـــــذا أقـــــامَ الشـــــافِعينَ كَرامَـــــةً

لـــــهُمُ ورَحمـــــةَ صـــــاحِبِ العِصـــــيانِ

قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «**وهذا كله يُبين أن الأمرَ كلَّه لله، هو الذي يُـكرِم الشفيعَ بالإذن له في الشفاعة، والشفيعُ لا يشفع إلا فيمن يأذنُ اللهُ له،** ثم يُـحِدُّ للشفيع حَدا فيدخلهم الجنة، فالأمرُ بمشيئته وقُدرته واختياره. وأَوجَهُ الشفعاء وأفضلُهم هو عنده الذي فضَّله على غيره واختاره واصطفاه بكمال عبوديته وطاعته وإنابته وموافقته لربه فيما يحبه ويرضاه». انتهى.



---

١- «النونية» (ص ٢٩٩).

٢- «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٩٥). وانظر «قواعد الإحكام» للعز بن عبد السلام (١/ ١٣٥)، و«رسالة الشرك ومظاهره» للميلي (ص ٣١٧).

## نشر الدواوين وأخذ الكتب بالشمال واليمين

مما يكون في ذلك اليوم العظيم نشرُ الدواوين، وتوزيع صحائف الأعمال، وأخذ الناس لها باليمين والشمال، إلزامًا للعِباد، ورَفعًا للجِدال والعِناد، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

**والكلام على هذا في مسائل:**

### حقيقة الإيمان بنشر صحائف الأعمال وأدلته وموضعه

**المسألة الأولى: النَّشر: لُغةً:** فَتحُ الكتاب أو بَثُّ الشَّيء، وهو ضدُّ الطيِّ، **وشرعًا:** إظهارُ صحَائِفِ الأعمال يومَ القيامة وتوزيعُها.[١]

**والدَّواوين: لُغَةً:** جَمعُ ديوان: وهو الدَّفتَرَ الذي يُكتَبُ فيه أسماءُ الجَيش، أو أعمال العباد.[٢]

**والصُّحُفُ: لُغةً:** جَمعُ صحِيفة، وهي الوَرَقة يُكتبُ فيها من الرِّق والقرطاس.[٣]

---

١- انظر «التحرير والتنوير» (١٥/ ٤٨).

٢- انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٥٠)، و«التنبيهات السنية» (ص ٢٣٠).

٣- انظر: «المصباح المنير» (١/ ٣٣٤)، و«التنبيهات السنية» (ص ٢٣٠).

**والكتاب**: ما فيه ذكرُ الأعمال وإحصاؤها.[١]

**ومن جهة الشرع: الصحف والدواوين والكتاب بمعنى واحد، وهي**: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل.[٢]

**المسألة الثانية**: يتحقق الإيمان بهذه المفردة من مفردات الإيمان باليوم الآخر بأنْ يعتقد المسلم أنَّ **الصحائف –وهي الدواوين– التي يكتب فيها الكرام الكاتبون أعمال العباد تُنشَر وتُظهَر يوم القيامة بلا خفاء، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل.**

**المسألة الثالثة: نشر دواوين الأعمال ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة،** ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣].

**وطائرُه**: هو ما طار عنه من عمله من خير وشر، يُلزم به ويُجازَى عليه، ويُجمع كلُّه في كتاب يُعطاه يوم القيامة، إما بيمينه إن كان سعيدا، أو بشماله إن

---

١- «التحرير والتنوير» (١٥/ ٤٨).

٢- «التعليق على لُمعة الاعتقاد» للعلامة ابن عثيمين (ص ٦١).

كان شقيا، وقوله: ﴿مَنشُورًا﴾ أي: مفتوحا يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره.[١]

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا ابنَ آدم، بُسِطت لك صَحيفتُك، ووُكِّل بك مَلَـكان كريمان، أحدُهما عن يمينك، والآخَرُ عن يسارك، فأما الذي عن يمينك فيَحفَظ حسناتِك، وأما الذي عن يَسارك فيَحفَظ سيِّئاتِك، فاعمل ما شئت، أَقْلِل أو أَكْثِر، حتى إذا مِتَّ طُوِيَت صَحيفتُك، فجُعِلت في عُنِقك معك في قبرك، حتى تُخرِجَ يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا، ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، **قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك**».[٢]

وقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ أي: اقرأه قراءة المأمورِ الممتثِل لأمْر آمرٍ مُطاع، يأمره بالقراءة فيقرأ، **سواء كان قارئا أو غير قارئ**.[٣]

---

١- وكم أحسن العلامة الشنقيطي –كعادته- رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان» (٣/ ٦١-٦٢) عند الكلام على هذه الآية، وكيف وُفِّق في جمع الآيات المتعلقة بصحائف الأعمال وما جاء في وصفها وذكر حقيقة أهلها، ولولا خشية الإطالة لنقلته بحروفه، وإن كانت مسائله متفرقةً في هذه المباحث.

٢- انظر «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٩٧-٤٠٠)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٥٠-٥٢).

٣- «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦/ ٤٤٩)، باختصار.

وقال بعض الصلحاء: «هذا كتاب، لسانُك قلمُه، ورِيقُك مِدادُه، وأعضاؤك قِرطاسه، أنت كنت الـمُمْلي على حفظتك، ما زِيد فيه ولا نُقِص منه، ومتى أنكرْت منه شيئا يكون فيه الشاهدُ منك عليك». [١]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾[التكوير: ١٠]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[الزمر: ٦٩]، أي: وضعت الكتب، وهي صحائف أعمال العباد، أُحضِرت للحساب بما فيها من صالح وسيىء. [٢]

وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: **«يُدْنَى المُؤمِنُ يومَ القيامة مِن رَبِّهِ ﷻ، حتى يَضَعَ عليه كَنَفَهُ، فيُقَرِّرُهُ بذُنوبه، فيقول: هل تَعْرِفُ؟ فيقول: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فإِنِّي قد سَتَرْتُهَا عليك في الدنيا، وإِنِّي أَغْفِرُها لك اليومَ، فَيُعطى صَحِيفَةَ حسناتِه».** [٣]

---

١- «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٣٠).

٢- «التحرير والتنوير» (٢٤/ ٦٧). وانظر «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٢٦).

٣- رواه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: «وأنَّ الخلقَ يُؤتَون يومَ القيامة بصحائفَ فيها أعمالُـهم، فمَن أوتي كتابَه بيمينه حوسب حساباً يسيراً، ومن أوتي كتابَه بشماله فأولئك يَصلَون سعيراً». انتهى.

وقال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢]: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق، **واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك، في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل**»، إلى أن قال: «**ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير والشر**». انتهى.

**ونقل الإجماع على هذا** النفراوي والسفاريني. [٣]

ومن شعر ابن القيم في «الميمية» قولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [٤]

ويـا لَيـتَ شـعري كيـف حالُـك عندمـا
تطـايرُ كُتْـبُ العـالمين وتُقسَـمُ
أتأْخُـذ بـاليُمنى كتابـك أَم تُـرى

١- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٦٢).

٢- «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٢٣).

٣- انظر «الفواكه الدواني» (١/ ٨٩)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨١).

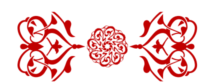
٤- «طريق الهجرتين وباب السعادتين » (ص ٥٥).

بيُســـراك خَلْـفَ الظهــر منــك يُسلَّـــمُ

وتقـــرأُ فيـــه كـــلَّ شـــيءٍ عَـــــمِلتَهُ

فيُشـــرِقُ منــك الوجــهُ أو هــو يُظلِـــمُ

المسألة الرابعة: **ظاهر النصوص تدل على أنَّ أخذ الصحف يكون قبيل الحساب أو مقارِنا له**[1]، بعدما يشفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أرض المعاد لفضل القضاء بين العباد، لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٧ - ٨]، وسيأتي مزيد بيان لهذا عند الكلام على الحساب إن شاء الله تعالى.



١- انظر «موسوعة العقيدة» (٤/ ١٧٨١).

## صفة أخذ الكتاب يوم القيامة

**المسألة الخامسة:** اختلف أهل العلم في صفة أخذ كتاب الأعمال يوم القيامة على أقوال، **وتحرير المسألة أن تعلَم أنَّهم اتفقوا على:**[١]

- **أنَّ المؤمنَ الخالِصَ يأخذ كتابه بيمينه،** قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[الحاقة: ١٩]، أي: دونكم كتابي فاقرؤوه فإنه يبشَّر بالجنَّات، وأنواعِ الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب، ثم ذكر الذي أوصله إلى هذه الحال الرضيَّة والعيشة الهَنيَّة، وهو ما منَّ الله به عليه من الإيمان بالله واليوم الآخر، والاستعداد له بالعمل الصالح، ولهذا قال: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[الحاقة: ٢٠] أي: أيقنت بالبعث والحساب، فأمِنَ العقاب، ونال الثَّواب، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[الحاقة: ٢١ - ٢٢].[٢]
- **وأنَّ الكافرَ الخالِصَ يأخذ كتابه بشماله،** قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾[الحاقة: ٢٥]، لأنه يُبشَّرُ بالخيبة

١- انظر «شرح ابن ناجي التنوخي على الرسالة» (١/ ٥٠).

٢- انظر «تفسير السعدي» (ص ٨٨٣).

والسوء والعذاب السَّرمدي –والعياذ بالله من حاله–، لأنه كافر بالله، ولهذا قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الحاقة: ٣٣].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: «إن أصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة، وأصحاب المشأمة هم أصحاب النار، قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾[الواقعة: ٢٧ - ٢٨]، وقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ﴾[الواقعة: ٤١ - ٤٢]». انتهى.

طُـــوبَى لـــــمَن يأخُـــذ بـــاليمينِ
كتابَـــه بُشـــرى بِحُــــورٍ عِــــينِ
والوَيــــلُ للآخِــــذ بالشـــمالِ
وراء ظهــــرٍ للجحـــــيم صــــالي

---

١- «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٧٢).

## هل يأخذ الكافر كتابه بشماله وراء ظهره؟

**المسألة السادسة: اختلف أهل العلم في بعض المباحث المتعلِّقة بهذا الباب، وهي:**

① **هل يأخذ الكافر كتابه وراء ظهره مع أخذه له بشماله**، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾[الانشقاق: ١٠]، **أم يكون الأخذ بالشمال للكافر، والأخذ من وراء الظهر للمنافق؟**

**والذي عليه جمهور المفسرين أنَّ الكافر -ومثله المنافق- يأخذ كتابه بشماله عُضوًا، ومن وراء ظهره هيئةً**، بأن تُخلَع يدُه أو تُلوى أو يُدخِلَها من صدره لتَخرُج من وراء ظهره. [١]

ولهذا روى البخاري معلَّقا أنَّ مجاهدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾[الحاقة: ٢٥]: «يأخذ كتابه من وراء ظهره». [٢]

وإذا كان الكافر يأخذ كتابه وراء ظهره، فدلَّ هذا على أنَّ المؤمنَ يأخذ كتابَه من أمامه. [٣]

---

١- انظر «الفواكه الدواني» (١/ ٨٩-٩٠)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٧٩٠).

٢- انظر «تغليق التعليق» للحافظ ابن حجر (٤/ ٣٦٣-٣٦٤).

٣- انظر «البحور الزاخرة» (٢/ ٧٩٠).

قال البغوي في صفة أخذ الكافر لكتابه [١]: «فتُغَلُّ يدُه اليمنى إلى عُنقه، وتُجعل يدُه الشمال وراء ظهره، فيُؤتى كتابَه بشماله من وراء ظهره». انتهى.

**وأَخذُ الكافر كتابَه بشماله مِن وراء ظهرِه، فيه تحقير له من ثلاث جهات:** [٢]

- **الأولى**: أنَّ هيئتَه هي هيئة الفاتِرِ المتألِّمِ الكارِه لما يتناوله، ولكنَّه لا بُدَّ له من ذلك، ويا خيبَته مِن هالِك.
- **والثانية**: أنَّ المَهين الذَّليلَ هو مَن يُؤتَى مِن وراء ظهره، ويُتسَلَّطُ عليه بذلك، لأَنَّه اتَّخذ كتابَ الله وراءه ظِهريًا، فجُوزي بنظير فعله، نَـكالا به.
- **والثالثة**: من جهة تَلَقُّفِه له بالشمال، فاليمين تكريم وهذا مُهان، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾[الحج: ١٨]، فإنَّ الشمال عند العرب مُسْتَقبَحَةٌ مَذلولة، بل عند الأُمَمِ كافة إلَّا مَن خَرج عن الفِطرة والدِّين.

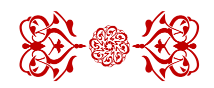
---

١- «معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٤). وانظر «عمدة القاري» (١٩/ ٢٨٤)، و«دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للعلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٢٥٥).

٢- انظر «النكت والعيون» للماوردي (٦/ ٨٤)، و«فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٧٢٥-٧٢٧)، و«اللآلي البهية (٢/ ٢٣٨)، وتعليق شيخنا العصيمي على «أعلام السنة المنشورة».

قال أبو الحسن الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: «ومِن عادة العرب أن تُفَرِّق بين القَبول والرَّد وبين الكرامة والهَوان باليمين والشمال، فتَجعلُ اليمينَ بشيراً بالقَبول والكرامة، وتجعَل الشمالَ نذيراً بالرَّد والـهَوان». انتهى.

وإنما جُعِل أخذُ المؤمن الكتابَ باليمين لما فيه من اليُمن -وهو البركة والتفاؤل به-، ولهذا يقول مُستبشِرًا: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾، كما تقدَّم.



١- «النكت والعيون» (٦/ ٨٤).

## هل يأخذ المؤمن العاصي كتابه بشماله؟

**② وكيف يأخذ المؤمن العاصي كتابَه يوم القيامة؟**

**اختلف أهلُ العلم في هذا على ثلاثة أقوال:**

- **القول الأول**: أنَّ المؤمنَ العاصي يُعطى كتابَه بشماله من أمامه.[١]
- **والثاني**: التوقُّف، لتعارض النصوص في نظر بعض العلماء.
- **والثالث**: قول الجمهور -وبه جزم الماوردي- وهو أنَّ الفاسقَ الذي مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه.

قال أبو الحجاج السَّرَقُسْطي ناظما هذا المعنى:[٢]

والـــــمُذنِبُ الفاســـــقُ ذو الإيمـــــانِ
مِـــن آخِـــذينَ الكُتْـــبِ بالأيمـــانِ

وقيـــــــل: إنَّ حُـــــــكمَهُ موقـــــوفُ
ولـــــم يَـــــرِدْ في أَمـــــرِه تَوقيـــــفُ

**والأظهر -والله أعلم- هو قول الجمهور، وهو أن المسلم كيف ما كانت حاله، مؤمنا تقيا أو عاصيا أبِيًّا، فإنه يأخذ كتابه بيمنيه بالنظر إلى مآله وهو الجنة -وإن عُذِّبَ قبلها-.**

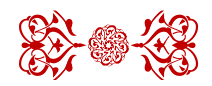
---

١- واختاره السفاريني في «لوامع الأنوار» (٢/ ١٨٣).

٢- «التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد» (ص ٢٢٨).

فإن قلتَ: **كيف يأخذ كتابه باليمين ثم يدخل النار؟**

فالجواب كما قال يوسف بن عمر المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1]: «وعلى القول بأن عصاة الموحدين يأخذون كتبهم بأيمانهم، **فإنَّهم يأخذونها قبل الدخول في النار، ويكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها، وقيل يأخذونها بعد الخروج منها**». انتهى.



١- نقلا عن «هداية المريد شرح جوهرة التوحيد » لإبراهيم اللَّقَّاني المالكي (المتوفى سنة ١٠٤١ هـ) (٢/ ١٠٧٨). وانظر «لوامع الأنوار» (٢/ ١٨٣)، وفيه: «قال يوسف بن عمرو من المالكية» بدل عمر، والأظهر أنه يوسف بن عمر كما قال صاحب «الجوهرة» و«شرحها» اللَّقَّاني.

## إشكال وجوابه في صفة أخذ العاصي لكتابه

**المسألة السابعة: على القول بأنَّ الموحِّد العاصي يأخذ كتابه باليمنى، قد يورَدُ إشكالٌ وجيه، وهو: كيف يُجمع بين هذا وبين قول الله جَلَّجَلَالُهُ:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[الانشقاق: ٧ - ٩]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[الحاقة: ١٩ - ٢٢]، وهذا لا ينطبق على العاصي الذي يحاسَب حساب عسيرا، ويستحقُّ دخول النار بقدر ما عنده من الذنوب والكبائر.

**والجواب عن هذا الإشكال -والعلم عند الله تعالى-، من ثلاثة أوجه:**

- **الوجه الأول: أنَّ الآيات ذكرت المؤمن الخالِص التقيَّ، ولم يأت فيها ذكر العاصي الأبيِّ**، ومن هنا نشأ الخلاف في هذه المسألة، فإنَّ الأدلَّة صرَّحت بحال المؤمنين الأتقياء والكفار الأشقياء، ولم يأت فيها بيان من خلَّط من الموحِّدين.[1]

- **والوجه الثاني**: أنَّ العاصي داخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ في آيتي «الحاقة» و«الانشقاق»، فإنَّ «مَن» الموصولة

---

١- وفي «فتاوى اللجنة الدائمة» (١/ ٧٢٥-٧٢٧) إشارة لهذا الوجه.

مِن صيغ العموم، وهي بِحَسَبِ ما تضاف إليه، فإن أضيفت إلى أشخاص أفادت عُمومَ الأشخاص، وعليه، فيكون المؤمنُ الفاسقُ داخلًا في عموم الفرح والسرور والحساب اليسير **من جهتين**:

- **الأولى**: بالنسبة إلى الكافر ذي الحساب العسير، وسوء المصير، إذْ ظنَّ –بجهله– أن لن يحور، ولم ينفعه ما كان عليه في أهله من السُّرور، وقد صار إلى الويلات والثُّبور.
- **والثانية**: باعتبار كمال النهاية –وهو المصير إلى الجنة–، لا باعتبار النقص في البداية –وهو عذابه في النار بقدر ذنوبه–.

- **والوجه الثالث**: يجمع بين الوجهين الأوَّلين، فتَبقى آيات «الانشقاق» خاصَّة بالمؤمنين الأبرار، وهذا الذي يتوافَق مع تفسير النبيِّ المختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحِسَاب اليَسير، بأنْ يَنظُرَ اللهُ في كِتاب عبده فيَتجاوَزَ عنه[١]. وتُحمَلُ آياتُ «الحاقة» على جميع المؤمنين، سواءٌ كانوا: سابقين بالخيرات، أومُقتصِدين، أو ظالمين لأنفُسهم، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾، وهذا مُتحقِّقٌ في مطلق المؤمنين، وأدناهم في البرِّ واليقين،

---

١- سيأتي تخريجه عند الكلام على مسائل «العرض والحساب».

وهؤلاء –وإن عُذِّبوا قبلها– فهم ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، باعتبار المآل، وإن تكدَّر عليهم الحال.

ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وأما الظالم لنفسه فليس مِن أصحابِ اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآلُه إلى أصحاب اليمين**، كما أنَّه لا يُسَمَّى مؤمناً عند الإطلاق، وإن كان مصيرُه ومآلُه مصيرَ المؤمنين بعد أخذ الحق منه». انتهى.

**والخلاصة**: أنَّ الوجه الأوَّل محتمِل، والثاني أضعفُها لمخالفته للحديث، والثالث أقواها أثرًا ونظرًا، والعلم عند الله تعالى.

**المسألة السابعة: ظاهر النصوص شاهدٌ بعموم نشر صحائف الأعمال لكل الأمم**، فإنَّ «كُلَّ» في قول الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، مفيدة لهذا العموم[2]، ويُستَثنى من ذلك الأنبياء، كما صرَّح به بعض أهل العلم.[3]



---

١- «طريق الهجرتين» (ص ١٨٧).

٢- انظر «شرح تنقيح الفصول» للقرافي (ص ١٩٥-١٩٦)، و«الإبهاج في شرح المنهاج» للسبكي (٢/ ٩٤)، و«البحر المحيط» للزركشي (٤/ ٨٥).

٣- انظر «العقائد السلفية» (٢/ ٤٩٣)، و«اللآلي البهية» (٢/ ٢٣٧).

# العَرض والحساب

من أسماء يوم القيامة **يوم العرض**، الذي يُعرضُ فيه الناس على ربهم، **ويوم الحساب**، الذي يُحاسَب فيه الخلائقُ على أعمالهم، إنْ خيرا فخير، وإن شرا فشر[1]، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: ٦]، وفي الحديث القدسي المشهور[2] يقول اللهُ تبارك وتعالى: «**يا عِبادي إِنَّما هي أعمالُكم أُحْصيها لكم، ثم أُوَفِّيكم إيَّاها، فمَن وَجَدَ خيرًا، فليَحْمَد الله، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلك، فلَا يَلومَنَّ إلَّا نفسَه**»، وكان أبو إدريس الخولاني -وهو أحد الرواة- إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

**والكلام على العرض والحساب في مسائل:**

١- انظر: «التذكرة» (ص ٥٥٠، ٥٦٢).

٢- رواه مسلم (٢٥٧٧).

## تعريف العَرض وأنواعه وأدلته

**المسألة الأولى: العَرْضُ، لُغَةً:** أصلُه إمرارُ الأشياء على مَن يريد التَّأمُّلَ منها، مثلُ عَرْضِ السِّلعَة على الـمُشتري، وعَرْضِ الجيش على أميرِه[١]، **وشرعًا:** إيقافُ الخَلائق بين يدي الله يوم القيامة.

**المسألة الثانية: العرض** -في لسان الشرع- **له معنيان:** [٢]

**الأول: معنى عام،** وهو عرض الخلائق كلِّهم على ربهم ﷻ، بادِيَةً له صفحاتُهم لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب.

**والثاني: معنى خاص،** وهو عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرُهم بها، وسترُها عليهم، ومغفرتُها لهم.

قال قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] -نقلا عن أهل العلم-: «يحاسِب اللهُ عبادَه في القيامة ويناقشهم، ويحاسِب بالعَرض مَن قضى له بالمغفرة ويناقش بالحساب من قضى عليه بالعذاب». انتهى.

---

١- «التحرير والتنوير» (٢٩/ ١٢٨).

٢- انظر «معارج القبول» (٢/ ٨٢٢).

٣- «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥٤٦).

**المسألة الثالثة:** ذكر الله تعالى العَرض في مواضع من كتابه، ومن ذلك قولُه جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٨]، والخِطاب في قوله: ﴿تُعْرَضُونَ﴾ لجميع النَّاس بقَرِينة المقام وما بعد ذلك من التَّفصيل.[١]

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الكهف: ٤٨]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أمَا إنكم ستُعرَضون على ربِّكم، فترَوْنه كما ترَوْن هذا القمر**».[٢]

ورُوِيَ في الحديث: «**يُعْرَضُ النَّاسُ يومَ القيامة ثَلاث عَرَضَاتٍ: فأمَّا عَرْضَتَانِ فجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وأمَّا العَرْضَةُ الثَّالثةُ فعِنْدَ ذلك تَطِيرُ الصُّحُفُ في الأيدي، فآخِذٌ بيَمينه وآخِذٌ بشِماله**».[٣]

---

١- «التحرير والتنوير» (٢٩/ ١٢٨).

٢- رواه مسلم (٦٣٣). «التحرير والتنوير» (٢٩/ ١٢٨).

٣- رواه أحمد في «المسند» (١٩٧٣٠)، والترمذي (٢٤٢٧)، وابن ماجه (٤٢٧٧)، وقال الترمذي عقب إيراده: «ولا يَصِحُّ هذا الحديثُ مِن قِبَل أنَّ الحَسَنَ لم يَسمَع مِن أبي هريرة...»، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٩٣٢).

قلت: وقد تعقب الحافظُ ابن كثير الترمذيَّ في نفيه لسماع الحسن من أبي هريرة، فقال في «النهاية» (٢/ ٤١): « الحسن قد روى له البخاري عن أبي هريرة، وقد وقع في مسند أحمد التصريح بسماعه منه». انتهى.

=

- **فالعرضة الأولى**: **عرضة جدال للأعداء، لأنهم لا يعرِفون ربَّهم،** فيدفعون عن أنفسهم ويقولون لم يبلغنا الأنبياء، ويظنون بجهلهم أنَّهم إذا جادلوه نجَوْا وقامت حُجَّتُهم.
- **والعرضة الثانية**: **يقيم اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حُجَّتَه على أعداء أنبيائه،** فيعترفون ويعتذرون، بأن يقولوا: فعلناه سهوا وخطأً، أو جهلا، أو رجاءً، ونحو ذلك.
- **والعرضة الثالثة**: **للمؤمنين،** وعندها تطاير الصحف، فآخذ بيمينه وهؤلاء هم أهل السعادة، ومنهم آخذ بشماله وهؤلاء هم أهل الشقاوة. [١]

**وفي هذه العرضة الثالثة يكون المؤمنون على ضربين:** [٢]

- **فمنهم**: من نبَّهه الله في الحياة الدنيا، فكاد يموت حياءً وفرَقًا، فأُعطِيَ الأمانَ يوم القيامة، لأنَّ الكريم لا يجمع على عبده

---

=

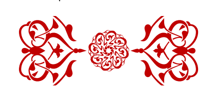
وجاء ذلك موقوفا عن ابن مسعود وأبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٠).

١- انظر «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٥٣٠).

٢- انظر «نوادر الأصول» (١/ ٤١٧-٤١٨).

خوفين، ومن استحيى من الله تعالى في الدنيا مما صنع استحيى الله تعالى من تفتيشه وسؤاله يوم القيامة.

- **ومنهم**: من يريد الله أن يُعاتبَه حتى يذوقَ وَبال الحياء منه يوم القيامة، فيفيض عَـرَقًا بين يديه، ثم يغفر له ويرضى عنه.



## تعريف الحساب وأدلته

المسألة الرابعة: الحسابُ، لُغَةً: العَدُّ والإِحْصَاءُ[١]، وشرعًا: عدُّ أعمالِ العباد يومَ القيامة.[٢]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الحِساب: تعريفُ الله عِبادَه مَقاديرَ الجزاء على أعمالهم، وتذكيرُه إيَّاهم بما قد نَسوه». انتهى.

المسألة الخامسة: توافرت النصوص في بيان حقيقة الحساب، ومن ذلك قوله جلَّ وعَلا: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١]، وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾[الشعراء: ١١٣]، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾[الغاشية: ٢٥ - ٢٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾[الأعراف: ٦ - ٧]، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الحجر: ٩٢ - ٩٣]، وقوله: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا

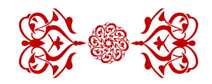
---

١- «تهذيب اللغة» للأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤/ ١٩١).

٢- انظر «شرح أعلام السنة المنشورة» للشيخ العصيمي، وهو منشور صوتًا عبر هذا الرابط:
https://bit.ly/ https://j-eman.net/%D٣jNMbDc
ويمكن تحميله مكتوبًا عبر «موقع التفريغ» لأخينا د. سالم الجزائري:
https://attafreegh.com/read/١١٤٢٥٢٠١٦١-٣٦٧٢

٣- «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٤٣٥).

فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[المجادلة: ٦]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾[الرعد: ٢١]، قال الحسن: «سوءُ الحساب أنْ يؤاخَذ العَبدُ بخطاياه، ولا يُغفرُ له منها ذَنْبٌ».[١]

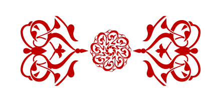


١- «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (٦/ ١٢٣٩-١٢٤٠).

## متى يكون الحساب؟

**المسألة السادسة:** متى يكون الحساب؟ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٧ - ٨]، وهذا ظاهر في أنَّ الحساب يكون بعد أخذ الصحف، لأنَّ الناسَ إذا بُعِثوا لم يكونوا ذاكرين لأعمالهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها». انتهى.



---

١- «التذكرة» (ص ٦١٩).

## تفاوت الناس في الحساب

**المسألة السابعة**: يتفاوت المؤمنون في الحساب يوم القيامة:

- **فمنهم**: من يحاسب حسابا عسيرا،
- **ومنهم**: من يحاسب حسابا يسيرا –وهو العرض بالمعنى الخاص–،
- **ومنهم**: من لا يحاسَب أصلا.

والدليل على ذلك ما جاء في «الصحيحين»[١] عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّب**»، فقالت له: «أليس يقولُ اللهُ تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٨]»، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذلِكِ العَرْضُ**».

ومعنى: «**مَن نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّب**»: أي أنَّ هذا الحسابَ مُفْضٍ إلى العذاب بالنَّار، ويُؤَيِّدُهُ قولُه في الرواية الأخرى: «**هَلَكَ**» مكانَ «**عُذِّب**»، وصحَّحَ هذا الوَجهَ النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم قال بعده: «ومعناه أن التَّقصيرَ غالِبٌ في العِباد، **فمَن استُقصِيَ عليه ولم يُسامَح هَلَك ودخل النار**، ولكنَّ اللهَ تعالى يعفو ويغفِر ما دون الشِّرك لمن يشاء». انتهى.[٢]

---

١- البخاري (٦٥٣٦) واللَّفظُ له، ومسلم (٢٨٧٦).

٢- «شرح النووي على مُسلم» (١٧/ ٢٠٩).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضا، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في بعض صلاته: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»[١]، فقُلْتُ: «يا نَبِيَّ الله ما الحِسَابُ اليَسِيرُ؟»، قال: «**أنْ يَنظُرَ في كِتابه فيَتجاوَزَ عنه، إنَّهُ مَن نُوقِشَ الحِسابَ يَومَئِذٍ يا عائشَة هلَكَ**».[٢]

**ويُستفاد من هذا أنَّ الحسابَ نوعان:**

- **أحدهما: الحِسابُ اليَسِيرُ**، وهو تقرير الله للعبدِ على ذنوبه، مع العفو عنه، ويُسَمَّى العَرْض.
- **والآخر: الحِسابُ العَسِيرُ**، وهو مُنَاقَشَةُ العَبد، واستقْصَاءُ أعمالِه عليه.

**المسألة الثامنة:** ثبت في «الصحيحين»[٣] **أنَّ من هذه الأمة سَبعينَ أَلفًا سيَدخُلون الجنَّة بلا حِساب**، وجاء في رواية قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَعَدَني رَبِّي أنْ يُدْخِلَ الجنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعِينَ ألفًا لا حِسابَ عليهم ولا عَذابَ، مع كُلِّ**

---

١- وفي هذا تعليم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمَّته حتى تدعُو بهذا الدعاء، وإلا فهو مقطوع له بأعلى الدرجات. انظر جواب العلامة تقي الدين الهلالي عن هذا في «سبيل الرشاد» (٦/ ١٥٤).

٢- رواه أحمد في «المسند» (٢٤٢١٥)، وابن خزيمة (٧٣٧٢)، وغيرُهما، وصحَّحه الألباني في «المشكاة» (رقم: ٥٥٦٢).

٣- البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢١٨).

**ألفٍ سَبْعُونَ ألفًا، وثَلَاثُ حَثيَاتٍ مِن حَثيَاتِ رَبِّي»** [١]، فيكون العددُ – من غير الحثيات- قريبا من خمس ملايين نفسا (٤٩٧٠٠٠٠)، جعلني الله وإياك منهم. آمين.

وعليه، فيكون هؤلاء الذين لا يُحاسَبون مستثنَين من العموم الوارِد في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الحجر: ٩٢ - ٩٣]، ومن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تَزُولُ قَدَما عَبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسألَ عن أربَعٍ**» الحديثَ[٢]، فإنَّ كلمة «قَدَما»: نكرة في سياق النفي تفيد العموم.[٣]

---

١- رواه أحمد (٢٢٣٠٣)، والترمذي (٢٤٣٧)، وغيرهما، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٥٥٦).

٢- رواه الدارمي (٥٥٤)، والترمذي (٢٤١٧) بلفظ: «لا تَزُولُ قَدَما عَبدٍ يومَ القيامة حتَّى يُسألَ عن عُمُرِهِ فيما أفناهُ...»، وصححه الألباني في تخريجه لـ«اقتضاء العلم العمل» (ص ١٦).

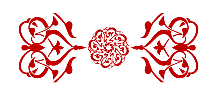
٣- انظر «المفهم» (٧/ ١٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٦٠)، و«التذكرة» (ص ٦٣٢، ٦٣٦).

## هل يُحاسَب الكفار يوم القامة؟

**المسألة التاسعة:** اختلف أهل العلم في مسألة، وهي: **هل يحاسِب اللهُ الكُفَّار يوم القيامة؟** وفهمُها يَنبني على فهم المراد بالحساب في هذا الموطن.[١]

**فإن قُصِد بالحساب: عَرضُ أعمالهم عليهم،** وتوبيخُهم عليها، فالكفارُ يحاسبون بهذا الاعتبار، بالإجماع.

**وإن قُصِد بالحساب: موازنةُ الحسنات بالسيئات ليَتبيَّن أيهما أرجح،** فهذا ممتنعٌ في حقِّهم، لأنه لا حسنةَ لهم ترجَحُ على سيئة الكفر الأكبر التي أحبطت جميعَ أعمالهم -والعياذ بالله من حالهم ومآلهم-.



١- انظر «الفتاوى» (٣/ ١٤٦) (٤/ ٣٠٥-٣٠٦) (٦/ ٤٨٦-٤٨٧) (٣٣/ ٢٤).

## محاسبة الكفار يترتَّب عليها تفاوتهم في العذاب

المسألة العاشرة: **محاسبةُ الكفار لا يترتَّب عليها ثواب، وإنما يترتَّب عنها تفاوُتُهم في العذاب**، فمن كثُرَت سيئاتُه عُظُم عقابُه، ولهذا كان عذاب أبي لهب أشدَّ مِن أخيه أبي طالب، وإن كانا جميعا خالدَين في النار، وعذابُ عاقِر الناقة من قوم ثمود أشد من عذاب سائر قومه، وعذابُ قتَلة يحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء أشد من عذاب غيرهم من الكفار، وهكذا.[1]

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[النحل: ٨٨]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾[التوبة: ٣٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ١٣٢]، فإنَّ الله –بعدله وحكمته– لا يجعل قليلَ الشر منهم ككثيره، ولا التابعَ كالمتبوع، ولا المرؤوسَ كالرئيس، كما أنَّ أهلَ الثواب والجنة –وإن اشتركوا في الربح والفلاح ودخول الجنة– فإن بينهم من الفَرق ما لا يعلمه إلا الله.[2]

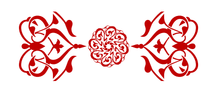
---

١- انظر «إكمال المعلم» للقاضي عياض (١/ ٥٩٧).

٢- انظر «التخويف من النار» (ص ١٧٨)، و«تفسير السعدي» (ص ٢٧٤).

وفي «صحيح مسلم»[1] أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**منهم مَن تأخُذُهُ النَّارُ إلى كَعْبَيه، ومنهم مَن تأخُذُهُ النَّارُ إلى رُكْبَتَيه، ومنهم مَن تأخُذُهُ النَّارُ إلى حُجْزَتِهِ**[2]**، ومنهم مَن تأخُذُهُ النَّارُ إلى تَرْقُوَتِه**».

ومن المعلوم أنَّ النَّارَ دَرَكَاتٌ، وعليه، **فحسابُ الكفار يكون لِبَيان مراتب العذاب، لا لأجل دخول الجنة والثواب.**[3]



١- (٢٨٤٥).

٢- أي: مَشَدّ إزارِه. «النهاية» (١/ ٣٤٤).

٣- انظر «التذكرة» (ص ٧٢٠-٧٢١)، و«الفتاوى» (١/ ١٤٤) (٤/ ٣٠٥-٣٠٦).

## هل ينتفع الكافر بعمل الخير في الآخرة؟

**المسألة الحادية عشرة:** اختلف أهل العلم في مسألة أخرى، وهي: **هل ينتفع الكافر بعمل الخير في الآخرة؟** وتحريرُها أن تعلمَ أنَّ أعمالَ الخير التي تصدر من الكافر قسمان: [١]

- **الأول: ما تشترط له النية من الأعمال**، كالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات المقصودة لذاتها.
- **والثاني: ما لا تشترط له النية من الأعمال**، كالصدقة وإكرام الضيف والعتق والبِرِّ وصلة الأرحام والتنفيس عن المكروب والإحسان للخَلق وغيرها من الأعمال الخيرية.

**أما ما تشترط له النية** -وهو القسم الأول-، **فهذا لا يصح من الكافر، ولا يُعتَدُّ بها شرعا** في ميراث ولا نكاح ولا غير ذلك، ولا ينتفع به مطلقا لا في الدنيا ولا في الآخرة، **لأنَّها فاقدةٌ لشروط قبول العبادة التي هي: الإخلاص والمتابعة**، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾[التوبة: ٥٤]، ووصف الله

١- انظر «شرح مسلم» للنووي (١٧/ ١٥٠)، و«البحر المحيط» للزركشي (٢/ ١٤٧).

أعمالهم بأنَّها ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[إبراهيم: ١٨]، وأنَّها ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾[النور: ٣٩] أي: بقاع، لا شجر فيه ولا نبات، وغير ذلك من الآيات الدالة على بطلان عمل الكافر واضمحلاله من أصله.

قال الحطاب الرُّعَيني[1]: «**والكُفر لا يصِحُّ معه قُربة بوجه**». انتهى.

**وأما ما لا تشترط له النية** -وهو القسم الثاني-، فهذه المسألة مما اختلَف فيه أهلُ العلم قديما وحديثا، **وتحريرُها أن تعلمَ:**

- **أنَّهم اتفقوا على إمكانية إثابة الكافر على أعماله في الدنيا.**

والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[هود: ١٥ - ١٦]، وما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مُؤمِنًا حَسَنةً، يُعطَى بها في الدنيا ويُجْزى بها في الآخرة، وأمَّا الكافِرُ فَيُطعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لله في الدنيا، حتى إذا أفْضى إلى الآخرة، لم تكُن له حَسَنةٌ يُجْزَى بها**».[2]

---

١- «مواهب الجليل» (١/ ٣١١). وانظر «إكمال المعلم» (٨/ ٣٤١).

٢- رواه مسلم (٢٨٠٨).

وعبَّرت بـ«**إمكانية إثابة الكافر على أعماله في الدنيا**» دون جَزم، ومردُّ **ذلك راجع إلى أمرين:**

- **الأول**: أنَّ هذا مُقَيَّدٌ بمشيئة الله.

وهذا الذي دَلَّت عليه آيةُ «الإسراء»، وهي قاضيةٌ على كُلِّ شيءٍ في هذا الباب، وهي قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[الإسراء: ١٨]، فيُحمَل العام على الخاص والمطلَق على المقيَّد.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فمن الكفار من يثيبه اللهُ بعمله في الدنيا كما دلت عليه آيات وصحَّ به الحديث[٢]، **ومنهم من لا يثيبه في الدنيا كما دلت عليه آيات أخر**، وهذا مشاهد فيهم في الدنيا.

فمنهم من هو في عيش رغد، ومنهم من هو في بؤس وضيق، ووجه دلالة القرآن على هذا أنه تعالى أشار إليه بالتخصيص بالمشيئة[٣] (...)، ويدل

---

١- انظر «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ص ١١٥-١١٨). ونحوه عند تلميذه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «القول المفيد» (٢/ ١٤٠-١٤١).

٢- يعني حديث مسلم الذي تقدَّم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٣- وبهذا أجاب الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (١١/ ٢٦١).

لهذا التخصيص قوله في بعض الكفار: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الحج: ١١]». انتهى.[١]

○ **والثاني**: أنَّه لا بُدَّ أن يريد الكافرُ بتلك الأعمال وجه الله.[٢]

وبهذا قيَّده صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث لما قال: «وأمَّا الكافِرُ فيُطعَمُ **بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لله** في الدنيا».[٣]

---

١- وانظر تقريرا حسنا للمعلِّمي رَحِمَهُٱللَّهُ حول هذه المسألة في «الآثار» (٢٤/ ١٤١-١٤٤).

٢- انظر «المُعْلم بفوائد مسلم» للمازري (٣/ ٣٥١)، و«التذكرة» (ص ٧٢١)، و«شرح النووي» (١٧/ ١٥٠)، و«ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» للإثيوبي (٢٦/ ٢٠٥).

٣- قلت: **ويُشكل على هذا** ما رواه أحمد (١٨٢٦٢ ، ١٩٣٨٧) وحسَّنه محقق «المسند» (٣٠/ ٢٠٠) والألباني في «التعليقات الحسان» (٣٣٣)، من أنَّ عديَّ بنَ حاتم الطائي سأل النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن أبيه، فقال: «هل له في ذلك أجر؟»، فقال له عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**إنَّ أباكَ أرادَ أمراً فأدرَكَه**»، يعني الذِّكر بين الناس.

وإرادة حاتم الطائي ثواب الدنيا موجود في شعره، حين قال:

قـــد كنـــتُ أختـــارُ القِـــرى طـــاوِيَ الحَشـــا ... محافَظـــــةً مِـــــن أن يُقـــــالَ: لئـــــيمُ

انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٣٠٠)، و«بلوغ الأرب» (١/ ٧٢، ٧٧).

فدَلَّ هذا على أنَّ حاتما الطائيَّ نال شيئًا من الثواب في الدنيا –وهو الذكر بين الناس- مع أنَّه لم يعمل لله، وهذا يُشكل على ما تقرَّر من أنَّ الكافر يُثاب في الدنيا على ما عمِل قُربةً لله.

**ولعلَّ الجوابَ على هذا الإشكال، يكون من وجهين:**

- **الأول**: أنَّ هذا الذكر نالَه بعد موته، وأنَّه لم يتنعَّم بذلك في حياته، بل شهرته الحقيقية وثناء الناس عليه إنما كان بعد وفاته.

=

- واتفقوا على أنَّ الكافرَ لا يُجازى على أعماله على وجه يُخلِّصه من النار أو يدخلُه الجنة.[١]
- واختلفوا في تخفيف العذاب عنه بها على ثلاثة أقوال:[٢]
  - القول الأول: أنَّهم لا يُخفَّفُ عنهم يوم القيامة، وعليه الأكثر، وحكاه القاضي عياض[٣] والنووي[٤] إجماعا.

ومن أدلَّتهم أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئل عن عبدالله بن جُدعان الذي كان يُقْري الضيف ويصل الرَّحِم ويعين في النوائب، هل ينفعه ذلك؟

=

- والثاني: أنَّ الله قد يُعطي الدنيا حتى للمُلحِد، بغير عمل منه، استدراجا له، كما أعطاها لفرعون وغيره من أعداء الرسل، لأنَّه لا كرامة لها عنده سبحانه، فيعطيها للكل بخلاف الآخرة التي يختص بها أولياءه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[آل عمران: ١٧٨].

والعلم عند الله تعالى.

١- انظر «البحر المحيط الثجاج» للعلامة الإثيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥/ ٤٧٨-٤٧٩).

٢- انظر «التخويف من النار» لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٨٢-١٨٤)، و«فتح المنعم شرح صحيح مسلم» لموسى شاهين لاشين (٢/ ٥٣-٥٤).

٣- «إكمال المعلم» (١/ ٥٩٧).

٤- «شرح مسلم» (١٧/ ١٥٠).

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا يَنفَعُه، إنَّه لم يقُلْ يومًا: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتي يومَ الدِّين**»[١]، فنفى عنه الجزاء لعدم وجود الاحتساب في أعماله.

- **القول الثاني**: أنَّ الكافرَ ينتفع في الآخرة بما عمل من صالح في دنياه، ولكنَّهم خصَّصوا ذلك الانتفاع بمن ورد فيهم النص، كأبي طالب، ومال إليه ابن المنيِّر[٢] واختاره أبو العباس القرطبي[٣].

**وأجاب أصحاب القولين الأوَّلين** على من استدلَّ بقصة أبي طالب في تعميم تخفيف العذاب عن الكفار بأجوبة **حاصلها**:[٤]

- أنَّ التخفيف إنَّما كان بشفاعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيه، وهذا خاص به -كما تقدَّم-.
- أنَّ هذا خاصٌّ، ومستثى من القاعدة العامة، ولا يُلحَق به غيرُه.

---

١- رواه مسلم (٢١٤)، وبوَّب عليه أهل العلم: «باب من لم يؤمن لم ينفعه عمل صالح ولا قربة في الآخرة». انظر «المفهم» (١/ ٤٥٩)، وترجمة ابن جدعان في «البداية والنهاية» (٣/ ٢٦٥-٢٦٧)، و«بلوغ الأرب» (١/ ٨٧-٩٠).

٢- «فتح الباري» (٩/ ١٤٦).

٣- انظر «المفهم» (١/ ٤٦٠).

٤- انظر «البعث والنشور» للبيهقي (ص ٤٠٧)، و«المفهم» للقرطبي (١/ ٤٦٠)، و«التخويف من النار» لابن رجب (ص ١٨٤)، و«آثار المعلِّمي» (٢٤/ ١٤١-١٤٤)، و«السلسلة الصحيحة» للألباني (١/ ١١٩-١٢١)، و«ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» للإثيوبي (٢٦/ ٢٠٥).

- أنَّه لم يُخفَّف عنه مما يستحقه، إذ كلُّ من كان مثلَه فإنما يستحقُّ مثلَ عذابه، ولكنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان سببًا لمنعه عن ارتكاب الأعمال التي تقتضي زيادة العذاب عليه.

قلت: وهذا له وجه، لولا ما ثبت في «صحيح مسلم»[1] أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَجَدْتُهُ في غَمَراتٍ مِن النَّار، فأخْرَجْتُه إلى ضَحْضاحٍ**».

- **والقول الثالث**: جواز تخفيف العذاب عنهم، واختاره ابن جرير الطبري[2]، والحليمي[3]، والبيهقي[4]، ولم يستبعده ابن حجر[5]، والسفاريني[6]، والمعلِّمي[7]، والرشيد[8]، وغيرهم.

ومما اعتمدوا عليه تخفيف العذاب عن أبي طالب، وأيضا ما جاء من رواية عُتْبَةَ بنِ يَقْظانَ، عن قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عن طارِقِ بنِ شِهابٍ، عن ابن

---

١- (٢٠٩).

٢- نسبه له ابن رجب في «التخويف من النار» (١٨٢)، ولم أتمكَّن من الوقوف عليه.

٣- «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٣٩٠).

٤- «البعث والنشور» (ص ٤٠٦-٤٠٨).

٥- «فتح الباري» (٩/ ١٤٦).

٦- «البحور الزاخرة» (٣/ ١٤٢٤).

٧- «الآثار» (٢٤/ ١٤١-١٤٤).

٨- «التنبيهات السَّنية» (ص ٢٣٣).

مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أحسَنَ مُحسِنٌ من مسلم ولا كافر، إلا أثابَه الله** عَزَّ وَجَلَّ»، قال: فقلنا: يا رسول الله، ما إثابةُ الله للكافر؟ قال: «**إن كان قد وَصَل رحِمًا، أو تَصَدَّق بصدَقَة، أو عَمِلَ حَسنةً، أثابَه اللهُ المالَ والوَلَدَ والصِّحةَ، وأشباهَ ذلك**»، قال: فقلنا: وما إثابَتُه في الآخرة؟ فقال: «**عذابًا دونَ العذاب**»، قال: وقَرأَ رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٦]».[1]

**وأجاب أصحاب هذا القول عن الإجماع المنقول في المسألة بأجوبة:**[2]

- **أنَّه إذا كان المراد به أنَّ الكافر لا ينتفع بما عمل من حسنات الدنيا نعيما في الآخرة فمُسَلَّم**، لأنَّ حسناتِه الدنيوية -مهما عظُمَت- فعقوبة الكفر أعظم منها.

---

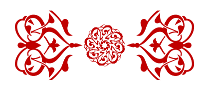
١- رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٠١) ، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٧) و«البعث والنشور» (ص ٤٠٨)، والبزار (١٤٥٤)، ولكنَّ عُتبةَ بنَ يقظان متكلَّم فيه، ولهذا قال الألباني في «الضعيفة» (٤٩٨٣، ٦٧٠١): «حديث منكر».

٢- انظر «فتح الباري» (٩/ ١٤٥-١٤٦)، و«فتح المنعم» (١٠/ ٤١٥)، و«البحر المحيط الثجاج» (٥/ ٤٧٩).

- **وأنَّ الكافر** الذي لم ينتفع بأعماله في الدنيا لا بد أنْ ينتفع بها في الآخرة، فإنَّ اللهَ لا يظلم الناس شيئا[1]، وليس الكفار في الآخرة في نار واحدة ودرجة تعذيب واحدة –كما تقدَّم بيانه–.
- أنَّ التَّخفيف لا يتعلَّق بذنب الكفر، وإنما يتعلَّق بذنب غير الكفر، فلو اقترف الكافر أعمالا أخرى سيئة غير الكفر كشرب الخمر، والزنا، والظلم، والربا، والسرقة، وسوء الخلق، فيمكن أنْ تُخفِّفَ أعمالُه الخيرية تلك الأعمال السيئة غير الكفر.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] ملخِّصًا هذه المسألة: «والأخبار في بطلان خيراتِ الكافر إذا مات على كُفره، وَرَد في أنَّه لا يكون لها مَوْقِع التَّخليص مِن النَّار، وإدخال الجنة، **لكن يُخَفَّف عنه من عذابه الذي يَستَوجبه على جِنايات ارتكبها سوى الكُفر بما فعل من الخيرات**، والله أعلم». انتهى.

وذكر العلامة الإثيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ بهذا تتَّفق الأقوال، ويرتفع الخلاف –بحمد الله تعالى–، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.[3]



١- انظر «شرح الطيبي على المشكاة» (١٠/ ٣٢٧٤).

٢- «البعث والنشور» (ص ٤٠٧-٤٠٨). وانظر «المنهاج» للحليمي (١/ ٣٩٢).

٣- «البحر المحيط الثجاج» (٥/ ٤٧٩).

## فائدتان متعلِّقتان بمسألة تخفيف العذاب عن الكفار في النار

**الفائدة الأولى:** قد لا يجد المخفَّف عنه أثرًا لما خُفِّف عنه من العذاب، فيرى نفسه وكأنَّه لم ينتفع بذلك. ألا ترى أنَّ أبا طالب يعتقد أنَّه ليس في النار أشدَّ عذابًا منه[١]، مع أنَّ عذابه جمرة من جهنَّمَ في أخمصه، وسببه أن القليلَ من عذاب جهنَّمَ -أعاذنا الله منها- لا تطيقه الجبال، وخصوصًا عذاب الكافر.

وإنما تظهر فائدة التخفيف لغير المعذَّب، وأما المعذَّب، فمشتغل بما حلَّ به، إذ لا يُخَلَّى، ولا بغيره يتَسلَّى، **فيَصدُق عليه أنَّه لم ينتفع، ولم يحصل له نفع ألبتة**، والله أعلم.[٢]

**الفائدة الثانية:** بنى بعضُ أهل العلم مسألة «محاسبة الكفار يوم القيامة» على مسألة أصولية مشهورة، وهي «خطاب الكفار بفروع الشريعة»، وجعلوا من فوائد تلك القاعدة: **الحكم بتخفيف العذاب على الكافر بفعل بعض الخيرات، وترك بعض الشرور**، فإنَّه إذا عرف أنه مخاطب بها، وفعلها جاز أن

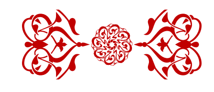
---

١- كما في «صحيح مسلم» (٢١٣). وعلى العكس مِن هذا حال المؤمن في الجنة، فإنَّه يرى نفسَه أسعدَ الناس وأكثرَهم نعيمًا، لأنه لو رأى أحدًا أنعمَ منه لتنغص بذلك، حيث يتصور أنه أقل مِن غيره، وهذا هو قول الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾[الكهف: ١٠٨]. انظر «تفسير سورة الكهف» للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٦٥، ١٤٩-١٥٠).

٢- انظر «المفهم» (١/ ٤٥٨).

يخفف عنه العذاب في الآخرة بالنسبة إلى من لم يفعل ذلك، فإنَّ أهلَ النار - مع الخلود فيها - متفاوتون في المنازل والدَّرَكات بحسب أعمالهم.[١]

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أما عذابُ الكفر فإنَّ اللهَ لا يخفِّف منه شيئًا، **وأما عذاب فروعِ الدِّين، فيجوز أن يخفِّف منه على من يشاء من عباده** وإن كانوا كفارًا، فإنَّ المعتمد أنَّ الكفارَ مخاطَبون بفروع الإسلام». انتهى.



١- انظر «شرح تنقيح الفصول» للقرافي (ص ١٦٦)، وعنه الطوفي في «شرح مختصر الروضة» (١/ ٢١٤).

٢- «البحور الزاخرة» (٣/ ١٤٢٤).

## المسلمون هم أول من يحاسَب

**المسألة الثانية عشرة:** صحَّت الأحاديث بأنَّ أوَّلَ أمَّة تُحاسَبُ هي هذه الأمة المبارَكة، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نحنُ آخِرُ الأُمَم، وأوَّلُ مَن يحاسَب، يُقال: أين الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ ونَبيُّها؟ فنحنُ الآخِرونَ الأوَّلون**».[1]

١- رواه ابن ماجه (٤٢٩٢)، وصحَّحه الألباني في: «السلسلة الصحيحة» (٢٣٧٤)، وأصله في «الصحيحين»: البخاري (٢٣٨) ومسلم (٨٥٦)، ولفظه: «**نحنُ الآخِرونَ مِن أهل الدنيا، والأوَّلونَ يومَ القيامة، الـمَقْضِيُّ لهم قبلَ الخلائق**».

## سرعة محاسبة الله لعباده يوم القيامة

**المسألة الثالثة عشرة:** الذي يتولَّى حساب الخَلق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُحاسِبهم جميعا في يوم كان مِقدارُه خمسين ألف سنة لو كان غيرُ الله جَلَّجَلَالُهُ الحاكِمَ بين خلقه[١]، لكنه جَلَّجَلَالُهُ يَلِي الحكم بَينهم بعدله بمِقدار القائلة[٢] في الدنيا، وهو أسرعُ الحاسبين.[٣]

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾[الفرقان: ٢٤]: «**إنما هي ضَحْوَةٌ، فيَقيل أولياءُ الله على الأسِرَّة مع الحُور العِين، ويَقيل أعداءُ الله مع الشياطين مقرَّنِين**»، وقال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لا ينتَصِفُ النهارُ حتى يَقيل هؤلاء وهؤلاء»، وقال سعيد بن جُبير رَحِمَهُٱللَّهُ: «يفرَغ اللهُ من الحساب نِصفَ النهار، فيَقيل أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار».[٤]

---

١- على أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[المعارج: ٤]. انظر «تفسير الطبري» (٢٣/ ٢٥١-٢٥٢).

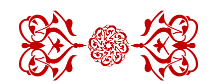
٢- والقائلة: وقتُ القَيلولَةُ والمَقيلُ، وهي: الاستراحة نِصفَ النَّهار وإن لم يكن معها نوم. انظر «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١٣٣).

٣- انظر «شرح السنة» للمزني (ص ٨١).

٤- انظر «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٠٤)، و«أضواء البيان» (٦/ ٤١).

قلت: وقد جاء هذا مصرَّحًا به في بعض الأحاديث التي تنُصُّ على خِفَّة حساب المُؤمن، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يومُ القيامة على المؤمنينَ كقدْر ما بين الظُّهر والعَصر**»[1]، ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[إبراهيم: ٥١].

ولَمَّا قيل لعليِّ بنِ أبي طالب: كيف يُحاسِب اللهُ العِبادَ في يوم؟ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كما يرزُقُهم في يوم!».[2]



١- رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٩٣).

٢- انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٤٣٥)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٨٣٩).

## حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا

**المسألة الرابعة عشرة: الإيمان بالحساب يجعل المسلم يُبادِر إلى محاسبة نفسه قبلَ يوم الحساب، ويعاتِبَها قبل أنْ لا ينفع العتاب.**

قال وهب[١]: «مكتوبٌ في حكمة آل داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: **ينبغي للعاقل أنْ لا يَغْفُل عن أربع ساعاتٍ:**

ساعةٍ يُحاسِبُ فيها نفسه،

وساعةٍ يُناجي فيها ربَّه،

وساعةٍ يلقى فيها إخوانه الذين يُخبرونه بعيُوبه، ويصدقونه عن نفسه،

وساعةٍ يُخلي بين نفسه وبين لذَّاتها فيما يحلُّ ويجمل، فإنَّ في هذه السَّاعة عوناً على تلك الساعات، وفضلَ بُلغَة واستجماماً للقلوب»، يعني: ترويحاً لها.

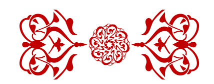
وهذا موافق لقول عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبوا، وزِنُوا أنفسَكم قبل أن تُوزَنوا،** فإنَّه أهْوَنُ عليكم في الحساب غدًا أنْ تحاسِبوا أنفسَكم اليومَ، وتزيَّنوا للعَرض الأكبر».[١]

---

١- قال محقق «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٨٧٧) د. ماهر الفحل: «أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٣)، وهناد في «الزهد» (١٢٢٦)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٤٦٧٧) و (٤٦٧٨)».

وإنما حساب العبد لنفسه بأن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرَّط مِن تقصير في فرائض الله ﷻ، ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة.[٢]

وما أجمل قولَ أبي الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو ينصح ولديه: «أؤكِّد عليكما في ذلك وصيتي وأكرِّرها حرصًا على تعلُّقِكما وتمسُّكِكما بهذا الدين الذي تفضَّل اللهُ تعالى علينا به، فلا يستزلَّكما عنه شيء من أُمُور الدنيا، وابذُلا دونَه أرواحَكُما، فكيف بدنياكُما، **فإنَّه لا ينفع خيرٌ بعده الخلود في النَّار، ولا يضُرُّ ضَيرٌ بعده الخلود في الجنَّة،** ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥]».[٣]



=

١- رواه أحمد في «الزهد» (٦٣٣)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٢٠١).

٢- انظر «التذكرة» (ص ٦٤٥-٦٤٦)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٨٨٦).

٣- «النصيحة الولدية» (ص ١١). ولي عليها شرح صوتي منشور عبر الشبكة:

yh-١https://www.youtube.com/watch?v=o
VO-phhfig٦٥٦l١٣JyeJjLILM٦UrQ٩NFcrCA&list=PLVdR

# الميزان

**إذا تمَّت المحاسَبة جاء وقت الميزان،** ليعلَم كلُّ واحد حقيقةَ وزنه عند الله، فمن كان للإيمان والتوحيد في قلبه وزنٌ ثَقُل عند الله ميزانُه، ومن كان غافلا عن الله، متَّبعا لهواه، خفَّ عند الله وزنُه وميزانُه، ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٨ - ٩].

**والكلام على الميزان في مسائل:**

## حقيقة الميزان وأدلته

**المسألة الأولى: الميزان لُغَةً:** الآلَة التي تُقَدَّرُ بها الأشياءُ خِفَّةً وثِقَلًا[١]، **وأما شرعًا، فإنَّ الميزان يُطلَق على معنيين:**[٢]

- **أحدهما:** العَدْلُ الشَّرعِيُّ والقَدَرِيُّ، وهو المُراد في الدُّنيا، كالوارد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

١- انظر «لسان العرب» (١٣/ ٤٤٦).

٢- انظر «الفتاوى» (٤/ ٣٠٢).

﴿وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥]، قال قتادة: الميزانُ: العَدل.[1]

- **والآخر**: هو الميزان الأُخرَوي.

وهو المقصود في هذا المقام، وقد ذكر أهلُ العلم ضابطا لمعرفة مورده في القرآن، **فما وَرَد في القرآن بصيغة الجمع فهو ميزان يوم القيامة، وأما ما وَرَد مفردا** كما في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾[الرحمن: ٧ - ٩]، **فالمُراد به العَدل**، وهو حكم مؤكد من الله لإلزام البشر في الدنيا بأن يتعاملوا بتمام العدل.[2]

**المسألة الثانية: الميزان حق ثابت بالكتاب، وبلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد عليه إجماع أهل الحق.**

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]،

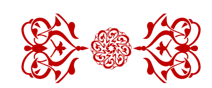
---

١- رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٢٠٠).

٢- انظر «مشاهد الناس بعد الموت» (ص ١١٧)، لعبدالرحمن خليف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تَمْلَأُ الميزان**»[١]، وفي بعض روايات حديث جبريل المشهور، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سئل عن الإيمان: «**الإيمانُ: أنْ تُؤمِنَ بالله وملائكَتِهِ وكتُبِه ورُسُله، وتُؤمِنَ بالجنَّة والنَّار والميزان، وتُؤمِنَ بالبَعث بعد الموت، وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**»[٢]، وغير ذلك من النصوص الواضحة الجليَّة في بيان هذه الحقيقة الغيبيَّة، التي أجمع عليها المسلمون.[٣]

قال زهير بن عباد: **كل من أدركت من المشايخ**: مالك، وسفيان، وفضيل، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح، كانوا **يقولون**: «**الميزان حق**».[٤]



---

١- رواه مسلم (٢٢٣).

٢- «صحيح الجامع» (٢٧٩٨).

٣- انظر «الإبانة الصغرى» لابن بطة (ص ٢٢٣)، و«شرح ابن ناجي على الرسالة» (١/ ٤٨)، و«فتح الباري» (١٣/ ٥٣٨)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٨٨).

٤- «أصول السنة» لابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٦٥).

## صفة الميزان والرد على أهل البدع في إنكاره

**المسألة الرابعة: الميزان الذي يُنصب يوم القيامة هو ميزانٌ حَقيقي من جِنس المَوازين، له لسان وكِفَّتان حِسِّيَّتان مُشَاهَدَتان**، وبهذا صرَّح السلف كابن عباس والحسن، وعلى ذلك أجمعوا.(١)

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كفتان ولسان». انتهى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (٣)

ولــــــه لســــــانٌ كِفَّتـــــاهُ تُقِيمُــــــهُ
والكِفَّتــــــانِ إليـــــه ناظِرَتـــــانِ
مـــا ذاك أمـــرًا معنَوِيًّـــا بـــلْ هُـــوَ الـــ
ـــمَحْسُوسُ حَقًّـــا عنـــد ذي الإيمـــانِ

وعن سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«يوضَعُ الميزانُ يومَ القيامة، فلو وُزِنَ فيه السماواتُ والأرضُ لَوَسِعَتْ، فتقول**

---

١- انظر: «التذكرة» (ص ٧٢٤)، و«الفتح» (١٣/ ٥٣٨)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٨٨)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٩٨)، و«لوائح الأنوار» (٢/ ١٨٠)، و«موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٩٠٩).

٢- «شرح السنة» (ص ٤٢).

٣- «الكافية الشافية» (ص ٣٥١).

**الملائكة: يا رَبِّ لـمَن يَزِنُ هذا؟ فيقول الله تعالى: لـمَن شئتُ مِن خَلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك»**.[١]

ومع هذا، فالبابُ غَيبٌ مَحْضٌ، والله أعلم بما وراء ذلك من الكَيفِيَّات، وفي هذا يقول ابن عطية الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ورُوِيت في خبر الميزان آثار عن صحابة والتابعين في هيئته وطوله وأحواله لم تصح بالإسناد، فلم نر للإطاله بها وجها». انتهى.

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وأما كيفية تلك الموازين، فهو بمنزلة كيفية سائرِ ما أُخبِرنا به من الغيب». انتهى.

**المسألة الخامسة:** أنكرت المعتزلة -ومن نحا نحوَهم- الميزان، جهلا وعنادا، وقالوا: هو عبارة عن العدل، واستعظَموا وزنَ الأعراض وهي الأعمال- فخالفوا جماعة المسلمين، **ومن جهل شيئا عاداه، ومن ترك اتباع الحق ابتُلي بالذل لعقله وهواه.**

---

١- رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٣٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤١).

٢- «المحرر الوجيز» (٧/ ١٣).

٣- «الفتاوى» (٤/ ٣٠٢).

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وأنكر أهلُ البدع الميزان، وقالوا: يستحيل وزن الأعراض، لأنَّ الأعراض لا ثِقَل لها ولا خِفة». انتهى.

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير زيادة ولا نقصان. **ويا خَيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع**، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: (لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال والفوَّال)!! **وما أحراه بأن يكون من الذين لا يُقيم الله لهم يوم القيامة وزنا**». انتهى.

ووَصف العلامة تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] هؤلاء السفهاء المتنطِّعين المنكرين لهذه الحقائق الغيبية بأنهم: «**من الجهال الواقعين في أسْر العادات والمألوفات، الذين يقيسون عالم الغيب على عالم الشهادة، وأمور الآخرة على أمور الدنيا، وهؤلاء سفهاء لا يعقلون**، فإنَّ استحالةَ المأكولات والمشروبات المختلفة الأنواع في معدة الإنسان إلى لحم ودم وعصب وعظام، وتعويضها ما فقده الجسم من ذلك لهو أعجب بكثير من وزن الأعمال». انتهى.

---

١- «مقالات الإسلاميين» (٢/ ٣٥٤)، بتصرف يسير.

٢- «شرح الطحاوية» (ص ٣١٦). وانظر «الفتح» (١٣/ ٥٣٨).

٣- «سبيل الرشاد» (٢٦/ ١٦٤-١٦٥).

**وقد ذكر العلامة القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قاعدة عظيمةً يُردُّ بها على كل من أوَّل شيئًا من هذه الغيبيات**، حاصلُها أنَّه لو جاز حملُ الميزانِ على ما ذكروه لجاز حملُ الصراطِ على الدِّين الحق، والجنةِ والنارِ على ما يَرِدُ على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطينَ والجنِّ على الأخلاق المذمومة، والملائكةِ على القُوى المحمودة، **وهذا كلُّه فاسِدٌ لأنه رَدٌّ لما جاء به الصادق المصدوق** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[1]



١- «التذكرة» (ص ٧٢٤).

## هل هو ميزان أو موازين؟

**المسألة السادسة**: اختلف أهل العلم في الذي يوضَع يوم القيامة، **هل هو ميزان أو موازين؟ على ثلاثة أقوال:**[١]

- **القول الأول: إنها موازينُ متعدِّدةٌ** بعدد الناس، أو بحسب أصناف الأعمال[٢]، مستدلِّينَ بأدلَّة كثيرةٍ، منها قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وقوله سُبحانه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.[٣]
- **القول الثاني: إنَّه ميزان لكل أمة.**[٤]

---

١- انظر: «المُحرَّر الوَجيز» (٢/ ٣٧٦)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣١٤)، و«شرح ابن ناجي على الرسالة» (١/ ٤٨)، و«تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» للكرمي، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٨٥٤)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ١٩٩)، و«لوائح الأنوار» (٢/ ١٩٤)، و«مشاهد الناس بعد الموت» (ص ١١٧).

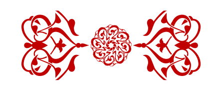
٢- انظر «التذكرة» (ص ٧٣٤-٧٣٥).

٣- واختاره المزني في «شرح السنة» (ص ٨١). وانظر كتابي «واسع المنة»:
https://bit.ly/3npUvd1

٤- ذكره ابن ناجي في «شرح على الرسالة» (١/ ٤٨).

- **والقول الثالث** -وهو الأشهر-: **إنَّه ميزان واحدٌ لجميع الأمم**، ولجميع الأعمال، والأدلة على ذلك كثيرَةٌ، منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزانِ مِن حُسْنِ الـخُلُق**»[١]، وغير ذلك من النصوص.

وأجاب أصحابُ هذا القول عن الآيات التي ذكرت فيها «الموازين» بصيغة الجمع، أنَّ ذلك بالنَّظَر لكَثْرَة المَوزونات، لا لتَعدُّد المَوازين، أو على أنه أتى بلفظ الجمع تعظيما لشأنه وتفخيما لأمره وتحذيرا من اكتساب السيئات وتحريضا على اكتساب الطاعات، واختارَهُ ابن كثير[٢]، وابن ناجي[٣]، وابن حجر[٤]، والسفاريني[٥]، وغيرهم.[٦]



---

١- رواه الترمذي (٢٠٠٣)، وأبو داود (٤٧٩٩)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٧٦).

٢- «تفسر القرآن العظيم» (٥/ ٣٤٥).

٣- «شرح الرسالة» (١/ ٤٨).

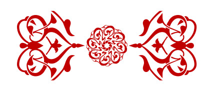
٤- «فتح الباري» (١٣/ ٥٣٨).

٥- «لوائح الأنوار» (٢/ ١٩٤).

٦- انظر «لسان العرب» (١٣/ ٤٤٦).

## موضع الميزان

**المسألة السابعة: الميزان يكون بعد الحساب،** والحكمة في ذلك -والله أعلم- أنَّه إذا انقضى الحساب كان بعدَه وزنُ الأعمال، لأنَّ الوزنَ للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، **فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها،** ليكون الجزاء بحَسَبها.[1]



١- انظر «التذكرة» (٢/ ٢٦٩)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٨٨).

## ما الذي يوضع في كفتي الميزان؟

**المسألة الثامنة:** اختلف أهل العلم في مسألة أخرى، وهي: **ما الذي يوضع في كفتي الميزان يوم القيامة؟** على أقوال:

- **القول الأول: إنَّ الموزون هو العمل فقط**، واختاره ابن أبي زيد القيرواني[١]، والحافظ ابن حجر[٢].

وكأنَّ القحطاني صاحب «النونية» يختاره، لما قال[٣]:

وكـــذلك الأعمـــالُ يَومَـــئِذٍ تُـــرَى
مَوضُـــــوعَةً في كِفَّـــــةِ المِيـــــزانِ

- **والقول الثاني: إنَّ الموزون هو صحائف الأعمال**، وصوَّبه ابن عبد البر[٤]، والقرطبي[٥]، وابن ناجي[٦]، ومرعي الكرمي[١]، والسفاريني، ونسبه إلى جمهور المفسرين.[٢]

---

١- انظر «الفواكه الدواني» (١/ ٨٨).

٢- «الفتح» (١٣/ ٥٣٩).

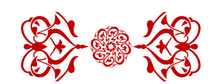
٣- (ص ٢٣).

٤- نقلا عن «البحور الزاخرة» (٢/ ٨٥٥)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ١٨٧)، ولم أقف على نص كلام ابن عبد البر في هذه المسألة.

٥- «التذكرة» (ص ٧٢٢).

٦- «شرح على الرسالة» (١/ ٤٨).

- **والقول الثالث**: هو الجمع بين هذه الآثار بأنْ يكون ذلك كُلُّه صحيحًا، فتارةً تُوزَنُ الأعمالُ، وتارةً تُوزَنُ مَحالُّها، وتارةً يُوزَنُ فاعِلُها، وهذا اختيار ابن كثير.[٣]
- **والقول الرابع**: وهو أنَّ الكل يوزن، أي: العمل، والعامل، وصحائف الأعمال، جَمْعًا بين الأدلة، واختاره شارح «الطحاوية»[٤]، وحافظ حكمي[٥]، وجماعة من المعاصرين[٦].



=

١- انظر «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان».

٢- انظر «لوائح الأنوار» (٢/ ١٩٦)، و«البحور الزاخرة» (٢/ ٨٥٥)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ٢٠٠).

٣- «التفسير» (٣/ ٣٩٠).

٤- (ص ٣١٦).

٥- «معارج القبول» (٢/ ٨٤٨).

٦- انظر «اللآلىء البهية» (٢/ ٢٣٢)، و«شرح الطحاوية» للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٢٢٧).

## هل توزَن أعمالُ الكُفَّار؟

**المسألة التاسعة**: اختلف أهل العلم في مسألة، وهي: **هل توزَن أعمالُ الكُفَّار؟**[١] والقول فيها قريب من القول في مسألة سبق تفصيلها، وهي: **محاسبة الكفار يوم القيامة**.

فمِن أهل العلم من نظر لظاهر قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٥]، فمنع وزن أعمالهم، وقال: الكفار لا ثوابَ لهم، وأعمالُهم مقابَلَةٌ بالعَذاب، فلا حَسنةَ لهم توزَن في موازين يوم القيامة.

ومنهم -وهو قول الأكثر-[٢] من نظر لعموم الآيات الدالة على وزن أعمال العباد يوم القيامة، **فجوَّز ذلك وعلَّله بأمرين**:[٣]

**الأمر الأول**: أنَّ الكافرَ يُحضَر له ميزان فيوضعُ كفرُه أو كفرُه وسيئاتُه في إحدى كِفَّتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الآخرى؟ فلا يجدها، فيُشال الميزان، فترتفع الكِفَّة الفارِغة، وتقع الكِفَّة المشغولة، فذلك

---

١- انظر «التذكرة» (ص ٧٢٠-٧٢١)، و«شرح ابن ناجي على الرسالة» (١/ ٤٩)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٨٨).

٢- انظر «شرح ابن ناجي على الرسالة» (١/ ٤٩).

٣- انظر «التذكرة» (ص ٧٢٠-٧٢١).

خِفَّة ميزانه، وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخِفَّة لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

**والثاني**: أنَّ الكافر يكون منه صلةُ الأرحام، ومؤاساةُ الناس، ونحوهما، مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها، إلا أن الله تعالى حرَّمَ عليه الجنَّة، فجزاؤُه أن يُخَفَّفَ عنه عذابُ النَّار، كما في قصة أبي طالب.[1]

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾، بأنَّ فيه صفةً محذوفةً، وعليه، فيكون المعنى: لا نقيم لهم وزنا نافعا، جمعا بين الآيات، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، ولم يفرِّق بين نفس ونفس.[2]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «**وأما الكفار فتوزن أعمالُهم** وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم، يقابل بها كفرهم، **لإظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق**». انتهى.

---

١- وقد مرَّ بيان هذا كله في مبحث «الحساب»، عند الكلام على تخفيف العذاب عن المشركين.

٢- انظر «شرح ابن ناجي على الرسالة» (١/ ٤٩).

٣- «النهاية» (٢/ ٣٦).

واستثنى **بعض أهل العلم** من هذا الكفارَ الذين يُعجَّل بهم إلى النار بغير حساب، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾[الرحمن: ٤١].[١]

## اختلاف أحوال الناس مع الميزان

**المسألة العاشرة:** قال بعضُ أهل العلم: إنَّ الذين لا يُحاسَبون –وقد تقدَّم ذكرُهم– لا يُرفع لهم ميزان[٢]، وقد تعقَّب هذا القولَ الحافظُ ابن كثير، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وفي هذا نظر –والله أعلم–، **وقد توزن أعمال السعداء وإن كانت راجِحة**، لإظهار شرفهم على رؤوس الأشهاد، والتنويه بسعادتهم ونجاتهم». انتهى.

**المسألة الحادية عشرة: ينقسم الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام:**[٤]

---

١- انظر «المفهم» (٧/ ١٥٨)، و«التذكرة» (ص ٦٣٢، ٧١٩)، و«البدور السافرة» للسيوطي (ص ٣٢٩).

٢- قاله الغزالي في «الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة» (ص ٧١)، ونقل كلامه مقِرًّا له القرطبي في «التذكرة» (ص ٧١٩).

٣- «النهاية» (٢/ ٣٦).

٤- وروي هذا المعنى عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الطبري في «تفسيره » (١٠/ ٢٢٣). وانظر «معارج القبول» (٣/ ١٠٢٢)، و«فتح الرحيم الملك العلام» لابن سعدي (ص ٦٤).

- فمن ثَقُل ميزانُه وكانت حسناتُه أكثرَ من سيئاته نَجا وسَلِم، وبالجنة أيقَن، وعَلِمَ أنَّه لا يدخُل النار بعد ذلك.[١]
- ومَن خفَّ ميزانُه، وجاوزت سيئاتُه حسناتِه، استحقَّ دخولَ النار.
- **وأمَّا من استوت حسناته وسيئاته، فله حالان:**
  - **فإما أن يدخلَه اللهُ الجنة** بشفاعة الشافعين، ورحمة رب العالمين.[٢]
  - **وإما أن يكون من أصحاب الأعراف**، جمع عُرف، وهو المكان المرتفع، وهو سور عال بين الجنة والنار.[٣]

قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**أصحاب الأعراف: قومٌ تجاوزت بهم حسناتُهم النار، وقصُرَت بهم سيئاتُهم عن الجنة،** فإذا صُرِفت أبصارُهم تلقاء أصحاب

١- انظر «التذكرة» (ص ٧٣٠)، و«النهاية» (٢/ ٣٨).

٢- وهذا على قول من عدَّ من شفاعات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاعته في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة. انظر «النهاية» (٢/ ٢٠٤)، و«شرح الطحاوية» (ص ١٤٩)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٢٨).

٣- انظر «مفردات القرآن» للراغب الأصبهاني (ص ٥٦٢)، و«التذكرة» (ص ٧٣٣)، و«طريق الهجرتين» (ص ٣٨٢)، و«مدارج السالكين» (١/ ٢٩٠)، و«النهاية» (٢/ ٢٥٠)، و«الضعيفة» (٦٠٣٠).

النار، قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك. قال: «**قوموا ادخلوا الجنة، فإني قد غفرت لكم**»».[١]



١- رواه الطبري في «جامع البيان» (١٠/ ٢١٢-٢١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٤٧)، وغيرهما، وصححه الذهبي على شرط الشيخين.

## الحكمة في إقامة الميزان

**المسألة الثانية عشرة:** ذكر أهلُ العلم حِكَـمًا متعددةً لوزن الأعمال وأصحابها وصحائفها يوم القيامة، **ومن ذلك:**[١]

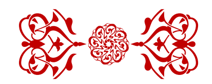
- امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وهذا عام في الميزان وغيره من الغيبيات.
- إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة. يوضِّحه:
- إظهار فضل المتَّقين برُجحان أعمالهم في الميزان.
- إقامة الذُّل والخِزي على الكافرين، وبيان أنَّهم لا وزن لهم عند الله، كما لم يكن للإيمان بالله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم في الدنيا وزن.
- تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر.
- إقامة الحجة عليهم.
- إظهار عدل الله بين الناس، وأنه لا يظلم أحدا.
- بيان رحمة الله، بأن ضاعف الحسنات، وأفرد السيئات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا

---

١- انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ١٠٣)، و«التذكرة» (ص ٧٢٧)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣١٦)، و«تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» لمرعي الحنبلي، و«الفواكه الدواني»، للنفراوي المالكي (١/ ٨٩)، و«موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٩١٤).

عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٠]، ومع هذا الفَضل العظيم، والرحمة الواسعة، فالـهَلكَى كثيرٌ، والنَّاجون يوم القيامة قَليل.

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «العبد إذا عمل حسنة كُتِب له بها عَشْرٌ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة»، ثم قال: «**هلك من غلب وُحْدَانُه أعشارَه**».[1]



---

١- رواه الطبري في «جامع البيان» (١٢/ ٤٥٤).

## حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ

مما يكون في عَرَصات القيامة[١]: حوضُ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، الذي جعله الله غِياثًا لأمَّته، ورحمةً لأتباع مِلَّته، فوجَب على كل مكلف أن يعلَمه، وأن يصدِّق به.

**والكلام على الحوض في مسائل:**

### حقيقة الحوض وأدلته

**المسألة الأولى: الحوض لغةً:** مجتمع الماء، والحفرة التي تستقر فيها المياه[٢]، **وشرعًا:** هو حوض حقيقي وهبَه اللهُ لنبيِّه **محمد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، يشربُ منه أتباعه في الموقف يوم القيامة.

**المسألة الثانية:** حوض النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حق ثابت في الكتاب، والسنة المتواترة، وإجماع أهل الحق.

---

١- العَرَصات: جمع عَرْصَة، وهي ساحات القيامة الواسعة التي لا بناء فيها. انظر «مشارق الأنوار» (١/ ٢١٦)، و«النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٠٨).

٢- «المعجم الوسيط» (١/ ٢٠٧).

**أمَّا القرآن** ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له الكوثر ومنه الحوض.[1]

وقد نقل القرطبي في «تفسيره»[2] اختلاف أهل التأويل في الكوثر[3] الذي أُعطيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على ستة عشر قولا، رجَّح منها القولين الأوَّلين، وهما: تفسيره بالنهر الذي في الجنة، وبالحوض.

قلت: والتفسيران متلازمان، فإنَّ الحوضَ يُمَدُّه ميزابان من نهر الكوثر، وإن كان موضعه في عَرَصاتِ القيامة، **فهو كوثر من جهة الأصل والبداية، وحوض من جهة الموضع والنهاية.**[4]

**وأما السنة، فأحاديث الحوض كثيرة صحيحة شهيرة،** في «الصحيحين» منها نيف على العشرين، يحصل بمجموعها العلم القطعي، واليقين التواتري.[1]

---

١- «تفسير السعدي» (ص ٩٣٥).

٢- (٢٠/٢١٦-٢١٨).

٣- وقد فصَّلت الكلام على ذلك في «تفسير سورة الكوثر»، المنشور عبر هذا الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=4901aizNTtE

٤- انظر تعليق شيخنا العصيمي على «أعلام السنة المنشورة»، ففيه مزيد بيان.

قال جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**وَرَدَ ذكرُ الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًا**، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة المكثرون، وغيرهم، رضوان الله عليهم أجمعين». انتهى.

**ومن ذلك** ما جاء عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يوم بين أظهُرنا إذْ أغْفَى إغْفاءةً ثم رَفَعَ رَأسَه مُتَبسِّمًا، فقلنا: ما أضحَكك يا رسولَ الله قال: «أُنْزِلَت عليَّ آنِفًا سورَةٌ» فقرأ: «بسم الله الرَّحْمنِ الرَّحيم: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]»، ثم قال: «**أتَدْرونَ ما الكَوْثَرُ؟**» فقلنا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: «**فإنَّه نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي** عَزَّ وَجَلَّ، **عليه خَيْرٌ كَثيرٌ، هو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتي يومَ القيامة، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجوم، فَيُخْتَلَجُ العَبْدُ منهم، فأقولُ: رَبِّ، إنَّه مِن أُمَّتي فيقولُ: ما تَدْري ما أَحْدَثَتْ بَعْدَك**».[٣]

=

١- انظر: «التمهيد» (٢/ ٣٠٩)، و«المفهم» (٦/ ٩٠)، و«نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص ٢٣٦).

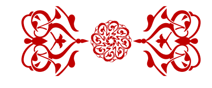
٢- «البدور السافرة» (ص ٢٤١)، مختصرا.

٣- رواه مسلم (٤٠٠).

وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنَّ لي حَوْضًا ما بين أَيْلَةَ**[١] **إلى صَنْعاءَ، عَرْضُهُ كطولِه، فيه ميزابانِ يَنْثَعِبان مِن الجنَّة مِن وَرِقٍ، والآخَرُ مِن ذَهَبٍ، أَحلَى مِن العَسَل، وأَبْرَدُ مِن الثَّلْجِ، وأَبْيَضُ مِن اللَّبَن، مَن شَرِبَ منه لم يَظْمَأْ حتَّى يَدْخُلَ الجنَّة، فيه أَبارِيقُ عَدَدَ نُجُومِ السَّماء**».[٢]

**وأما الإجماع**، فقد اتَّفق على إثبات الحوض -المصرَّح باسمه وصفته وشرابه وآنيته- السلف، وعلى ذلك سار أهلُ السنة من الخلف.[٣]

قال ابن ناجي -شارح الرسالة- رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «**أجمع عليه السلف الصالح**، وأطبقوا على الابتهال إلى الله تعالى أن يسقيهم منه، أسأل الله البر الرحيم أن يسقينا منه، ويجعلنا من الواردين عليه، بفضله ورحمته». آمين.



---

١- مدينة بين مصر والشام.

٢- رواه أحمد (١٩٨٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦٢١).

٣- انظر «المفهم» (٦/ ٩٠)، و«لوائح الأنوار» (٢/ ١٦٤).

٤- (١/ ٥٢).

## صفة الحوض

**المسألة الثالثة: توافرت الأحاديث في صفة حوض النبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وخلاصتها أنَّه**: يَصُب فيه الماء من نهر الكوثر الذي في الجنة، طولُه شهر وعرضُه شهر، وزواياه سواء -فهو مربع على الصحيح-، ماؤه أشدُّ بياضا من اللَّبن والثَّلج والفِضَّة، وأطيبُ ريحًا من المِسك، وأحلى مذاقًا من العسل، وأبرَد من الثَّلج، آنيتُه أكثر من نجوم السماء عَدَدًا، ومثلُها حُسْنًا وضياءً، يَرِدُه من شاء الله من أمَّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من شرِب منه شَربةً لا يظمأ بعدها أبدا.[١]

**المسألة الرابعة: اختلفت الروايات في تحديد مسافة الحوض**، فظنَّ البعضُ أنَّ هذه التحديدات اضطراب واختلاف، وليس الأمر كذلك -كما قال العلامة القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ-[٢]، وإنما تحدَّث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديث الحوض مرات عديدة، وفي مجالسَ متفرِّقة، **وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة**

---

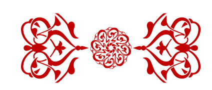
١- انظر: «موسوعة العقيدة» (٢/ ١٠٨٤)، وهذا الوصف للحوض متفرق في نصوص الأحاديث النبوية، ومن أحسن من جمعها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «النهاية» (٣٧٤-٤١٠).

ولبقيِّ بنِ مَخْلَد الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ (المتوفَّى سنة ٢٧٦ هـ) جزء لطيف فيما روي في «الحوض والكوثر»، ذيَّل عليه ابن بشكوال الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ (المتوفَّى سنة ٥٧٨ هـ)، وطُبعا في كتاب واحد بعناية عبد القادر محمد عطا.

٢- انظر «التذكرة» (ص ٧٠٦).

**مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من المواضع والمسافات**، فيقول -مثلا- لأهل الشام: «ما بين أذرح وجرباً»، ولأهل اليمن: «من صنعاء إلى عدن»، أو: من أيلَة إلى صنعاء -كما في الحديث الذي مرَّ ذكرُه-، وهكذا.

**وتارة أخرى يقَدِّر بالزمان**، فيقول: «مسيرة شهر»، والمعنى المقصود: أنَّه حوض كبير متَّسِع الجوانب والزوايا، وإنَّما خاطب كلَّ قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم.



## حكم قول: «اللّٰهم اسقنا شربة من يد نبيك صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ»

**المسألة الخامسة:** مما انتشر عند الناس قولُهم: «اللهم اسقِنا شربةً من يد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند الحوض»، وهذا لا دليل عليه، وإنما الأدلة جاءت على وجود آنية يشرب بها الناس -كما تقدَّم في الأحاديث-.

وعليه، فهذا الدعاء لا يصح لا رواية ولا دراية، بل يُعَدُّ من الاعتداء في الدعاء.[١]

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «**فكل سؤال** يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو **يتضمَّن خلاف ما أخبر به، فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائلَه**». انتهى.

ولكن، وردت رواية في «صحيح البخاري»[٣] بلفظ: «**أنا فَرَطُكُم على الحَوْض، لَيُرْفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم، حتَّى إذا أَهْوَيْتُ لِأُناوِلَهم اخْتُلِجُوا دُوني**». قال العيني رَحِمَهُٱللَّهُ[٤]: «والفَرَط من يتَقَدَّم الواردين فيهيئ لَهُم الإرشاء والدِّلاء وعُدَد الحِيَاض، **ويَسقي لَهُم**». انتهى.

---

١- وقد نبه على هذا العلامة صالح الفوزان في (شرح العقيدة الطحاوية، شريط رقم ١٤).

٢- «بدائع الفوائد» (٣/ ١٣).

٣- (٧٠٤٩).

٤- «عمدة القاري» (٢٤/ ١٧٦).

ولهذا قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وقوله: «أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُم» أَي: أسقيهم بيَدي». انتهى.

**فالله أعلم بالصواب في المسألة**، ولكن ترك مثل هذا الدعاء أولى للشك في صحة معناه، وليدْعُ المؤمن بقوله: «**اللهم اجعلنا ممن يرِد حوضَ نبيك** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وارزقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدا**».



١- «مشارق الأنوار» (٢/ ٣٢، ٢٧٣).

## موضع الحوض

**المسألة السادسة: اختلف أهل العلم في موضع حوض النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يوم القيامة**، والصحيح أنَّه قبل الصراط[١]، بل قال أبو حسن القابسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [٢]: «**والصحيح أنَّ الحوضَ قبل الميزان**»، وبيَّن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ المعنى يقتضيه، معلِّلًا ذلك بأنَّ الناسَ يخرُجون من قبورهم عطاشاً، فيُقدَّم الحوضُ قبل الصراط والميزان، والعلم عند الله تعالى.[٣]

---

١- انظر «بداية السول في تفضيل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» للعز بن عبد السلام (ص ٥٥) مع تعليق الألباني (ص ٥٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٩٦)، و«النهاية» (٤١٢-٤١٤)، و«شرح ابن ناجي» (١/ ٥٢)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٦٦).

٢- «التذكرة» (ص ٧٠٣).

وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٩٦)، و«شرح ابن ناجي» (١/ ٥٢)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٦٦).

٣- «التذكرة» (ص ٧٠٣).

## من أسباب الحرمان من الشرب من الحوض

**المسألة السابعة:** أنكرت طوائف من أهل البدع الحوض، فلم يُقِرُّوا بثبوته.[١]

وذكر ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] أنَّ أحاديث الحوض مشهورة كثيرة الطرق، وإن رَغِمت أنوف كثير من المبتدعة المكابِرة القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأخلِق بهم أن يُحال بينهم وبين وُروده، كما قال بعض السلف: «**من كذَّب بكرامة لم ينَلْها**»». انتهى.

ولمَّا سئل أبو برزة الأسلَمي عن الحوض: هل سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر فيه شيئا؟ فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نعم، لا مرة، ولا ثنتين، ولا ثلاثا، ولا أربعا، ولا خمسا، **فمن كذَّب به فلا سقاه الله منه**».[٣]

---

١- انظر: «لوائح الأنوار» (٢/ ١٧٣).

٢- انظر: «النهاية» (١/ ٣٧٤).

٣- رواه أحمد في «المسند» (١٩٧٧٩)، وأبو داود (٤٧٤٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٠٣)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٣٢٤).

**المسألة الثامنة: دلَّت الأخبار أنَّ مِن أسباب الحرمان من ورود الحوض في وقت شدة الحاجة إليه:**

**① الإحداث في دين الله:**

فإنَّ مِن أكثر الأسباب التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذَّود عن الحوض هي الإحداث في الدين، وذلك في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنَّكَ لا تَدري ما أحدَثوا بَعدَك**»[1].

**وحاصل ما حُمِل عليه حالُ المذكورين أنَّهم:**[2]

- **إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام**، فلا إشكال في تبرِّي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم وإبعادِهم.

قلت: في رواية في «الصحيح»[3]، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أنا على حَوضي أَنْتَظِرُ مَن يَرِدُ عليَّ، فَيُؤْخَذُ بناسٍ مِن دُوني**»، فأقول: «**أُمَّتِي**»، فيُقال: «**لا تَدري، مشَوْا على القَهْقَرى**». قال ابنُ أبِي مُلَيْكَةَ بعد روايته للحديث: «اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بك أنْ نَرْجِعَ على أعقابِنا، أو نُفْتَنَ». آمين.

---

١- رواه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٥).

٢- انظر «الفتح» (١٣/ ٤).

٣- البخاري (٧٠٤٨).

قال العلامة ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**فإن كان الابتداعُ والتبديلُ بالمُروق مِن الدين، فالإبعاد حرمان من الشفاعة أيضا**، ويبقى ذلك المبتدِع مخلَّدًا في النار». انتهى.

- **وإن كانوا ممن لم يرتد، لكن أحدَث معصيةً كبيرة، بدعةً لا تُخرِج من** الدين، فالإبعاد عن الحوض لا يمنع المُحدِث أنْ تنالَه الشفاعة، وأنِ يخرُج من النار في جملة الموحِّدين، غير أنَّ في إبعاده عن الحوض عذابًا بالظَّمأ وخِزيًا بالطَّرد.

قلت: وهذا الذي اختاره الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] حيث قال: «ويظهر من أول الحديث أن ذلك الارتداد لم يكن ارتداد كفر لقوله: «**وإنَّه سيُؤتى برِجَالٍ مِن أُمَّتي**»، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لما نُسِبوا إلى أمته». انتهى.

وذكر ابن بطال المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] أنه يدخُل في ذلك كلُّ حدَث في الدين لا يرضاه الله من خلاف جماعة المسلمين، **وجميعُ أهلِ البدع كلهم فيهم مبدِّلون محدِثون، وكذلك أهلُ الظلم والجَور وخلاف الحق وأهله، كلُّهم محدِث مبدِّل، داخل في معنى هذا الحديث**.

---

١- «الآثار» (٢/ ٣١٥).

٢- «الاعتصام» (١/ ٢١١). وانظر: «التمهيد» (٢٠/ ٢٦٢)، و«التذكرة» (ص ٧١٠-٧١١).

٣- «شرح البخاري» (١٠/ ٦).

قال القحطاني في «نونيته»[(١)]:

والبعـــثُ بعـــد المـــوت وَعْـــدٌ صـــادِقٌ

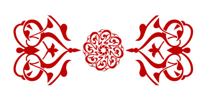
بإعـــــــــادَةِ الأرواحِ في الأَبْـــــــــدانِ

وصِـــــراطُنا حَـــــقٌّ وحَـــوْضُ نبِيِّنَـــا

صِـــدقٌ لـــه عَـــدَدُ النُّجـــومِ أَوانِـــي

يُسْـــقَى بهـــا السُّـــنيُّ أَعـــذَبَ شَـــرْبَةٍ

ويُـــــذادُ كُـــــلُّ مُخـــــالِفٍ فَتَّـــــانِ



---

١- (ص ٢٣).

وخلاصة الكلام أنَّ الإحداث نوعان:

- **حدث أكبر**، وهذا يكون بالردة عن دين الله والبدع الكفرية.
- **وحدث أصغر**، وهو الذي يكون بسائر البدع، والظلم والجَور.

**وكلاهما موجب للإبعاد عن الحوض**، إما إبعادا كليا وهذا لمن فارَق الدين مفارقة تامة، وإما إبعادا جزئيا، وهذا لمن فارَق الدين مع بقاء أصله وهو التوحيد.

قال الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نظمه لمقدمة «رسالة ابن أبي زيد القيرواني»[١]:

وأنَّ للمُصْـــــطَفى حَوْضـــــًا مَســـــافَتُهُ
مــا بَــيْنَ صَــنْعَا وبُــصْرَى هكــذا ذُكِـرَا
أحْلَــى مِــن العَسَــلِ الصَّــافِي مَذاقَتُــهُ
وأنَّ كِيزَانَـــهُ مِثـــلُ النُّجـــومِ تُـــرَى
ولـــم يَـــرِدْهُ سِـــوى أَتبـــاعُ سُـــنَّتِهِ
سِــيمَاهُمُ أَن يَــرَى التَّحْجِيــلَ والغُــرَرَا
وكَـــمْ يُنحَّـــى ويُنفَـــى كـــلُّ مُبتَـــدِعٍ

---

١- «عقيدة السلف» (ص ٦٧).

عـــن وِرْدِهِ ورِجـــالٌ أَحْـــدَثُوا الغِيَـــرَا

② طاعة الأمراء في المعصية:

فعن جابر بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لكَعْبِ بنِ عُجْرَةَ: «أعَاذَكَ اللهُ مِن إمارَةِ السُّفَهَاء»، قال: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قال: «أُمَراءُ يكونون بَعدي، لا يَقْتَدُونَ بِهَديي، ولا يَسْتَنُّونَ بسُنَّتي، فمَن صَدَّقَهُم بكَذِبِهم، وأَعَانَهُمْ على ظُلْمِهِم، فأُولئكَ ليسوا مِنِّي، ولستُ منهم، ولا يَرِدُوا عليَّ حَوضِي، ومَن لم يُصَدِّقْهُم بكَذِبِهم، ولم يُعِنْهُم على ظُلْمِهِم، فأولئكَ مِنِّي وأنا منهم، وسيَرِدُوا عليَّ حَوضِي»[1].

وفي نفس السياق، دلَّت الأحاديث على أنَّ الصبر على جَوْر الحكام، وعلى استئثارهم بالدنيا من أسباب ورود الحوض[2]، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّكُم ستَلْقَوْنَ بَعْدي أَثَرَةً، فاصبِروا حتَّى تَلْقَوْنِي على الحوْض»[3].

---

١- رواه أحمد (١٤٤٤١)، وابن حبان (٤٥١٤)، وغيرهما، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٣٥١). وانظر «الاعتصام» (٣/ ١٢٨-١٢٩).

٢- انظر «البدور السافرة» (ص ٢٥٨).

٣- رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٨٤٥).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**لذلك يُرجى لمن صبر على السلطان وعلى جوره أن يَنال مِثلَ هذا الوعد من النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

١- «شرح العقيدة السفارينية» (ص ٤٨٠).

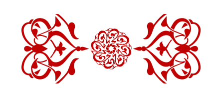
## هل يشرب العاصي من الحوض؟

**المسألة التاسعة:** اختلف أهلُ العلم في العاصي الموحِّد الذي استحقَّ دخولَ النار، **هل يشرب من الحوض أم لا؟** على أقوال: [١]

**أولها:** أنَّه لا يشرب منه إلا مَن لم يُقَدَّر عليه بالنار.

**وثانيها:** أنَّه يشرب منه بعد نجاته من النار. [٢]

**وثالثها:** أنَّ من شرب منه من هذه الأمة ثم قدَّر الله عليه العقوبة بالنار على ذنوبه، فإنَّه لا يُعذَّب فيها بالظمأ، بل يكون عذابه بغير ذلك.



---

١- انظر «إكمال المعلم» (٧/ ٢٥٧)، و«التذكرة» (٧١١).

٢- وهذا -والله أعلم- موافقٌ لقول من قال: الحوض بعد الصراط، أو أنَّ للنبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، على ما اختاره القرطبي في «التذكرة» (ص ٧٠٢). وتقدَّم أنَّ الصحيح خلافه.

## لكل نبي حوض يوم القيامة

**المسألة العاشرة: ظاهر الأدلَّة أنَّ الحوضَ ليس خاصًّا برسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، فقد روى الترمذي في «جامعه»[2]، عن سَمُرَةَ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ لكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وإِنَّهُم يَتَباهَوْنَ أيُّهُم أكثَرُ وارِدَةً، وإنِّي أَرْجو أنْ أكونَ أكثَرَهم وارِدَةً**».

**وعليه، فحوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمتاز بميزات:**

- **منها**: ما ذكرنا من وصفه وحسنه وعظمته،
- **ومنها**: أنه أكثر الحياض وُروداً، بين سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.



١- انظر «التذكرة» (ص ٧١٣)، و«النهاية» (١/ ٤١١).

٢- (٢٤٤٣)، وقال عنه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٢٠): «وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح. والله أعلم».

## من استقام على السنة شرب من الحوض

**المسألة الحادية عشرة:** كما أنَّ حوضَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الموقف يوم القيامة يشخُب فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي في الجنة، فكذلك حوضه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا -وهو علمه وسنته وشِرعته ومِنهاجه- يصب فيه ميزابان اثنان: الكتاب والسنة، وكلاهما وحي من الله تعالى.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [١]: «**فمن شرب من حوض علمه الصافي في الدنيا، فهو الجدير أن يَرِد حوضَه في الآخرة، ومن ظَمِأ من سنته في هذه الدنيا، ولم يكن له منها شِرب، فهو في الآخرة أشد ظمأ وأحرُّ كبَدا،** والجزاء من جنس العمل». انتهى.

وساق هذا المعنى في «النونية» [٢] بقوله:

ورأيــت حــوضَ الكــوثر الصــافي الــذي
لا زالَ يَشْــــخُبُ فيـــــه مِيزابــــانِ
ميــــزابُ سُــــنتهِ وقــــولِ إلهِــــهِ
وهمــــا مَــــدى الأيَّـــامِ لا يَنِيـــانِ

---

١- انظر «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ٨٥).

٢- انظر «شرح النونية» للهراس (١/ ٣٣٤).

والنـــــاسُ لا يَرِدونـــــهُ إلا مِــــن الآ

لافِ أفــــــــرادًا ذوي إيمــــــــانِ

# الصراط: جسر فوق جهنم

بعد أن تكلَّمنا على أحوال القيامة والحساب والميزان، نشرع الآن في بيان الطريق الموصل للجنَّة والمارِّ فوق النار، وهو الصراط الذي يجوزه الأبرار.

**والكلام على الصراط** -يسَّر الله مرورنا عليه بلا عذاب- **في مسائل:**

## حقيقة الصراط وأدلته وصفته

**المسألة الأولى:** الصراط بالصاد وبالسين وبالزاي، فيقال: الصراط والسِّراط والزِّراط، وهو في **اللغة:** الطريق الواضح[١]، **وشرعًا:** جسر منصوب على مَتن أي ظهر جهنَّم، أَرَقُّ من الشَّعرة وأَحَدُّ من السيف.[٢]

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «**الصراط طريق أهل الجنة إليها من المحشر في الأرض إلى السماء**». انتهى.

**المسألة الثانية:** دل على إثبات الصراط الكتاب والسنة، واتفقت عليه الكلمة، قال جلَّ شأنُه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾[يس: ٦٦]، فليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط،

---

١- انظر «الصحاح» للجوهري (٣/ ١١٣٩)، و«القاموس المحيط» (ص ٦٧٥).

٢- «الفواكه الدواني» (١/ ٩٠). وانظر «الجواب الصحيح» (٣/ ١٧٨).

٣- «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ٥٥)، باختصار.

وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما الكفار فليس لهم عند الله عهد في النجاة من النار.(١)

وجاءت الإشارة إلى الصراط في قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[مريم: ٧١]، إذ فُسِّر الورود هنا بالمرور على الصراط، فيرده الأولون والآخرون حتى من لا حساب عليه.(٢)

وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في تفسير هذه الآية: «**يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثم يَصْدُرُونَ منها بأعمالِهِم**».(٣)

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «والوُرود دخول، لكنه دخولُ عُبور، فينجو من اتقى، ويُترَك فيها من ظلَم، وبيان ذلك أن جهنَّمَ -أعاذنا

---

١- على أحد الأقوال في تفسير الآية.

انظر «الجامع لأحكام القرآن»، و«تيسير الكريم الرحمن» (ص ٦٩٨).

٢- انظر «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٣٤)، و«التمهيد» (٦/ ٣٦١)، و«الفصل» (٤/ ٤٢)، و«عارضة الأحوذي» (١٢/ ١٧)، و«زاد المسير» (٣/ ١٤٣)، و«شرح النووي» (١/ ٢١٧) (١٦/ ٥٨) (١٦/ ١٨١)، و«الجواب الصحيح» (١/ ٢٢٩)، و«التخويف من النار» (ص ٢٤-٢٥٣)، و«فتح الباري» (٣/ ١٤٩)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٩٠)، و«أضواء البيان» (٣/ ٤٧٧-٤٨٢)، و«دفع إيهام الاضطراب» (ص ١٤٧-١٤٨).

٣- رواه أحمد (٤١٤١)، والترمذي (٣١٥٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١١).

٤- «المفهم» (٦/ ٤٤٤).

الله منها- محيطة بأرض المحشر وحائلة بين الناس وبين الجنة، **ولا طريق للجنة إلا الصراط الذي هو جسر ممدود على متن جهنم، فلا بدَّ لكل من ضمَّه المحشر من العبور عليه** = فناج مُسَلَّم، ومخدوش مرسَل، ومكَردَسٌ في نار جهنَّمَ». انتهى.

**وجاءت السنة مصرِّحة بذكر الصراط وصفته**، ومن ذلك قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يُضرَب الصِّراطُ بين ظَهرَي جهنَّمَ، فأكونُ أنا وأمَّتي أوَّلَ من يُجيز، ولا يتكلَّمُ يومئذ إلَّا الرُّسل، ودَعْوى الرُّسل يومئذ: اللَّهُمَّ سَلِّم، سَلِّم**[١]**، وفي جهنَّمَ كَلاليبُ مثلُ شَوْك السَّعْدان، هل رأيتم السَّعدانَ؟**» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «**فإنَّها مثلُ شَوْك السَّعدانِ غيرَ أنه لا يَعْلَم ما قَدْرُ عِظَمِها إلا الله، تَخْطَفُ الناس بأعمالِهم، فمنهم المؤمنُ بَقِيَ بِعَمَلِه، ومنهم الُمجازَى حتى يُنَجَّى**». [٢]

قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في يوم القيامة: «**يوضع الصراطُ مثلَ حَدِّ الموسى، فتقول الملائكة: من تُجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون:**

---

١- وفي هذا إشارة إلى عظم شأن السلامة لاسيما يوم القيامة، فمن سلم حينئذ فقد فاز، ومن ثَمَّ قيل: «**العاقل لا يعدل بالسلامة شيئًا**». انظر «البحور الزاخرة» (٢/ ٨٧٨).

٢- رواه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢)، وهذا لفظه.

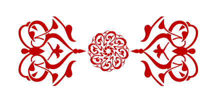
**سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»**.[١]

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصراط: «**كحَدِّ السَّيف دَحْض مَزَلَّة**».[٢]

وأجمع أهل السنة على الإيمان بالصراط، خلافا لأهل البدع والضلال من الخوارج والمعتزلة والإباضية.[٣]

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ[٤]: «**وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم**، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك». انتهى.

وقال السفاريني[٥]: «**وأما الصراط، فهو حق ثابت بلا شَطاط**». انتهى.



١- رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٣٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤١).

٢- «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩١). وانظر «الصحيحة» (٢/ ٦٢٠).

٣- «الفواكه الدواني» (١/ ٩٠)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ١٩٢-١٩٤)، و«معارج القبول» (٢/ ٨٥٦).

٤- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٦٣). وانظر «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ١٦٨).

٥- «لوائح الأنوار» (٢/ ٢١٠).

## اختلاف أحوال الناس بالنسبة للصراط

**المسألة الثالثة: ينقسم الناس باعتبار إدراكهم للصراط إلى ثلاثة أقسام:**

**الأول: المشركون الكفار**، وهم لا يدركونه أصلا.[١]

**والثاني: المنافقون**، وهم يخادَعون دونه، ثم لا يمرون عليه.

**والثالث: المؤمنون**، فهم مدرِكوه، وتختلف أحوالهم عنده.

**وينقسم المؤمنون باعتبار سلامتهم عند المرور على الصراط إلى ثلاثة أقسام أيضا:**

**الأول**: ناجٍ مُسَلَّم، أي لا يمسه عذاب.

**والثاني**: ناجٍ مخدوش، أي يصيبه شيء له حد فيؤثر فيه، ولكنه ينجو.

**والثالث**: مكدوس، أي مدفوع في نار جهنم، أعاذنا الله من ذلك.

**وينقسمون باعتبار سرعة مرورهم على الصراط إلى أحوال كثيرة**، كما سيأتي بيانه في:

**المسألة الرابعة:** فإنَّه قد دلَّ على تفاوت الناس في سرعة المرور على الصراط قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يَمُرُّ أَوَّلُكم كالبَرق**»، فقال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ: وأي شيء كمَرِّ البَرق؟ فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ألم ترَوْا إلى البَرق كيف يَمُرُّ ويرجِعُ في طرفة عين؟ ثم كمَرِّ الريح، ثم كمَرِّ الطير، وشَدِّ**

---

١- انظر «التخويف من النار» (ص ٢٣٥-٢٣٧).

الرجال[١]، تجري بهم أعمالُهم، ونبيُّكم قائم على الصراط يقول: رب سلِّم سلِّم، حتى تعجزَ أعمالُ العِباد، حتى يجيء الرَّجُلُ فلا يستطيعُ السَّيرَ إلا زَحْفًا، وفي حافَّتَي الصراط كَلاليبُ[٢] معلَّقَةٌ مأمورَةٌ بأخْذِ من أمِرَت به، فمَخْدُوشٌ ناجٍ، ومَكْدُوسٌ في النار». [٣]

وفي «لامية» شيخ الإسلام ابن تيمية قولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكَـــذَا الـــصِّراطُ يُمَـــدُّ فَـــوْقَ جَهَـــنَّمٍ

فَمُسَـــــلَّمٌ نَـــاجٍ وَآخَـــــرُ مُهْمَـــــلُ

---

١- أي: جريهم الشديد. «المفهم» (١/ ٤٣٩).

٢- كلاليب: جمع كَلُّوب وكلُاَّب، وهو الذى يتناول به الحدَّادُ الحديد من النار.

انظر «شرح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٤٦٨)، و«مشارق الأنوار» (١/ ٣٤٠).

٣- رواه مسلم (١٩٥).

## أهل البدع ينكرون وجود الصراط

**المسألة الخامسة: أنكر الصراطَ والمرورَ عليه أهلُ البدع والأهواء من الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة والإباضيَّة،** وتأوَّلوا الورود برؤية النار لا أنه المرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة، وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة.[1]

**واستعظَم أهل البدع العبور على الصراط،** وقالوا: إنْ أمكن ذلك فهو تعذيب للمؤمنين، والجواب عن هذا أن يُقال: إنَّ المؤمن لا يحصل له بذلك ألم ولا عذاب، **وإنَّما العذاب على مَن رفض السنة والكتاب، ورجعَ إلى رأيه، ونبذ السنة إلى ورائه،** وما أضلَّ هؤلاء إلَّا عقولُهم القاصرة عن معرفة ربهم وقدرته الباهرة.[2]

ولقد أحسن أبو الحجاج السَّرَقُسْطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله:[3]

ويُنصَـــبُ الصِّـــراطُ يـــومَ الحَشـــرِ
علـــى جهـــنَّمَ كمِثـــلِ الجِســـرِ

---

١- انظر «معارج القبول» (٢/ ٨٥٦)، و«موسوعة العقيدة» (٤/ ١٨٠٣).

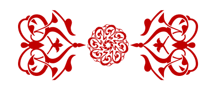
٢- انظر «البحور الزاخرة» (٢/ ٨٨١).

٣- «التنبيه والإرشاد» (ص ٢٢٩-٢٣٠).

يُفضـــــــي بعابِريـــــــهِ للنَّعـــــــيمِ
ويســـــــقُطُ البـــــاقون في الجحـــــيمِ
هنـــــاك لا ينطِـــــق إلَّا الأنبِيـــــا
دعـــواهُمْ ســـلامٌ كمـــا قـــد رُوِيـــا
جـــــوازُهُ مختلِـــــفُ الأحـــــوالِ
بقـــدر مـــا سَـــبَق في الأعمـــالِ
فجـــــائزٌ كـــــالريح أو الكبَـــــرقِ
وآخَـــــرون كجِيـــــادِ السَّـــــبقِ
وبعضـــــهم مشـــــيًا وبعـــــضٌ حَبْـــوَا
علـــى الـــذي بـــه الحـــديثُ يُـــروى
وهـــــو مـــــن الرِّقَّـــــة في نهايـــــهْ
علـــى الـــذي أتـــت بـــه الروايـــهْ
والـــــربُّ لا يعجِـــــزه إمشـــــاؤُهمْ
عليـــه إذْ لـــم يُعيِـــهِ إنشـــاؤُهمْ
**تبًّـــا لقـــومٍ أَلحَـــدوا في أمـــرهِ**
**مـــا قـــدَروا لإلـــهَ حـــقَّ قـــدْرهِ**

**المسألة السادسة: يكون مرور الناس على الصراط بعد مفارقتهم مكان الموقف، وينتهون حينها إلى الظُّلمة التي دون الصراط**[١] كما في «صحيح مسلم»[٢] لما سأل الحَبرُ اليهوديُّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**هم في الظُّلمة دون الجسر**»، وفي حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في «صحيح مسلم» أيضا[٣] أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أجاب عن نفس السؤال بقوله: «**على الصراط**».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ[٤]: «**ويمكن الجمع بين الحديثين، بأن الظُّلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر**، فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطي السماء، من حين وقوع الناس في الظُّلمة، ويمتد ذلك إلى حال المرور على الصراط، والله أعلم». انتهى.



١- انظر «النهاية» لابن كثير (٢/ ١٠٥-١٠٦).

٢- (٣١٥).

٣- (٢٧٩١).

٤- «التخويف من النار» (ص ٢٣٥). وحمل بعضُ أهل العلم رواية «دون الجسر» على رواية «على الجسر»، فقال: «دون هنا بمعنى على». انظر «المفهم» (١/ ٥٧٤) (٧/ ٣٥٢).

## لا يمر على الصراط كافر

**المسألة السابعة: المشركون لا يمرون على الصراط، إنما يقعون في النار قبل وضع الصراط**، ويدل على ذلك ما جاء في «الصحيحين»[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يجمَعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامة، فيقول: مَن كان يعبُد شيئًا فلْيتَّبِعْه، فيتْبَع مَن كان يعبد الشمس، ويتْبَعُ من كان يعبُد القمر، ويتْبَعُ من كان يعبُد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها**».

وعليه، فالمشركون يتهافتون في النار تبَعًا لآلهتهم التي كانوا يعبدون في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[الأنبياء: ٩٨]، وقال في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾[هود: ٩٨].[٢]

**المسألة الثامنة: إذا تساقط الكفار في النار يبقى** من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها.[٣]

---

١- البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

٢- انظر «الشرح الميَسَّر المفيد على أربع قواعد في التوحيد» للمؤلف (ص ٣٦-٣٨).

٣- انظر «التخويف من النار» (ص ٢٣٧، وما بعدها)، و«القيامة الكبرى» (ص ٢٦٣، وما بعدها).

**فعند الظلمة التي تُلقى دون الجسر تُقَسَّمُ الأنوار على وارِدي الصراط،** ويفترق حينها المنافقون عن المؤمنين، ويتخلَّفون عنهم، ويكون السَّبق للمؤمنين، ويُحال بينهم وبينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحديد: ١٢ - ١٥].[١]

قال بعض السلف: «ما يزال المنافق مغترًّا، حتى يُقْسَم النور، ويَمِيز الله بين المؤمن والمنافق».[٢]

---

١- «النهاية» (٢/ ١٠٥-١٠٦).

٢- رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠/ ٣٣٣٧).

**وقد اختلف السلف، هل يقسم للمنافقين نور مع المؤمنين ثم يطفأ، أو لا يقسم لهم نور بالكلية، على قولين:**

① **القول الأول:** لا يقسم لهم نور بالكلية.

=

وأهل النفاق كانوا مع المؤمنين في الدنيا ظاهرًا، ولكنهم كانوا أعداء لهم ولدينهم في الباطن، فخادَعوهم في الدنيا، وسيُخادَعهم الله في الآخرة، في يوم تُبلى فيه السَّرائر، وينكشف المَخفيُّ في الضمائر، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم: ٨].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ويُعطَى كُلُّ إنسانٍ منهم منافقا، أو مؤمنا نورًا، ثم يَتَّبِعُونَهُ وعلى جِسر جهنَّمَ كَلاليبُ وحَسَكٌ**[1]**، تأخذ من شاء الله، ثم يُطْفَأُ نورُ المنافقين، ثم يَنجُو المؤمنون، فتَنجُو أَوَّلُ زُمْرَة وجوهُهم كالقمر ليلةَ البَدْر سبعون ألفا لا يُحاسَبون، ثم الذين يَلُونَهم كأضْوَأ نَجْمٍ في السماء، ثم كذلك**».[2]

**المسألة التاسعة: الصراط من المواضع التي لا يعرف فيها أحدٌ أحدا**، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها ذكرت النار، فبكَت، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

=

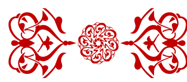
② **والقول الثاني**: يقسم للمنافين النور مع المؤمنين كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا، ثم يطفأ نور المنافقين إذ بلغوا السور.

انظر «التخويف من النار» (ص ٢٣٨-٢٤٠).

١- الحَسَكَة: شَوكة صُلبة من حديد. انظر «إكمال المعلم» (١/ ٥٦٥)، و«النهاية» (١/ ٣٨٦).

٢- رواه مسلم (١٩١).

«ما يُبكيكِ؟» قالت: ذكرتُ النارَ، فبكَيتُ، فهل تذكرونَ أهليكم يومَ القيامة؟ فقال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أمَّا في ثلاثة مَوَاطن فلا يذكرُ أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى يَعلَمَ أيَخِفُّ ميزانُه أو يَثقُلُ، وعندَ الكتاب حين يقال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ حتَّى يَعلَمَ أين يقعُ كتابُه أفي يمينه، أم في شماله، أم مِن وراء ظهرِه، وعند الصِّراطِ إذا وُضِعَ بين ظهريْ جهنَّم**».[1]



١- رواه أحمد (٢٤٦٩٦)، وأبو داود (٤٧٥٥)، وهذا لفظه، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٢٢)، وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٦/ ٢٦٨٣): «وإسناده جيد»، وضعفه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٥٦٠).

## صراط الآخرة صورة لصراط الدنيا

**المسألة العاشرة: الصراط شرعا يقع على معنيين:**

- **أحدهما**: الإسلام، وهو المراد في الدينا.
- **والآخر**: هو الصراط الأخروي .

ولما كانت الآخرة دارًا للجزاء، والصراط الذي يُمَدُّ على متن جهنَّمَ صورةٌ للصراط الذي يسلكه السائر إلى الله في هذه الدنيا، **ترتَّب على ذلك أمور**: [١]

**أوَّلها: أنَّ مَن هُدِي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم**، الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، **هدي في الآخرة إلى الصراط المستقيم**، الموصل إلى جنته ودار ثوابه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾[المؤمنون: ٧٣ - ٧٤]، ومن نكب عن الصراط المستقيم، دخل النار بلا شك. [٢]

**وثانيها: أنَّ اقتسام المؤمنين الأنوار في الآخرة، على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة في الدنيا**، ولهذا لما أظلم قلبُ الكافر في الدنيا بالكلية

---

١- انظر «مدارج السالكين» (١/ ٣٣)، و«التخويف من النار» (ص ٢٤٠)، و«الإحياء» (٤/ ٥٢٤)، مع زيادات أخرى.

٢- انظر «أضواء البيان» (٥/ ٣٤٤-٣٤٥).

وتعطَّل عن توحيد رب البريَّة، كان في الظلمة التامة يوم القيامة، بخلاف المؤمن الذي استنار بنور الله في الدنيا، فانقلبت ظلمة الدنيا في حقه نورا، وفي هذا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَشِّر المشَّائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنُّورِ التامِّ يوم القيامة**».[1]

وثالثها: أنَّ صراط الآخرة مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، تزلق فيه الأقدام، وتسقط مِنْ عليه الأجساد، **فعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب فوق النار.**

ورابعها: **أنَّه على قدر سير العبد على صراط الدنيا يكون سيرُه على صراط الآخرة**، وتقدَّم الحديثُ في تفاوت الناس في ذلك تفاوتا عظيما، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النمل: ٩٠].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «**من صام اليومَ عن شهواته أفطر عليها غدا بعد وفاته، ومن تعجَّل ما حرم عليه من لذاته عوقب بحرمان نصيبه من الجنة وفواته**، فمن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير لم يلبسه في الآخرة». انتهى.

---

١- رواه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٧٢١).

٢- «لطائف المعارف» (ص ١٤٧، ٢٩٣).

وقال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**من سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات**». انتهى.

وفي «النونية»[٢]:

فالسابقون هُمُ وقد كانوا هنا ... أيضا أولي سَبْقٍ إلى الإحسانِ

سبْقٌ بسبقٍ والمؤخَّر ههنا ... متأخِّرٌ في ذلك الـمَيدانِ

وخامسها: أنَّ من المارِّين على الصراط المخدوشَ المسلَّم، والْمُكَردَسَ في النار، وكذلك هو صراطُ الدنيا، **فمن تخطَّفته الشبهات والشهوات المنصوبة على صراط الدنيا، تخطَّفته الكلاليب والخطاطيف التي بجَنَبَتي الصراط يوم القيامة**، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٦]، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن الكلاليب: «**إنها تخطف الناس بأعمالهم**»[٣].

وسادسها: مَن دَقَّ عليه الصراط في الدنيا عَرُض له في الآخرة، ومن عَرُض عليه الصراط في الدنيا دَقَّ عليه في الآخرة، كما قال سهل التستري.

---

١- «التفسير» (ص ٧٢).

٢- (ص ٣١٣، ٣٤٧).

٣- رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

ومعنى هذا، أن من **ضيَّق على نفسه باتباع الأوامر واجتناب النواهي في الدنيا، كان جزاؤه أن يتَّسع له الصراط في الآخرة**، ومن وسَّع على نفسه في الدنيا، باتباع الشهوات المحرمة، والشبهات المضلة، حتى خرج عن الصراط المستقيم، ضاق عليه الصراط في الآخرة بحسب ذلك.

المسألة الحادية عشرة: **الإيمان بالصراط يدعوك -أيها المؤمن- إلى التفكر فيما يحِلُّ بفؤادك من الفزع إذا رأيت الصراط ودِقَّته**، ثم وقع بصرُك على سَواد جهنَّمَ من تحته، ثم قَرَع سمعَك شَهيقُ النار وتغَيُّظها، وقد كُلِّفْت أن تمشيَ على الصراط مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلاً عن حِدَّة الصراط، **فكيف بك إذا وُضِعَت عليه إحدى رِجليك، فأحسست بحِدَّته، واضطُررت إلى أنْ ترفع القدم الثانية، والخلائقُ بين يديك يزِلُّون ويتَعثَّرون، وتتنازلهم زَبانيةُ النار بالخطاطيف والكلاليب**، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكَّسون فتتسفَّل إلى جهة النار رؤوسُهم، وتعلُوا أرجلُهم، فيا له من منظر ما أفظعَه، ومرتقًى ما أصعبَه، ومجازٍ ما أضيقَه. [١]

إذا مُـــدَّ الصـــــرِّاطُ علـــى جَحِـــيمٍ

تَصُـــولُ علـــى العُصَـــاةِ وتَسْـــتَطِيلُ

---

١- انظر «الإحياء» (٤/ ٥٢٤)، وعنه القرطبي في «التذكرة» (ص ٧٥٧).

فقَــــومٌ في الجَحِـــــيمِ لَهُـــــمْ ثُبُـــــورٌ
وقَــــوْمٌ في الجِنَـــــانِ لَهُـــــمْ مَقِيــــلُ

وبَــــانَ الحَــــقُّ وانكَشَــــفَ الغِطَــــاءُ
وطـــــالَ الوَيْـــــلُ واتَّصَـــلَ العَويـــلُ

**فيا مَن أعجبه اللَّهوُ والانبساط، هلَّا افتكَرتَ في شدة المرور على الصِّراط،** فإنَّه ليس ثَمَّتَ مساعِدٌ، ولا رفيقٌ مُوادِد، سوى تقوى العزيز الغفار، فانتبه لتلك الأوقات، واعتبر بمَن قبلكَ قد ماتَ.[١]

وصدق من قال: [٢]

أمـــــامي موقِــــفٌ قُــــدَّامَ ربِّـــــي
يُســــــائِلُني ويَنكَشِـــــفُ الغِطـــــاءُ

وحَسْــــبي أنَّ أمُـــــرَّ علــــى صِـــراطٍ
كحَـــــدِّ السَّـــــيف أســــفَلُه لَظــــاءُ



١- انظر «البحور الزاخرة» (٢/ ٨٧٩-٨٨٠).

٢- انظر «التخويف من النار» (ص ٢٤٢).

## القنطرة: قبل الدخول للجنة

إذا جاوز المؤمنون الصراط -ولا يجوزه إلا مؤمن- أَمِنُوا من دخول النار، فيُحبَسون هناك على قنطرة قبل دخول الجنَّة، فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في دار الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا أُذِن لهم في دخول الجنَّة، وما أعظمها مِن مِنَّة.[١]

**والكلام على هذه القنطرة في مسائل:**

### حقيقة القنطرة وأدلتها وموضعها

**المسألة الأولى:** القنطرة **لغةً**: الجسر، وما ارتفع من البُنيان[٢]، **وشرعًا**: مكان مرتفع يُحبَس عليه بعضُ المؤمنين بعد جواز الصراط وقبل دخول الجنة للمُقاصَّة بينهم.[٣]

**المسألة الثانية:** دلَّ على هذه القنطرة تصريحًا قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَخلُص المؤمنون من النار، فيُحبَسون على قَنطَرة بين الجنَّة والنار، فيُقَصُّ[٤] لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول**

---

١- «تحفة المودود» (ص ٣١٠)، و«التذكرة» (ص ٧٦٨).

٢- «القاموس المحيط» (ص ٤٦٦).

٣- انظر «التذكرة» (ص ٧٦٧-٧٦٨)، و«موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٣٨٢).

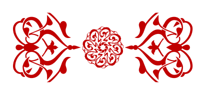
٤- وفي بعض النسخ: فيُقتَصُّ.

**الجنة، فوالَّذي نَفْسُ محمد بيده، لَأحدُهم أهدى بمنزله في الجنَّة منه بمنزله كان في الدنيا».** [١]

**المسألة الثالثة: اختلف أهلُ العلم في موضع هذه القنطرة على قولين:** [٢]

- **القول الأول:** هي صراط آخر بعد الصراط الذي فوق جهنَّم، أي: موضع بين الصراط والجنة، وجزم به القرطبي [٣]، والعيني. [٤]
- **والقول الثاني:** هي طرف الصراط الذي يلي الجنة، واختاره السيوطي، وذكر أنَّ الأحاديث تدُل عليه. [٥]

قلت: وقد يُجمع بين القولين بأن **يكونَ أوَّلُ القنطرة في طرف الصراط، وتتمَّتُها بين الجنة والنار**، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، ولهذا توقَّف في هذه المسألة جماعة من أهل العلم، فلم يزيدوا عن مجرَّد حكاية الأقوال. [٦]



---

١- رواه البخاري (٦٥٣٥).

٢- انظر «فتح الباري» (٥/ ٩٦) (١١/ ٣٩٩).

٣- انظر «التذكرة» (ص ٧٦٧).

٤- انظر «عمدة القاري» (١٢/ ٢٨٥).

٥- انظر «البدور السافرة» (ص ٣٨٢).

٦- انظر «فتح الباري» (١١/ ٣٩٩)، و«لوائح الأنوار» (٢/ ٢١٣)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ١٩٠)، و«شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ١٦٣).

## الفرق بين القصاص العام والخاص

**المسألة الرابعة**: القصاص الذي دلَّت عليه النصوص نوعان:

**أحدهما**: قصاص عام: يكون بين الخلائق جميعا، حتى البهائم، فيُقتَصُّ لبعضها من بعض، -وقد تقدَّم- من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «صحيح مسلم»[1] أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لتُؤَدُّنَّ الحُقوقَ إلى أهلِها يومَ القيامة، حتَّى يُقادَ للشَّاة الجَلْحاء مِن الشَّاة القَرْناء**»، فالحديث مُصَرِّحٌ بوقوع القَصاص بين البهائم العجماء.

**والآخر**: قصاص خاص، وهو ما يكون بين المؤمنين إذا عبَرَوا الصراط، فيُقتَصُّ لبعضهم مِن بعض، حتى يدخلوا الجنة مهذَّبين أنقياء، لا تخالطهم شائبة من كَدَرِ مَظلَمَة، ولا غيرها.

**وبين النوعين عِدَّةُ فُرُوق، منها**: [2]

① أنَّ الأول قد يَعقُبُه دخول النار لكافر أو مسلم مُستحِقٍّ دخولَها، أما الثاني فلا يعقبه إلا دخول الجنة.

② وأنَّ الأول قبل الصراط، والثاني بعد الصراط.

③ وأنَّ الأول للخلق جميعا مؤمنهم وكافرهم عاقلهم وبهيمهم، فيقع

---

١- (٢٥٨٢).

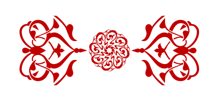
٢- مستفاد من تعليق شيخنا العصيمي على «أعلام السنة المنشورة».

بين الناس وبين البهائم العجماء، وأما الثاني فإنه يختص بالمؤمنين فقط.

④ وأنَّ الأول أداء الحقوق واستخلاصها، والثاني تهذيب وتنقية، يعني الأول من باب التخلية، والثاني من باب التحلية.

⑤ وأنَّ الأول في دار الحساب، والثاني في دار الجزاء.

⑥ وأنَّ الأول يكون فيه من لا حسناتَ له، وأما الثاني فإن كل أهله لهم حسنات.



## الحكمة في حبس بعض المؤمنين على القنطرة

**المسألة الخامسة: في حبس بعض المؤمنين على هذه القنطرة والمقاصة بينهم عدة فوائد، منها:** [١]

- إظهار عدل الله الكامل.
- وإسقاط العقوبات الأخروية بالنار.
- وتطهير قلوب أهل الجنة من موجبات الغِل، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الحجر: ٤٧].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**مُتقابلين**: فيما بينهم قد صَفَت قلُوبُهم، ومحَبَّتُهم فيما بينهم، ونُعِّمُوا باجتماع بعضِهم مع بعض، **فإنَّ مُقابَلَةَ وجُوهِهم تَدُلُّ عَلى تَقابُلِ قُلوبِهم**، وتأدُّبِ بعضِهم مع بعض فلم يَستَدْبِرهُ، أو يجعَله إلى جانبه، بل مِن كمال السُّرور والأدب ما دَلَّ عليه ذلك التَّقابُل». انتهى.

- وتطهير النفوس من أدنى خَبَث قبل دخولها الجنَّة التي لا يدخلها من فيه شيء من الخبث.

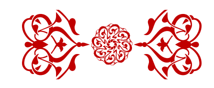
---

١- انظر «موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٣٨٤).

٢- «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٧٠٢) عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[الصافات: ٤٣ - ٤٤].

وما أجمل قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**فمن تطهَّر في الدنيا ولقي الله طاهراً من نجاساته دخل الجنَّة بغير مُعَوِّق**، ومن لم يتطهَّر فى الدنيا فإن كانت نجاستُه عَينِيَّة كالكافر، لم يدخلها بحال، وإن كانت نجاستُه كَسبِيَّة عارِضَة دخلها بعد ما يتطهَّر في النار من تلك النجاسة، ثم يخرج منها.

**والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه مَوقوفًا على الطهارة**، فلا يدخُل المصلي عليه حتى يتطهَّر، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفا على الطيِّب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيب طاهر». انتهى.



١- «إغاثة اللهفان» (١/ ٥٦)، مختصَرا. وانظر له رَحِمَهُ ٱللَّهُ «حادي الأرواح» (ص ٣٧٩)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (ص ٢٦١-٢٦٢).

# الجنَّة: دار الكرامة

إذا جاوز المؤمنون الصراط، وحُبِس منهم مَن حُبس على القنطرة، دخلوا بعدها إلى الجنَّة.

**والكلام على الجنَّة -جعلني الله وإياكم منها- في مسائل:**

## حقيقة الجنة وأدلتها

**المسألة الأولى: الجنة: لغة**: من الاجتِنان وهو السَّتر، لتكاثُف أشجارها، وتظليلها بالتفاف أغصانها[1]، **وشرعا** هي: دارُ الكرامَة، التي أعدَّ اللهُ لأوليائه يومَ القيامة.[2]

وسُمِّيَت الجنَّة بذلك **لأنَّها سَتْرةٌ واحدة**، لشدَّة التفافها وإظلالها، ولسَتر الله نعيمها عنَّا، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ﴾[السجدة: ١٧].[3]

ومع هذا، **فأكثر الناس يغلَطون في مسمى «الجنَّة»**، إذْ هي ليست اسما لُمجرَّد الأشجار والفواكه، والطعام والشراب، والحور العين، والأنهار

١- انظر «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣٠٧).

٢- «أضواء البيان» (٧/ ٤٧).

٣- انظر «مفردات الراغب» (ص ٢٠٤)، و«النهاية» (١/ ٣٠٧).

والقصور، بل **الجنَّة اسم لدار النعيم المطلق الكامل.**

**ومن أعظم نعيم الجنة التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم**، وسماع كلامه، وقُرَّة العين بالقُرب منه وبرضوانه، فلا نِسبةَ للذَّةِ ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذَّة أبدا، **لأنَّ أيسرَ يَسير مِن رضوانه أكبر من الجِنان وما فيها من ذلك**، كما قال تعالى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢].(١)

**المسألة الثانية:** أدلَّة إثبات الجنَّة وحقيقتها وأوصافها -ولو إجمالا- وما تفضَّل الله به على أهلها أمر لا يخفى على أحد، وهي كثيرة في الكتاب والسنة، ومن ذلك قول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[الدخان: ٥١ - ٥٧]، ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ

---

١- «مدارج السالكين» (٢/ ٧٩).

سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[النحل: ٣٠ - ٣٢]، وقوله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾[الروم: ١٥]، أي: بين أنواع الزَّهر في الجِنَان يُسَرُّون، ويُلَذَّذُون بالسماع وطيب العَيش الـهَنِيّ. [١]

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **«من قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ الله، وابنُ أمَتِه، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، وأنَّ الجنَّة حقٌّ، وأنَّ النار حقٌّ، أدخلَه اللهُ مِن أيِّ أبوابِ الجنَّة الثمانيةِ شاء»**. [٢]

١- انظر «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٧٠).

٢- رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨)، واللفظ له.

## الجنة مخلوقة موجودة الآن ولا تفنى أبدا

**المسألة الثالثة**: الجنة مخلوقة موجودة الآن بنصِّ الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، والإعداد دليل على الخلق والإيجاد.

وفي «الصحيحين»[١]، قال اللهُ تعالى: «**أعدَدتُ لعِبادي الصَّالِحِين ما لا عَينٌ رَأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ على قَلب بَشَر، فاقرؤوا إنْ شِئتُم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾**[السجدة: ١٧]».

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَمَّا خَلق اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **الجنَّة، قال: يا جبريلُ، اذهب فانظُر إليها، فذهب فنَظَر، فقال: يا رَبِّ، وعِزَّتِك لا يَسمَعُ بها أحَدٌ إلَّا دخلَها، ثُمَّ حَفَّها بالمَكارِه، ثُمَّ قال: اذهب فانظُر إليها، فذهب فنَظَر، فقال: يا رَبِّ، وعِزَّتِك لقد خَشِيتُ أنْ لا يدخُلَها أحَدٌ**».[٢]

وعلى هذا أجمع أهلُ الحق -خلافًا للمعتزلة ومَن نحا نحوَهم-، كما

---

١- رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

٢- رواه أحمد (٨٦٤٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، وغيرهم، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٦٩٦).

حكاه أبو الحسن الأشعري[١]، وابن عبد البر[٢]، وابن حزم[٣]، ابن القيم[٤] وابن أبي العز[٥]، وابن ناجي[٦]، في آخرين.

المسألة الرابعة: **الجنَّة باقية لا تفنى أبدًا**، ونعيمُها دائمٌ وأهلُها فيها خالدون، والأدلَّة على ذلك لا تُحصى كثرةً، ومن ذلك قول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[ص: ٤٩ - ٥٤]، وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[التوبة: ٢١ - ٢٢]، وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[الرعد: ٣٥].

---

١- انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٢٩) (٢/ ٣٥٥).

٢- انظر «التمهيد» (٥/ ١٠).

٣- انظر «الفصل» (٤/ ٦٨-٦٩)، و«مراتب الإجماع» (ص ١٧٣).

٤- انظر «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧، ٢٥)، و«حادي الأرواح» (ص ١١).

٥- «شرح الطحاوية» (ص ٣١٧).

٦- انظر «شرح الرسالة» (١/ ٤٦).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ثمرها لا ينقطع، وظلها لا يزول، **وهذا رد على الجهمية في زعمهم أن نعيم الجنة يزول ويفنى**». انتهى.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن يدخُل الجنَّة يَنْعَمُ لا يَبأس، لا تَبلى ثيابُه ولا يَفنى شَبابُه**».[٢]

وذكر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّه ينادي مناد في الجنة فيقول: «**إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقَموا أبدا، وإنَّ لكم أن تَحيَوْا فلا تموتوا أبدا، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرَموا أبدا**».[٣]

وهذا أمر واضح جليٌّ، مجمع عليه بين المسلمين، لا يخفى عن العامة، فصلا عن الخاصة.

قال ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «**وأنَّ اللهَ سبحانه قد خَلَقَ الجنَّة فأَعَدَّها دارَ خُلُود لأوليائه**». انتهى.

وقال[٥]: «**وأنَّ الجنة والنار، قد خُلقتا، أُعِدَّت الجنةُ للمتقين، والنارُ للكافرين، لا تفنيان ولا تبيدان**». انتهى.

---

١- «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٢٥).

٢- رواه مسلم (٢٨٣٦).

٣- رواه مسلم (٢٨٣٧).

٤- «عقيدة السلف» (ص ٥٩).

٥- «عقيدة السلف» (ص ٥٩).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**الذي عليه جماعة أهل السنة والأثر أنَّ الجنَّة والنار مخلوقتان لا تبيدان**». انتهى.

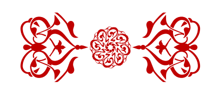


---

١- انظر «التمهيد» (٥/ ١٠-١١) (١٤/ ١٠٥) (١٩/ ١١٢).

## موضع الجنة

**المسألة الخامسة: الجنة في السماء** كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[المطففين: ١٨] يعني: الجنة، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.(١) **والصحيح أنَّها فوق السماء السابعة**(٢)، وسقفها عرش الرحمن(٣)، والدليل على هذا قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[النجم: ١٣ - ١٥]، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**هي التي يصير إليها المتقون**»(٤)، **وسدرة المنتهى في السماء السابعة**، كما جاء في حديث الإسراء والمعراج.(٥)



---

١- انظر «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٢).

٢- انظر «موسوعة العقيدة» (٢/ ٩٠٠-٩٠١)، فمنها استفدت هذا البحث.

٣- وسيأتي الحديث قريبا -إن شاء الله تعالى-.

٤- «تفسير القرطبي» (١٧/ ٩٦). وانظر «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٩٩).

٥- عند البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

## هذه الأمة أول من يدخل الجنة

**المسألة السادسة:** أوَّلُ من يستفتح باب الجنة هو النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ [١]، والدليل على ذلك قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أنا أكثرُ الأنبياء تَـبَعا يومَ القيامة، وأنا أوَّلُ مَن يَقْرَع باب الجنة**» [٢]، وفي لفظ آخر قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**آتِي باب الجنة يومَ القيامة فأَسْتفْتِحُ، فيقول الخازِنُ: مَن أنت؟ فأقول: مُحَمَّدٌ، فيقول: بك أُمِرْتُ لا أفتَحُ لأحد قَبلَك**» [٣].

**المسألة السابعة: أوَّلُ الأمم دخولا للجنة هي أمته** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**نحن الآخِرون الأوَّلون يومَ القيامة، ونحن أوَّلُ مَن يدخُل الجنَّة**» [٤].

---

١- وتقدَّم هذا عند الكلام على الشفاعة.

٢- رواه مسلم (١٩٦).

٣- رواه مسلم (١٩٧).

٤- رواه مسلم (٨٥٥).

## أعلى النعيم النظر إلى وجه الله الكريم

**المسألة الثامنة: الجنَّة هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله الكريم**، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.[١]

وأدلَّة هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢]، أي: حَسَنَة جميلة من النعيم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[الإنسان: ١١]، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٣].

قال الحسن البصري: «**تنظر إلى الخالِق، وحُقَّ لها أن تُنضَر وهي تَنظُر إلى الخالق**»[٢]، ونظيره قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[المطففين: ٢٢ - ٢٤].

وقال المزني[٣]: «**فوُجُوهُهم بكرامَتِهِ ناضِرَة، وأعيُنُهم بفَضله إليه ناظِرَة**».

وفي «نونية القحطاني»[٤]:

هـــم يَســـمعون كلامَـــه ويرَونـــهُ

والـــــمُقلَتان إليـــــه ناظِرتـــــانِ

---

١- انظر «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٦٦).

٢- «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٢).

٣- «شرح السنة» (ص ٨٢).

٤- (ص ٥٠).

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[يونس: ٢٦]، والحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، كما فسره بذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.[١]

وفي نظم أحمد بن مشرف الأحسائي لمقدّمة «رسالة ابن أبي زيد القيرواني»[٢]، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وجنَّـــة الخُلــــد لا تفنـــى وســـــاكنُها
مخلَّـــدٌ لـــيس يخشـــى المـــوتَ والكِـــبرَا

أعـــــــدَّها اللهُ داراً للخلـــــــود لِمَـــــــن
يخشـــى الإلَـــهَ وللنَّعمـــاء قـــد شَـــكَرَا

وينظـــــرون إلـــى وجـــه الإلَـــه بهـــا
كمـا يَـرى النـاسُ شـمسَ الظهـر والقمَـرَا

وعن جرير بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: كُنَّا جُلُوسًا عند رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، إذْ نَظَرَ إلى القَمَر ليلةَ البَدْر، فقال: «**أَمَا إِنَّكُمْ سترَوْنَ رَبَّكُمْ**

---

١- كما في «صحيح مسلم» (١٨١). وانظر «جامع ابن أبي زيد القيرواني» (ص ١٠٩)، و«أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ١٢١-١٢٧).

٢- «عقيدة السلف، مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة» (ص ٦٧).

**كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ في رُؤيَتِه، فإن اسْتَطَعْتُمْ أنْ لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قَبلَ طُلوعِ الشَّمس، وقَبْلَ غُرُوبِها»** -يعني العصرَ والفجرَ-، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].(١)

**ومعنى:** «**لَا تُضَّامُونَ**»: بالتَّشديد، أي: لا تجتمعون لرؤيته في جهة، ولا يَنضَمُّ بعضُكم إلى بعض لوضوح الرؤية.

وفي روايات أخرى في «الصحيح»: «**هَلْ تُضَارُّونَ**»: من الضَّرر، أي لا يضر بعضُكم بعضا بمنازعة أو جدال أو بحجب عن الرؤية، أو حين تتضارُّون بالتزاحم للتأكد من الرؤية.

وروي: «**هَلْ تُضَامُونَ**»: من الضَّيم، وهو الظلم، فلا تُظلمون فيه برؤية بعضِكم دون بعض.

وروي: «**هَلْ تُضَاهُونَ**»: أي لا يشتبِه عليكم ولا تَرتابون فيه فيعارضَ بعضُكم بعضا.(٢)

---

١- رواه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣)، بألفاظ متعددة.

٢- انظر: «فتح الباري» (ط. دار السلام) (١١/ ٥٤٣-٥٤٤، ١٣/ ٥٢٦، مع تعليق الشبل عليه، و«الفتاوى» (١٦/ ٨٥-٨٦).

وأحسن ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله:[١]

وقُـــلْ يَتَجلَّـــى اللهُ للخَلْـــقِ جَهْـــرةً كمـــا البـــدْرُ لا يَخفـــى ورَبُّـــكَ أَوْضَـــحُ

ولـــيسَ بمْولُـــودٍ ولـــيسَ بوالِـــدٍ ولـــيسَ لـــهُ شِـــبْهٌ تَعَـــالَى المسَـــبَّحُ

وقـــد يُنكِـــرُ الجَهْمِـــيُّ هَـــذا وعِنـــدَنَا بـــمِصْدَاقِ مـــا قُلْنَـــا حَـــدِيثٌ مُصَـــرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيـــرٌ عـــن مَقـــالِ مُحمَّـــدٍ فقُـــلْ مِثْـــلَ مـــا قـــد قـــالَ في ذاكَ تَـــنْجَحُ

وفي «الصحيح»[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّاسَ قالوا: يا رَسُولَ الله هل نَرى رَبَّنا يومَ القيامة؟ فقال: «**هل تُمارُون في القَمَر ليلةَ البَدْرِ ليس دُونَه سَحَابٌ**» قالوا: لا يا رَسُولَ الله، قال: «**فهل تُمارُونَ في الشَّمْسِ ليس دُونَهَا سَحابٌ**» قالوا: لا، قال: «**فإنَّكُمْ تَرَوْنه كذلك**».

---

١- انظر «مختصر نهج الاقتصاد» للمؤلف (ص ٢٥-٣٢).

٢- البخاري (٨٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٨٢).

وهذا تَشبيهٌ للرُّؤية بالرُّؤية لا للمَرئي بالمَرئي، فإن الله سُبحانه لا سَمِيَّ ولا مَثيلَ ولا كُفْءَ له.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**قد يُخيَّل إلى بعض السامعين أن الكافَ كافُ التشبيه للمَرئي، وإنما هي للرؤية، وهي فعل الرائي**، ومعناه: أنكم ترون ربكم رؤيةً يَنزاح معها الشكُّ، كرؤيتكم القمر ليلة البدر، لا ترتابون فيه ولا تمترون». انتهى.

قال حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سلم الوصول»[2]:

وإنَّـــــهُ يُـــــرَى بِـــــلَا إنْكَـــــارِ
في جَنَّـــــةِ الْفِـــــرْدَوْسِ بِالْأَبْصَـــــارِ
كُـــــلٌّ يَـــــرَاهُ رُؤْيَـــــةَ العِيَـــــانِ
كَمَـــا أَتَـــى فِـــي مُحْكَـــمِ الْقُـــرْآنِ
وفي حَـــــدِيثِ سَـــــيِّدِ الأَنَـــــامِ
مِـــنْ غَيْـــرِ مَـــا شَـــكٍّ ولَا إِيهَـــامِ

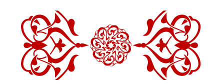
١- «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٠٢).

٢- «معارج القبول» (١/ ٣٠٥).

رُؤْيَـــــةَ حَـــــقٍّ لَـــــيْسَ يَمْتُرُونَهـــــا

كالشَّـــمْسِ صَـــحْوًا لا سَـــحَابَ دُونَهَـــا

اللهم إني أسألك لذَّةَ النظر إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك، في غير ضراءَ مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.[١]



١- هذا جزء من دعاء نبوي عظيم، رواه النسائي (١٣٠٥) عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «تخريج الكلم الطيب» (١٠٦)، وشرحه الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة مفردة، طُبعت مع «مجموع رسائله» (١/ ١٥١).

وانظر «رؤية الله» للدارقطني (١٥٨).

## صفة الجنة وما أعدَّ الله لأهلها من الثواب

**المسألة التاسعة:** ذكر الله أوصاف الجنَّة مبسوطاً مفصَّلاً في كثير من الآيات، وأطلقه معمَّماً شاملاً في آيات، مثل قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٥]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[الزخرف: ٧١]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[الزمر: ٧٤]، إلى غير ذلك من الآيات العامَّة الشَّاملة لنعيم الأبدان، وسرور الأرواح، وأفراح القلوب، وشهوات النفوس، ممَّا لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

**ووصَف نعيمها مفصَّلاً**، فتقدَّم[1] ذِكرُ رؤية الباري الذي هو أعلى نعيم يحصل لأهل الجنَّة، والتمتُّع بلقائه ورضوانه، وسماع كلامه وخطابه.

**وأخبر تعالى أنَّ جميع أصناف الفواكه الموجودة في الدنيا موجودٌ في الجنَّة** ما يشبهها في الاسم فقط، لا في الحُسن واللذَّة وطِيب الطَّعم والتَّنعُّم بتناوله، وفيها أشياء ليس لها في الدنيا نظير، ولهذا قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[الرحمن: ٥٢]، وقال سبحانه: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا

---

١- في المسألة الثامنة.

يَشۡتَهُونَ ﴾[الواقعة: ٢٠ - ٢١]، وذُلِّلت قطوفُها أي ثمارها تذليلاً، وقال جلَّ شأنُه: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾[الرحمن: ٥٤]، يتناوله القائم والقاعد والماشي وعلى أيِّ حال.

**وذكر** سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ **أنَّ أنهارها تجري من تحتهم**: أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغيَّر طعمه، وأنهار من خمر لذَّة للشَّاربين، وأنهار من عسل مصفًّى، ولهم فيها من كلِّ الثَّمرات.

**ووصف** جَلَّ جَلَالُهُۥ **فُرُشَهم** بأنَّ بطائنها من إستبرق وهو أعلى أنواع الحرير، وهذا الباطن، فكيف بالظاهر؟!

**ولباسهم فيها الحرير،** وحُليُّهم الذهب والفضة واللؤلؤ وأنواع الجواهر الفاخرة، وذلك شامل لذُكورهم وإناثهم.

**ووصف سبحانه أنَّ أزواجَهم الحور العين خيِّرات الأخلاق، حِسان الأوجه،** جمع الله لهنَّ بين الحُسن والجمال الباطن والظاهر، كأنَّهنَّ الياقوت والمرجان من حُسنِهنَّ وصَفائهنَّ، وأنَّهنَّ عُرُب متحبِّبات إلى أزواجهنَّ بحُسن التبعُّل، ولُطف الآداب، وحُسن الحركات والألفاظ الرقيقة والحواشي المليحة.

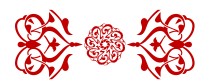
**وأنَّهنَّ أبكارٌ أترابٌ في غاية سِن الشباب وقوَّته،** وفي كمال الصفاء بينهنَّ وعدم التباغض، بل نزع الغِلَّ من صدور جميع أهل الجنَّة، إخواناً على سُرُرٍ

متقابلين، وأنَّهنَّ مطهَّراتٌ من جميع الآفات، مطهَّراتٌ من الأدناس الحِسِّية والأدناس المعنويَّة، كامِلاتٌ مكمَّلاتٌ، وأنَّهنَّ قاصرات طَرْفُهنَّ على أزواجهنَّ من حُسن أزواجهنَّ وعفتهنَّ، قاصراتٌ طَرْفَ أزواجِهنَّ عليهنَّ من جمالهنَّ الفائق الذي لا يبغي بعلُها بها بدلاً، ولا يقول لو أنَّ هذا الوصف أكملُ من هذا، لأنَّه يرى ما يحيِّر لُـبَّه، ويُذْهِل عَقلَه من الحُسن الباهِر، والبَهاء التَّام الظاهر.

**وأنَّهم في الجنَّة متَعاشِرون مع أحبابهم وأصحابهم،** يتزاورون ويتطارَحون الكلام الطيِّب، والأحاديثَ الشائقة، ويتذاكَرون نِعَم الله وآلاءه عليهم، سابقاً ولاحقاً، ويسبِّحون الله بُكرَةً وعشياً، وأنَّ الله نزَّهَهم من البَول والأدناس، وكلِّ ما لا تشتهيه النفوس، بل طعامُهم وشرابُهم يخرُج عَرَقاً أطيبَ من المسك الأذْفَر، وأنَّ الله جمَع بينهم وبين من صَلُحَ من آبائهم وأمهاتِهم وأولادهم وزوجاتِهم ليَتمَّ نعيمُهم، ويَكمُل سرورُهم.

وهذه الآية تجمع كلَّ نعيم تتعلق به الأماني، وتطلبه النفوس، وهي قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾[الرحمن: ٤٨]، وهي جمع فنٍّ، لا جمع فِنَن، أي كلُّ نوع وجنس من النَّعيم والسرور موجود فيهما، حاصل على أكمل الوجوه

وأتـمِّها، وتمام ذلك الخلود الدايم، والنعيم المستمِر، والأفراح المتواصلة التي تزداد على الدوام. [١]



١- انظر «فتح الرحيم الملك العلام» لابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٦٥-٦٧).

## إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس

**المسألة العاشرة:** ينبغي للمسلم أن يسأل اللهَ الفردوسَ الأعلى من الجنة، لما جاء في «صحيح البخاري»[1] أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**فإذَا سَأَلْتُمُ الله، فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإِنَّهُ أَوْسَطُ الجنَّة وأَعلَى الجَنَّة، فَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أَنهَارُ الجنَّة**».

**وبعض العوامِّ يقول:** «أنا راض بأقل درجة في الجنة!؟»، فهذا من ضعف الهمة، مع ما فيه من الجهل بالله، فإنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ لا مُمسِك لرحمته، ولا رادَّ لفضله، ومَن رضي بالقليل يوشِك أن ينالَه، والعكس كذلك.

فطعـــــمُ المـــــوت في أمـــــرٍ حقيـــــرٍ
كطعـــــم المـــــوت في أمـــــرٍ عظـــــيمِ

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «**مَن أعملَ فِكرَه الصافي دَلَّه على طَلَب أشرف المقامات، ونَهاه عن الرِّضا بالنَّقص في كل حال**».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «والإنسان يُحشر ومعه تلك الهمة، فيُعطى على مقدار ما حصَّلت في الدنيا، **فكما لم تَتُق إلى الكمال وقَنعت بالدون، قَنعت في الآخرة بمثل ذلك**». انتهى.

---

١- «صيد الخاطر» (ص ١٧٣). وانظر منه (ص ٣٢١).

٢- (٢٧٩٠).

فمـــا ظفَـــرَت بالوَصـــل نفـــسٌ مَهينـــةٌ

ولا فـــاز قلـــبٌ بالبِطالـــة يَـــنْعَمُ

ولهذا، لَمَّا سَمَت هِمَّةُ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى تكميل مراتب الإيمان، طَمَعت نفسُه أنْ يُدْعَى من أبواب الجنَّة الثمانية.

فلما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة**»، الحديث، قال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعِي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها، فقال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**».[2]

وذكر ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ في فوائد هذا الحديث:[3]

- أنَّ أعمالَ البِرِّ لا يُفتح في الأغلب للإنسان الواحد في جميعها.
- وأنَّ مَن فُتح له في شيء منها حُرِم غيرَها في الأغلب.
- وأنَّه قد تُفتح في جميعها للقليل من الناس.

=

١- نفس المصدر (ص ٣٢١). وانظر «رسائل الإصلاح» للخضر حسين (٢/ ٨٧).

٢- رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧)، ومالك في «الموطأ» (٤٩).

٣- «التمهيد» (٧/ ١٨٤-١٨٥).

- **وأنَّ أبا بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من ذلك القليل.**

ولما ساق ابن القيم هذا الحديث، قال رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «**فلِلَّه ما أعلى هذه الهمة، وأكبرَ هذه النفس**». انتهى.

وفي «النونية»[٢]:

ولســـوف يُـــدعى المـــرءُ مِـــن أبوابهـــا
جَمعًـــا إذا وَفَّـــى حُلَـــى الإيمـــانِ

مـــنهُمْ أبـــو بكـــرٍ هـــو الصِّـــدِّيقُ ذا
كَ خَلِيفـــةُ المَبعـــوثِ بـــالقرآنِ

---

١- «حادي الأرواح» (ص ١٠٩). وانظر فصلًا طويلا في علو الهِمَّة في آخر كتابي «سبيل النجاة في فضائل العلم والعمل».

٢- (ص ٣١٠).

## من دخل الجنة رضي بمنزلته فيها

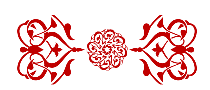
المسألة الحادية عشرة: **إذا دخل المؤمنُ الجنة أرضاه اللهُ بما بلغ من المنازل، وظنَّ أنْ لا أنعَمَ من المكان الذي هو فيه نازل**، ولهذا لا تتُوق نفسُه إلى الانتقال، والتغيُّر عن تلك الحال، وهذا مصداق قول الله ذي الجلال:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾[الكهف: ١٠٨].

وهذا من المواطن التي جال فيها فكرُ الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولهذا يقول[1]: «تأمَّلت حالة عجيبة، وهو أنَّ أهلَ الجنة الساكنين في أرضها في نَقْص عظيم بالإضافة إلى مَن فوقَهم، وهم يعلمون فضل أولئك، فلو تفكَّروا فيما فاتَهم من ذلك وقعت الحسَرات، غير أنَّ ذلك لا يكون، لأنَّ ذلك لا يقع لهم لطيب منازلهم، ولا يقع في الجنة غمٌّ، **ويرضى كلٌّ بما أعطي من وجهين:**

**أحدهما**: أنه لا يَظُن أنْ يكون نعيمٌ فوق ما هو فيه، وإنْ علَت منزلةُ غيره.

**والثاني**: أنه يُـحَبَّبُ إليه، كما يُـحَبَّبُ إليه ولدُه المستوحَش الخِلقة، فإنه يؤثره على الأجنبي المستحسَن». انتهى.



---

١- «صيد الخاطر» (ص ٣٢٠-٣٢١).

# النار: دار الحسرة والندامة

تقدَّم فيما ما مضى من مباحثَ أنَّ مَن لم يمر على الصراط دخل النار، وكان مِن أهل الشقاء والبَوار.

**والكلام على النار** –أعاذني الله وإياكم منها– **في مسائل:**

## حقيقة النار وأدلتها

**المسألة الأولى: النار: لغة:** معروفة، وأصلها يدل على الاضطراب وقلة الثبات وسرعة الحركة[1]، وتطلق على اللهيب، والحرارة المجرَّدة، ونار جهنَّمَ، ونار الحرب[2]، **وشرعا** هي: دارُ الحسرة والندامة، التي أعدَّ اللهُ لأعدائه يومَ القيامة.

**المسألة الثانية:** أدلَّة إثبات النار وحقيقتها وأوصافها وما أعدَّ الله فيها لأهلها من ألوان العذاب، أمر لا يخفى على أحد، وأدلته كثيرة في الكتاب والسنة، ومن ذلك قول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٨١]، وقوله: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوۡ

---

١- انظر «مقاييس اللغة» (٥/ ٣٦٨).

٢- انظر «المفردات» (ص ٨٢٨).

تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأنعام: ٢٧]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴾[غافر: ٧٠ - ٧٢]، أي: يُحرَقُون في النار، ويُوقَدُ عليهم فيها، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٩]، وقوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[الأعراف: ٥٠]، والآيات في هذا الباب لا تحصى كثرةً، ومن قرأ كتاب الله من أوَّله إلى آخره وجده إما بيانًا لأسماء وصفات وأفعال الموحَّد -وهو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ-، وإما دعوةً إلى توحيده وإفراده بالعبادة، وإما إخبارًا عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، **وإما خبرًا عمَّن خرج عن حكم التوحيد مِن أهل الشرك، وما فعل الله بهم في الدنيا من النَّكال وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب.**[1]

---

١- انظر «مدارج السالكين» (٣/ ٤١٧-٤١٨) (٣/ ٤٤٧)، و«منهاج السنة» (٥/ ٣٤٧)، و«الفتاوى» (٢٠/ ٤٥٦) (٢٧/ ٣٦٦).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما رأيتُ مِثلَ النَّار نام هارِبُها، ولا مِثلَ الجنَّة نام طالِبُها**».[1]

وتقدَّم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأنَّ النار حقٌّ**».[2]

---

١- رواه الترمذي (٢٦٠١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٣).

٢- رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

## النار مخلوقة موجودة الآن ولا تفنى أبدا

المسألة الثالثة: النار مخلوقة موجودة الآن بنصِّ الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[الفرقان: ١١]، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإنسان: ٣١]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[النبأ: ٢١ - ٢٢]، فهي معدَّةٌ لأعداء الله تعالى، مُرصَدةٌ لهم.[1]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤]: «وفي هذا دليل على ما يقوله أهل الحق من أن النار موجودة مخلوقة، خلافا للمبتدعة في قولهم: إنها لم تخلق حتى الآن». انتهى.[2]

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّار، قال: يا جبريلُ، اذهب فانظُر إليها، فذهب فنَظَر، فقال: يا رَبِّ، وعِزَّتِك يَسمَعُ بها أحَدٌ فيدخُلُها، فحَفَّها بالشَّهوات، ثُمَّ قال: يا جبريلُ،**

---

١- انظر «معارج القبول» (٢/ ٨٦٠).

٢- «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٣٦).

اذهب فانظُر إليها، فذهب فنَظَر، فقال: يا رَبِّ، وعِزَّتِك لقد خَشِيتُ أنْ لا يَبْقَى أحَدٌ إلَّا دخَلَها».[1]

وعلى هذا أجمع أهلُ الحق -خلافًا لأهل البدع-، كما حكاه جماعة، كأبي الحسن الأشعري[2]، وابن عبد البر[3]، وغيرهما.[4]

المسألة الرابعة: النَّار لا تفنى، وعذاب الكفار فيها أبديٌّ سَرمَدِيٌّ، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[فاطر: ٣٦]، ولهذا يستغيثون بخزنة النار كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٩]، فترد عليهم قائلة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾[غافر: ٥٠]، فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[الزخرف: ٧٧]، فهم في حالهم ذلك

---

١- رواه أحمد (٨٦٤٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، وغيرهم، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٦٩٦).

٢- انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٢٩) (٢/ ٣٥٥).

٣- انظر «التمهيد» (٥/ ١١)، و«الاستذكار» (٣/ ٨٦).

٤- انظر المسألة الثالثة عند الكلام على «الجنة».

يرَون موتَهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾[الزخرف: ٧٤ - ٧٥]، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾[النساء: ٥٦]، ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾[ النبأ: ٣٠]، وهذا جزاء كلِّ مَن كفر بربه وكذَّب بالحق، ولهذا ختَمها سُبحانه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾[فاطر: ٣٦]. [١]

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما في «صحيح مسلم»[٢]-: «**أمَّا أهلُ النَّار الَّذين هُم أهلُها، فلا يَمُوتُون فيها ولا يَحيَوْن**»، لأنَّ عذابَهم للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص.

واعلم -عفاك الله من حال أهل النار- أنَّ الكفارَ لو عُمِّرُوا في الدنيا بلا حَد، لما تابوا عمَّا نُهوا عنه إلى الأبد، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام: ٢٨]، فكذلك استحقوا عذابًا دائِمًا، كما أنَّ كُفرَهم دائم لو خُلِّدوا في الدنيا، والجزاء من جِنس العمل، ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[الكهف: ٤٩]. [٣]

---

١- انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ١١٧)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٥٢).

٢- مسلم (١٨٥).

٣- انظر «دفع إيهام الاضطراب» (ص ٩٣-٩٧).

=

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**اتفقت فرقُ الأمة كلُّها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها**، إلا جهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف [المعتزلي]، وقوما من الروافض». انتهى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**أجمع أهل السنة على أنَّ أهلَ النار مخلَّدون فيها غيرُ خارجين منها**، كإبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وكل من كفر وتكبَّر وطغى». ثم قال: «**وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن، ولا يخلَّد إلا كافر جاحد**». انتهى.

=

وفي كتاب «مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين» (ص ٥١-٦١) مساجلة علمية بين العلامتين محمد الأمين الشنقيطي ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله حول هذا الموضوع، انتهت برجوع الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى القول بأبديَّة النار.

وشكَّك جماعة مِن أهل العلم في صحة هذه القصة، واستدلَّوا على ذلك بما ورد في المناظرة من عبارات مستغرَبة، وأقوال لا تصح نسبتُها لأهلها.

والذي يهمني في هذا المقام ما أورَد العلامة الشنقيطي من أدلة على ما أجمع عليه العلماء من القول بأبديَّة النار، ودوام عذاب أهلها فيها، وهذا موافق لما ذكره في كتابه «دفع إيهام الاضطراب».

١- «الفصل» (٤/ ٦٩-٧٠).

٢- «التذكرة» (ص ٩٢٠). وانظر «موسوعة العقيدة» (٦/ ٢٩٢١-٢٩٢٣).

وفي «نونية» القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

والجنَّـــــة العُلْيـــــا ونـــــارُ جهـــــنَّمَ

داران للخَصـــــــــــمَين دائمتـــــــــانِ

١- (ص ٢٤).

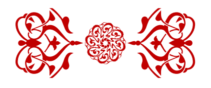
## موضع النار

**المسألة الخامسة: اختلف أهل العلم في مكان النار** -بعد أن اتفقوا على وجودها الآن- **على أقوال:** [١]

- **فقال بعضهم:** هي في السماء.
- **وتوقَّف جماعة،** لعدم وجود نص صحيح صريح يحدِّد موقعها.
- **وقال آخرون:** هي في الأرض السفلى.

واستُدِلَّ لهذا القول الأخير بأنَّ الله تعالى أخبر أن الكفار يُعرَضون على النار غدواً وعشياً -يعني في مدة البرزخ-، وأخبر أنه لا تُفَتَّح لهم أبواب السماء، فدل هذا على أنَّ النار في الأرض.

ويؤيِّدُه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[المطففين: ٧]، وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -الذي تقدَّم معنا[٢]- يقول قال تعالى عن روح الكافر: «**اكتُبوا كتابَه في سِجِّين في الأرض السُّفلى**». [٣]



---

١- انظر «موسوعة العقيدة» (٦/ ٢٩٢١).

٢- في المسألة الثالثة عند الكلام على «عذاب القبر ونعيمه».

٣- انظر «التخويف من النار» (ص ٦٣).

## لا يبقى في النار موحِّد

المسألة السادسة: **تظافرت النصوص في إخراج الموحِّدين من النار، وعلى هذا أجمعت الأمة**[١]، خلافا للوعيدية من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار. [٢]

**فمهما عُذِّب المُوَحِّدُ في النار بسبب ذنوبه، فإنه لا مَحالةَ خارِجٌ منها،** لأنَّ من مات على التوحيد، حُرِّمت عليه النار، **إما تَحريما أبديا،** إنْ حقَّق التوحيد كما يحب اللهُ ويرضى، **وإما تحريمًا أمديا،** إنْ اكتسبَ معه سيئاتٍ رجَحت على حسناتِه.

وعلى هذا حَمَلَ كثيرٌ من أهلِ العلم قولَه تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[هود: ١٠٦ - ١٠٧]، وهو أنَّ الاستثناءَ المذكور في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ عائدٌ على العُصاة مِن أهل التوحيد، ممن يُخرِجُهم اللهُ من النار بشفاعة الشافعين [٣]، ثم تأتي رحمةُ أَرحمِ الراحمين، فيُخرجُ اللهُ من النار مَن لم يَعملْ خيرًا قَطُّ، وقال يومًا من الدهر: «لا إله إلا الله»، كما

---

١- انظر «التذكرة» (ص ٩٢٠).

٢- انظر تفصيل ذلك في كتابي «مختصر نهج الاقتصاد» (ص ٨٢-٩١).

٣- وتقدَّم تفصيل ذلك عند الكلام على «الشفاعة» وما تعلَّق بها مِن مباحث.

وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[١]

وفي «الصحيحين»[٢] قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا فَرَغَ اللهُ مِن القَضاء بينَ العِباد، وأرادَ أنْ يُخْرِجَ برَحمَتِه مَن أرادَ مِن أهلِ النَّار، أمَرَ الملائكةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعالَى أن يَرحَمَه مِمَّن يقول: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فيَعْرِفونَهم في النَّار، يَعْرِفونَهم بأثَرِ السُّجود، تَأْكُلُ النَّارُ مِن ابنِ آدَمَ إلَّا أثَرَ السُّجود، حرَّمَ اللهُ على النَّار أن تأكُلَ أثَرَ السُّجود، فيُخْرَجون مِن النَّار وقد امْتَحَشُوا، فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياة، فيَنْبُتُون منه كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيل السَّيل**».

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيَنْبُتُون منه كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيل السَّيل»، أي: يَنبُتون بسببه.

وأما «الحِبَّةُ» بكسر الحاء، فهي بِزْرُ البُقول والعُشْب تنبت في البَراري وجَوانِب السُّيُول، مما ليس بقوت، وجمعها حِبَبٌ بكسر الحاء[٣].

---

١- انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٥١-٣٥٢).

٢- البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

٣- أما الحَبَّةُ: بفتح الحاء، فهي البذور التي تُبذَر في الأرض. ويُطلقُ على الحِنطة والشعير. انظر «مشارق الأنوار» (١/ ١٧٤)، و«صحيح الترغيب» (٣/ ٤٣٢).

وأما «حَمِيل السَّيْل»، هو الزَّبَد، وما يلقيه على شاطئه، أي: ما جاء به السَّيلُ مِن طينٍ أو غُثاءٍ، ومعناه: محمولُ السَّيل.

فإذا اتفقت فيه حِبَّةٌ واستقرَّت على شط مجرى السَّيل، فإنها تنبت في يوم وليلة.[١]

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**وتشبيهه نباتهم بنبات الحِبة لوجهين:**

- **أحدهما**: بياضُها، كما ذُكر في الحديث فيهم وفيها (كاللؤلؤ).
- **والثانية**: سرعة نباتها، لأنها تنبُت في يوم وليلة، لأنها لما رُوِيت من الماء وخرجت إلى طين الشط في حميل السَّيل غَرَزت عُروقَها فيه لحينها، ونبَتَت بسرعة». انتهى.

وفي «حائية» ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله:[٣]

وقُـــلْ يُخْـــرِجُ اللهُ العَظـــيمُ بفَضـــلِهِ

مِـنَ النـارِ أجْسـادًا مِـنَ الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

علـى النَّهــرِ في الفِــردوسِ تَحْيـا بمائـهِ

كَحِـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إذ جَـاءَ يَطْفَـحُ

---

١- انظر «شرح مسلم» (٣/ ٢٣)، و«النهاية» (١/ ٤٤٢).

٢- «مشارق الأنوار» (١/ ١٧٥)، باختصار.

٣- انظر «مختصر نهج الاقتصاد» للمؤلف (ص ٦٩-٧٣).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «حتَّى إذا خلَص المؤمنون مِن النَّار، فوالذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشدَّ مُناشدَةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النَّار، يقولون: رَبَّنا كانوا يصومون معنا ويُصلُّون ويحُجُّون، فيُقال لهم: أخرِجوا مِن عرَفتم، فتُحَرَّمُ صورُهم على النَّار، فيُخرِجون خَلْقا كثيرا قد أخذَت النَّارُ إلى نصفِ ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: رَبَّنا ما بقي فيها أحدٌ ممَّن أمرْتَنا به، فيقول: ارجِعوا فمَن وَجدتم في قلبه مِثقالَ دينار من خير فأخرِجوه، فيُخرِجون خَلقا كثيرا، ثم يقولون: رَبَّنا لم نذَرْ فيها أحدًا ممَّن أمرْتَنا، ثم يقول: ارجِعوا فمَن وَجدُتم في قلبه مِثقالَ نصفِ دينار مِن خَير فأخرِجوه، فيُخرِجون خَلقا كثيرا، ثم يقولون: رَبَّنا لم نذَرْ فيها ممَّن أمَرتَنا أحدًا، ثم يقول: ارجِعوا فمَن وَجدُتم في قلبه مِثقالَ ذَرَّةٍ مِن خَير فأخرِجوه»، الحديث.[1]

---

١- رواه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ له.

## حال عصاة الموحِّدين يختلف عن حال الكفار في النار

**المسألة السابعة: حال عُصاة الموحِّدين الذي استوجَبوا دخولَ النار يختلف عن حال الكفار** الذين هم أهلها والمحكوم عليهم بالخلود فيها، **وذلك أنَّ أهل التوحيد** -والله أعلم-: [١]

- لا يُسَوَّد لهم وجه، ولا تزرَقُّ لهم أعيُن.
- ولا يُلقَون في النار على وجوههم، كما يُلقى الكفار.
- ولا تمسُّ النار منهم مواضعَ السجود.
- ولا يقرَّنون بالشياطين، ولا يغلون بالسلاسل.

**وهذا كلُّه من فضائل التوحيد، ومنابذة الإشراك والتنديد،** فإنَّ المؤمن الموحِّد -وإن بلَغت ذنوبُه الجبال-، فإنَّه لا يُخلَّد في النار باعتبار المآل، وإن عُذِّب فيها باعتبار الحال.

يقول ابن القيم[٢]: «**فلا يُلقي في الكُرَب العِظام إلَّا الشرك، ولا يُنجي منها إلا التوحيد**». انتهى.

---

١- انظر «التذكرة» (ص ٧٩١-٧٩٣)، و«التخويف من النار» (ص ٢٥٥، وما بعدها)، و«البدور السافرة» (ص ٣٣٢)، و«البحور الزاخرة» (٣/ ١٤٥٣، وما بعدها).

٢- «الفوائد» (ص ٥٣).

ومن جميل الشعر قولُ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنْ كُنـــتَ تَغـــدو في الـــذُنوبِ جَليـــداً
وتَخـــافُ في يَـــومِ المَعـــادِ وَعِيـــدَا
فلَقَـــد أتـــاكَ مِـــنَ الـمُـــهَيمِنِ عَفـــوُهُ
وأَفـــاضَ مِـــن نِعَـــمٍ عَلَيـــكَ مَزيـــدَا
لـــو شـــاءَ أنْ تَصـــلى جَهَـــنَّمَ خالِـــداً
مـــا كـــان أَلهَـــمَ قَلبَـــكَ التَّوحيـــدَا

قال عمر بن ذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لي في ربي جلَّ وعزَّ أمَلين: أملًا ألَّا يعذِّبَني بالنار، فإنْ عذَّبَني لم يخلِّدْني فيها مع مَن أشرَك به»، ولهذا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا تلا: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[النحل: ٣٨] قال: «ونحن نُقسِم بالله جَهدَ أيماننا ليَبعَثَنَّ اللهُ مَن يموت، أتُراك تَجمَع بين القَسَمين في دار واحدة؟».[١]

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**ومن لم يُحرِق اليوم قلبَه بنار الأسف على ما سلف، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشد حرًّا.**

---

١- رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١٥-١٦).

٢- نفس المصدر (٣/ ٦٥).

**ما يحتاج إلى التطهير بنار جهنم إلا من لم يُكمِّل تحقيقَ التوحيد والقيام بحقوقه»**. انتهى.

**فإنَّ اللهَ خلَقَ النَّارَ مِن أجل إذابة القلوب القاسية[١]، غير أنَّ نجاسة الشرك لا تطْهرُ مهما طال مُكثُ صاحبِها في النار**، ولهذا يبقى الكافرُ مخلَّدًا فيها، ولا يصير إلى الجنة أبدا، لأنَّها دارَ الطيِّب المَحض، ولا يدخُلها خبيث.[٢]

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن تكلم على شروط كلمة التوحيد-[٣]:

«**نار المحبة في قلوب المؤمنين تخاف منها نار جهنم**». انتهى.

وأحسن الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله[٤]: «ولا يؤْنِس في وَحْشَة القبر إلَّا العملُ الصَّالح، **ولا يُطْفِئُ لَهب النَّار إلَّا نورُ الايمان**، ولا يُثبِّت القَدَم على الصِّراط إلَّا الاستقامةُ في السُّلوك». انتهى.

وقال ابن رجب[٥]: «**نارُ جهنَّم تنطفىء بنور إيمان الموحدين**». انتهى.

**ومعنى هذا**: أنَّ المؤمن إذا قويت محبته لله، وعَظُمت استقامته على دين

---

١- «الفوائد» (ص ٩٧).

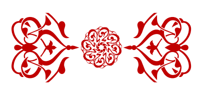
٢- انظر «الوابل الصيب» (ص ٢٠).

٣- «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٦٢٧).

٤- «التذكرة في الوعظ» (ص ١٩).

٥- «كلمة الإخلاص» ضمن الرسائل (٣/ ٦٦).

الله، واستنار طريقه بطاعة الله، لم تحرِقْه نارُ جهنَّم، **حتى إنَّ المؤمن لَيدخلُ إلى جهنمَ لِيَشفَعَ** في أصحابه ولا تمسُّه النار بسوء، **فتكونُ عليه برداً وسلاماً، كما كانت على إمام الحُنفاء إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بردًا وسلاما**.



## صفة النار وما أعدَّ الله لأهلها من العقاب

المسألة الثامنة: **وصَف اللهُ تعالى عذابَ النَّار وصِفَة أهلِها بأفْظَعِ الأوصاف**، وأنَّ اللهَ يجمَعُ لهم بين أصناف العِقاب، يُعذِّبُهم بالنَّار المُحرِقة التي تَطَّلع على الأفئدة، وكلَّما احترَقت جلودُهم بُدِّلوا جُلوداً غيرَها، ليُعادَ عليهم العذابُ ويذُوقوا شدَّتَه، وبالجوع المُفرِط والعطَش المُفرِط.

**فالجوع والعطَش، مِن أعظم العذاب والآلام**، وما يغاثُون به إذا طَلبوا الشَّراب والطَّعام عذابٌ أشدُّ وأفظع، فإنَّهم إذا استغاثوا للشَّراب أغِيثوا بماء كالمُهل يَشوي الوجوه، فلا يدَعُهم العطَشُ الشَّديد حتى يتناولوه، فيقطِّع منهم الأمعاء، ويستغيثون للطَّعام فيُؤتَون بالزَّقُّوم الذي حرارتُه أعظمُ مِن حرارة الرصاص المُذاب، وهي في غاية المَرارة وقُبح الريح، فيَغلي في بطونهم كغَلْيِ الحَميم.

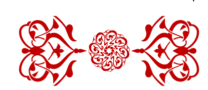
ويُسَلسَل المجرمون بسَلاسلَ مِن نار، وتُغَلُّ أيديهم إلى أعناقهم ويُسحَبون في الحَميم، ثم في النَّار يُسْجَرون.

**ويتردَّدون في عذابهم بين لَهب النَّار وحرارتها التي لا يمكن وصفُها، وبين بَرْد الزَّمْهَرير البارِد الذي يَكسِر العِظام مِن قُوَّة بَرْدِه.**

ويُجمَع لهم بين جميع ألوان العذاب، وبين اليأس من رحمته، وآخِرُ أمرِهم

العذابُ المؤبّد والشّقاء السّرْمَدي[١]، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[المائدة: ١٢١]، فما جَنَوْا إلا هذه البضاعةَ الكاسدة، والصفقةَ الخاسرة، وهي سخط الله الذي يَسخَط لسخطِه كلُّ شيء، والخلودَ الدائمَ في العذاب العظيم، فقد ظلمَتهم أنفسُهم حيث قدَّمت لهم هذا النُّزُلَ غيرَ الكريم، وقد ظلموا أنفسَهم إِذْ فَوَّتُوهَا النعيمَ المُقِيم.[٢]

اللهم أجِرنا مِن حالِهم ومآلهم يا رحمن يا كريم. آمين.



---

١- «فتح الرحيم الملك العلام» (ص ٦٤-٦٥)، بتصرف يسير.

٢- «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٢٤٠).

## أشد العذاب: حَجب الكفار عن رؤية ربِّ الأرباب

**المسألة التاسعة:** كما أن أهل الجنَّة يُنَعَّمُون بنِعَمٍ كثيرةٍ أعظَمُها: رُؤيةُ الله جَلَّجَلَالُهُ في الجَنة، فالكفارُ يُعذَّبون بألوانٍ من العذاب أشَدُّها عليهم: **حِجابُهم عن الله.**

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]: «**لما حَجَب أعداءَه فلم يرَوه، تَجلَّى لأوليائه حتى رأوْه**»، وقال الحسين بن الفضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لما حجَبَهم في الدنيا عن نور توحيده، حجَبهم في الآخرة عن رؤيته**».[١]

ويقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**وأعظمُ عذابِ أهلِ النَّار حِجابُهم عن الله ﷻ، وإبعادهم عنه، وإعراضُه عنهم، وسَخَطه عليهم**، كما أنَّ رضوان الله على أهل الجنة أفضلُ مِن كل نعيم الجنة، وتجَلِّيه لهم ورؤيتُهم إيَّاه أعظمُ مِن جميع أنواع نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[المطففين: ١٥ - ١٧]، **فذكر الله تعالى ثلاثة أنواع من العذاب:** حجابهم عنه، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم

---

١- انظر «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٦١).

٢- «التخويف من النار» (ص ١٩٥-١٩٦). وانظر «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٧)، و«مدارج السالكين» (٢/ ٨٠) (٣/ ١٥٦)، وكتاب «واسع المنة بالتعليق على شرح السنة»، للمؤلف.

بتكذيبهم به في الدنيا». انتهى.

**والتوبيخ والإبعاد من أشد أنواع العذاب،** ولهذا لو لم يكن للسَّكران إلا طردُه عن مُنَاجاة الرحمن، لكفاه بُعدا، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾[النساء: ٤٣].[1]

أعلَـــى النَّعـــيمِ نَعِـــيمُ رُؤيـــةِ وَجْهِـــهِ
وخِطابُـــــــهُ في جنَّـــــــةِ الحَيَـــــــوانِ

وأشَـــدُّ شـــيءٍ في العَـــذابِ حِجَابُـــهُ
سُـــــبحانهُ عـــــن سَـــــاكِني النِّيــــرَانِ

**المسألة العاشرة: من تأمَّل عذابَ أهلِ النار، وما أعدَّ الله لهم من الخِزي في دار البَوار،** واستحضَر أحوالَهم، وخَبِرَ سوءَ مآلِهم، وقام هذا الواعِظُ بقَلبه، **انخلَعَ من الذنوب والمعاصي،** واتباع الشهوات، ولَبِس ثيابَ الخوف والحذَر، وأخصَبَ قلبُه من مَطَرِ أجفانه، وهانَ عليه كلُّ مُصيبَةٍ تُصيبُه في غير دينه وقلبه.[2]

---

١- انظر «ذم الخمر» ضمن «رسائل ابن رجب» (١/ ٢٧٧).

٢- انظر «مدارج السالكين» (٣/ ٢٣٦). ولي كتاب بعنوان «تسلية المؤمنين بهوان مصيبة الدنيا عند سلامة الدين»: bit.ly/٣٩nsVt٥

## مسائل متفرقة

في نهاية هذه المباحث المتعلِّقة بالإيمان باليوم الآخر، أريد أن أنبِّه على عدَّة أمور، **وذلك مِن خلال هذه المسائل:**

### ترتيب ما يقع يوم القيامة

**المسألة الأولى: منازل يوم القيامة إجمالا هي:** البعث والنشور، ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العَرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين أو بالشمال، ثم السؤال والحساب، ثم الميزان. [1]

ويُخَصُّ المؤمنون بالمرور على الصراط ودخول الجنة، ويُلقى الكافرون في النار، والعياذ بالله مِن حال أهل البَوار.

**وأما تفصيل تلك المراتب، فالظاهر** -والعلم عند الله- **أنَّها كالتالي:** [2]

- إذا بُعث الناسُ وقامُوا من قبورِهم ذهبوا إلى أرض المَحشَر، ثم يقومُون بها قياماً طويلا، تَشتَدُّ معه حالُهم وظَمؤُهُم، ويخافون في ذلك خوفاً شديداً، لأجل طول المقام ويقينهم بالحساب، وما سيُجري اللهُ ﷻ

١- انظر «لوامع الأنوار» (٢/ ١٨٤).

٢- انظر «شرح الطحاوية» (٢/ ٢٢٨-٢٣٠)، و«اللآلئ البهية» (٢/ ٣٠٢-١٩٨) للشيخ صالح آل الشيخ في ، فقد أجاد -سدده الله-!

عليهم.

- فإذا اشتدَّ القيامُ لِرَبِّ العالمين في يوم كان مقدارُه خمسينَ أَلفَ سنة، رَفع اللهُ ﷻ لنبيه ﷺ حوضَه المَورُود، فيُسقى منه المُوحِّد المتَّبع لسنَّته، فيكونُ أَوَّلَ الأَمان له، ثم يُرْفَعُ لكل نبيٍّ حوضُه، فيُسْقَى منه صالحِو أُمَّتِه.
- ثم تكون شفاعة النبي ﷺ العُظمى، بأن يُعَجِّلَ اللهُ ﷻ حسابَ الخلائق.
- بعد ذلك يكون العَرض، أي: عَرضُ الأعمال العام.
- ثم تتطاير الصُّحُف، ويُؤْتَى أهلُ اليمين كتابَهم باليمين، وأهلُ الشِّمال -وهم الكفار والمنافقون- كتابَهم بالشمال مِن وراء ظهورهم.
- ثم يكون الحساب.
- ثم يكون الميزانُ، فيوزَن العمل، وصاحبه، وصحائف الأعمال.
- ثم يَنقَسم النَّاسُ إلى طوائفَ وأزواج، فكُلُّ صِنف مع نظيره، كما قال تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الصافات: ٢٢ - ٢٣]، فيُحْشَرُ المُشرِكون مع المشركين، والظَّلَمةُ مع الظَّلَمة، ومُنكِرو البَعث مع مُنكِري البَعث...، وهكذا.
- ثُمَّ تُضرَبُ الظُّلمة دون جهنَّمَ، فيَسيرُ النَّاسُ بما يُعْطَون مِن الأنوار،

فتَسيرُ هذه الأمة وفيهم المُنافقون، ثُمَّ إذا سارُوا على أنوارهم ضُرِبَ السُّورُ المذكور في آيات «الحديد»، فيُبْصِرُ المؤمنون طريقَ الصِّراط بما أعطاهم اللهُ من النور، وأمَّا المُنافِقُونَ فلا يُعْطَون نورًا يهتدون به، فيتهافَتُون مع الكفار في نار جهنَّم.

- ثم يأتي النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولاً، ويكونُ على الصِّراط، ويسأل اللهَ عَزَّ وَجَلَّ له ولأمته، فيقول: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»، فيَمُرُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتمُرُّ أمَّتُه على الصراط.
- يمُرُّ النَّاسُ بقَدْرِ أعمالهم، ومعهم مِن النور بقَدْر استقامَتهم، فينجُو مَن غفر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ له، ويسقُط في النار مِن طَبقة المُوَحِّدين مَن شاء الله جَلَّ جَلَالُهُ أن يُعَذِّبَه.
- ثم إذا انتهَى المؤمنون من النار اجتمعوا في عَرَصات الجنَّة، يعني في السَّاحات التي أعَدَّها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لكي يَقتصَّ أهلُ الإيمان بعضُهم مِن بعض، ويُنْفَى الغِلُّ مِن قلوبهم، حتى يَدْخُلُوا الجنَّةَ وقد صَفت محبَّتُهم فيما بينهم.
- أوَّلُ مَن يدخُلُ الجنَّة النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعدَه فقراءُ هذه الأمة، ويُؤَخَّرُ الأغنِياءُ لأجل محاسبتهم على أموالهم، إلى آخر ما يَحصُلُ في ذلك مما جاء في القرآن والسنَّة.

## شدة أهوال القيامة على الكافرين

**المسألة الثانية: يوم القيامة له أهوال**، وهي: الأمور الشديدة العِظام التي تقع بعد البعث.

يقول القحطاني في «نونيته»[١]:

يـــومُ القيامـــة لـــو علِمـــتَ بهَوْلـــه
لفَـــرَرتَ مِـــن أهـــلٍ ومِـــن أوطـــانِ

يـــومٌ تشَـــقَّقتِ الســـماءُ لهَوْلـــهِ
وتَشِـــيبُ فيـــه مَفـــارِقُ الوُلـــدانِ

وهذه الأهوال هي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[الأنبياء: ١٠٣]، كما قال ابن عطية الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**والفزَعُ الأكبرُ عام في كل هول يكون في يوم القيامة، فكأنَّ يومَ القيامة بجُملته هو الفَزَعُ الأكبرُ**، وإن خُصِّصَ بشيء مِن ذلك فيَجب أنْ يُقصد لأعظَمِ هوله، كالنفخة الآخرة في الصور، وذبح الموت، وغير ذلك مِن الأهوال العِظام». انتهى.

---

١- (ص ٢٤).

٢- انظر «زاد المسير» (٤/ ٣٩٥).

**وهذه الأهوال هي بالأساس على الكافرين**[١]، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾[النازعات: ٦ - ٨]، أي: شديدة الاضطراب لَمَا عاينَت مِن أهوال يوم القيامة، ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾[ النازعات: ٩]، أي: ذليلةٌ لمعايَنة النار. قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام**»، ويدل على هذا أنه ذَكَرَ منكري البعث، فقال ﷻ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾[النازعات: ١٠].[٢]

**وأما المؤمنون الطائعون الذين خافوا الجَليل في الدنيا**، فهؤلاء آمِنون مِن أهوال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[فصلت: ٤٠]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[النمل: ٨٩].

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «**واستدل بهذه الآية على أن أهوال القيامة تختص بالمجرمين**، لأنَّ المتقين من الابتداء يُحشَرون مكرَمين، فكيف ينالهم بعد ذلك

---

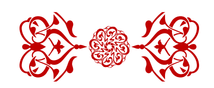
١- انظر «موسوعة العقيدة» (١/ ٤٣٩-٤٩٤).

٢- «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٢)، بتصرف. وانظر «التسهيل» لابن جُزي الغرناطي (٢/ ٢٩).

٣- «روح المعاني» (٨/ ٤٥١)، بتصرف يسير.

شدة ». انتهى.[١]

وفي الحديث القدسي يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**وعِزَّتي لا أجمَعُ على عبْدي خَوفين وأمنَين، إذا خافَني في الدنيا أمَّنتُه يومَ القيامة، وإذا أمِنَني في الدنيا أخَفتُه يومَ القيامة**».[٢]



١- انظر المسألة السابعة من مباحث «الحشر».

٢- رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٤٢، ٢٦٦٥).

## الإيمان باليوم الآخر إيمان بالغيب ومبناه على التسليم للعزيز الحكيم

المسألة الثالثة: **الإيمان باليوم الآخر إيمان بالغيب**، وهذا مبناه على التسليم لله، والاستسلام لشرعه وكتابه، والتصديق لرسوله الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله جلَّ وعلا في مطلع «سورة البقرة» واصفًا عبادَه المتَّقين: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[البقرة: ٣]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء: ٤٩]، فهم مؤمنون بالغيب، ويخافون الله بالغيب لعلمهم باطلاعه عليهم، وإحاطته بهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وما أجمل وأعظم قول أبي جعفر الطحاوي الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عقيدته»: «فإنَّه ما سَلِم في دينه إلا من سلَّم لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وردَّ عِلم ما اشتَبه عليه إلى عالِمِه، **ولا تثبُت قدَمُ الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمَن رام عِلم ما حُظِر عنه علمُه ولم يَقنَع بالتسليم فَهمُه حَجَبَه مَرامُه عن خالِص التَّوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان**، فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موَسوِسا تائها شاكًّا، لا مؤمنا مصدِّقا، ولا جاحدا مكذِّبا». انتهى.

والمعنى أنَّه لا يثبت إسلامُ من لم يُسَلِّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترِض عليها ولا يعارِضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري معلَّقًا[١] عن ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «**مِن الله الرسالة، وعلى الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **البلاغ، وعلينا التسليم**»، وهذا -لا شك- كلام جامع نافع.[٢]

وعليه، فالتسليم للغيبيات التي جاء ذكرُها في النصوص هو سُلَّم الفلاح، وسِرُّ التوفيق والثبات، وعلامة الفوز والنجاح.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «**وأحكام الآخرة لا مَدخلَ فيها للقياس والاجتهاد ولا للنظر والاحتجاج، والله يفعل ما يشاء لا شريك له**». انتهى.

وقال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «**فإياك أن تُنكِر شيئا مِن عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا**، فإنَّك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عُرِضت عليك قبل المشاهدة لكنتَ أشدَّ إنكارًا لها». انتهى.

**وكثرة البحث والقياس في الغيبيات داخل في التكلُّف المذموم**، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «**ومما يدخل في النهي عن التعمق والبحث عنه**: أمور

---

١- انظر «تغليق التعليق» (٣/ ٣٦٥-٣٦٦).

٢- انظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص ١٢١).

٣- «التمهيد» (٢٢/ ٢٥٤). ونحوه في «التذكرة» (ص ٤٢٣). وانظر «طلوع الثريا بإظهار ما كان خفيا» للسيوطي (ص ١٥) وهو موجود ضمن «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٢٢٠).

٤- «الإحياء» (٤/ ٥١٤)، ونقله القرطبي في «التذكرة» (ص ٥٢٢)، بتصرف.

٥- «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٨٤٢).

الغيب الخبرية التي أمر بالإيمان بها، ولم يبين كيفيتها، **وبعضها قد لا يكون له شاهد في هذا العالم المحسوس**، فالبحث عن كيفية ذلك هو مما لا يعني، وهو مما ينهى عنه، وقد يوجب الحيرة والشك، ويرتقي إلى التكذيب». انتهى.

والحاصل أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له حِكَمٌ يدقُّ فهمُها عن إدراك أولي الألباب، **فالواجب على كلِّ موفَّق التسليم للنصوص الواردة فى الكتاب العظيم، وفي سنة نبيه الكريم حيث ثبتت عنه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالأسانيد المقبولة**، فإنْ طابقت العقل فبها ونعمت، وإلا علِمنا أنَّ ذلك العقلَ الذي لم يدرِك كُنه ذلك إنَّما لم يدرِك ذلك لانحرافٍ فيه، لا أنَّ الحديثَ الثابت عن حضرة الرسالة يرَدُّ لعدم قبول عقل بعض الناس له، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم.[1]

وأحسن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله:[2]

مـــا خـــالَف النصَّـــين لـــم نعبـــأْ بـــهِ

شـــيئًا وقُلنـــا حَســـبُنا النصَّـــانِ



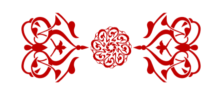
١- «البحور الزاخرة» (٢/ ٨٢٢).

٢- «الكافية الشافية» (ص ٢٦٣).

## الإيمان الحقيقي باليوم الآخر علم وعمل

**المسألة الرابعة**: **الإيمان باليوم الآخر على درجتين**:[1]

- **أحدهما**: التصديق الجازم الذي لا ريب فيه بوجود ذلك على حقيقته، وهذا ما تمَّ تفصيلُه في هذا لكتاب.
- **والدرجة الثانية**: التصديق الراسخ المثمر للعمل، فإنَّ من علِم ما أعدَّ اللهُ للطائعين من الثواب، وما للعاصين من العقاب علماً واصلاً إلى القلب، فلا بُدَّ أن يُثمِر له هذا الإيمان الجِدَّ في الأعمال الموصِلة إلى الثواب، والحذرَ مِن الأعمال الموجِبة للعقاب.



١- انظر «فتح الرحيم الملك العلام» (ص ٦٧-٦٨).

**اللهم اجعل خيرَ أعمالنا خواتمها، وخيرَ أعمارنا أواخرها، وخيرَ أيامنا يوم نلقاك، اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.**

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.**

تمّت[1]

---

١- وتمَّت مراجعة الكتاب عصر السبت ١١ صفر عـــام ١٤٤٣، الموافق لـ ١٨ سبتمبر ٢٠٢١، بـــمدينة «لــيون» بـفـرنـسا.

# فهرس الموضوعات

# فـوائـــد ومـلاحظـات

# فـوائـــد ومـلاحظـات

# فـوائـــد ومـلاحظـات

# فـوائــــد ومـلاحظـات



خدمة
الدين الخالص
ALDEENAL5AL9
974-66869741
مشروع طباعة الكتب السلفية
تواصل معنا عبر تويتر
SalfiBooks